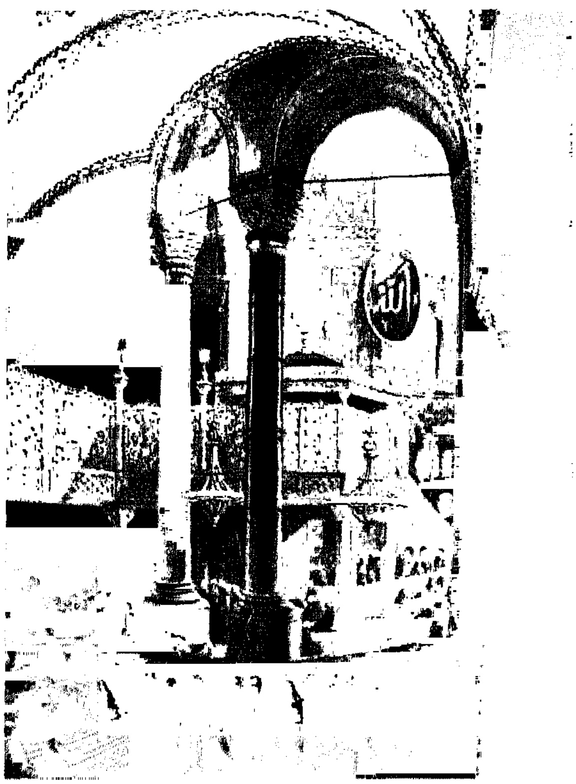
الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث



د. إسماعيل أحمد ياغي

مكتبة العبيكان

الدولة العثمانية

في

التاريخ الإسلامي الحديث

تأليف

الدكتور إسماعيل أحمد ياغي

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

ياغي، إسماعيل أحمد

الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث.

. . . ص؛ . . . سم

ردمك ٣ـ ١٦٤ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الدولة العثمانية أ ـ العنوان

ديوي ٩٥٣,٠٩ ١٦/٠٦٣٧

ردمك ٣ـ ١٦٤ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٦/٠٦٣٧

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ/١٩٩٦م

النـاشـر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

الدولة العثمانية

في التاريخ الإسلامي الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

يتناول هذا الكتاب تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها وحتى سقوطها. وقد تحدثت فصول الكتاب عن أصل الأتراك ونشأتهم، وعن قيام الدولة العثمانية وتوسعها، وعن تاريخ الدولة في فترات القوة والضعف والانحطاط، وتحدثت فصول أخرى عن الحركات القومية وحركة الإصلاح العثماني وكذلك تناولت عصر السلطان عبد الحميد والمسألة الشرقية ونهاية الدولة وقيام تركيا الحديثة.

قامت الدولة العثمانية في القرن الرابع عشر على أنقاض دولة الروم السلاجقة، التي وقفت سداً منيعاً أمام هجمات البيزنطيين، فظهرت في ثوبها الإسلامي كي تدافع عن الإسلام وترفع رايته وسط السلاجقة الذين أخذوا في الضعف حتى زالت دولتهم. ولم تمض سنوات قليلة على ظهور العثمانيين حتى طهروا الأناضول في آسيا الصغرى من البيزنطيين، ثم واصلوا مسيرتهم إلى أوروبا وفتحوا القسطنطينية عام ١٤٥٣م التي حاول المسلمون فتحها منذ العهد الأموي.

لقد عاشت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون، واجتاحت جيوشها الإسلامية مناطق واسعة في جنوب شرق أوروبا ووسطها، وهي أقاليم لم تخضع قط من قبل لحاكم مسلم، وأحرزت باسم الإسلام انتصارات

خاطفة وباهرة، وضمت دولًا أوروبية، وفزعت الحكومات والشعوب الأوروبية من هذه الدولة الإسلامية التي هاجمتها في عقر دارها. وتعرضت الدولة في مسيرتها في أوروبا لتكتلات صليبية وأسهمت فيها دول أوروبية عديدة، وتبادلت الدولة مع أعدائها الهزائم والانتصارات ولم تترك الدول الأوروبية للدولة العثمانية فرصة لالتقاط أنفاسها. وعلى الرغم من ذلك، كانت الدولة تنهض من كبوتها وتعيد بناء قوتها وتستأنف مسيرتها المظفرة.

ولما كانت الخلافة الإسلامية التي تمثلها الدولة العثمانية هي الهدف الكبير الذي ظل يلفت نظر أوروبا لقرنين من الزمن، فكانت وسائل القضاء عليها متعددة وكثيرة وأهمها الغزو الثقافي الذي بهر الكثيرين من المؤرخين فلم يوفقوا في كتاباتهم وتفسير الأحداث في إطار التحيز والهوى والبعد عن الموضوعية. فانتقد المؤرخون الغربيون السلاطين العثمانيين وتحاملوا عليهم، وتبعهم بعض المؤرخين العرب ـ للأسف ـ تأثراً بهم.

ومما لا ريب فيه أن الدولة العثمانية قد تكاثرت حولها الافتراءات والأباطيل، فليس معنى ذلك أنها كانت مبرأة من المآخذ والعيوب. فلكل دولة مزايا تذكر لها ومآخذ تسجل عليها. وقد غفل أولئك المتحاملون العرب عن الخدمات التي أسدتها الدولة العثمانية للولايات العربية بوجه خاص، وتناسوا أيضاً أن الدولة العثمانية واجهت أخطاراً جسيمة تهدد العالم العربي بأفدح الأخطار كالخطر البرتغالي والإسباني والاستعمار الغربي والصهيونية. فقد عملت الدولة العثمانية على حماية الأماكن المقدسة من البرتغاليين وحماية شمال إفريقيا من الإسبان. كما حافظت كذلك على وحدة البلاد العربية، ونجحت في إبعاد الزحف الاستعماري عن الوطن العربي، ومنعت اليهود من الاستيطان في سيناء والهجرة إلى فلسطين.

ويعتبر التاريخ العثماني مكملًا لتاريخ الإسلام، وإن السلاطين (الخلفاء) العثمانيين كانت لهم الهيبة والمحبة في نفوس المسلمين أسوة بغيرهم من الخلفاء الأمويين والعباسيين، فقد عملوا على نشر الإسلام، وأجلّوا العلماء وأكرموا أهل القرآن، وانقادوا للشرع الشريف مع علوّ قدرهم، فهم دائماً للشرع معظمون وباتباعه آمرون. واهتموا بخدمة الحرمين الشريفين والاعتناء بمصالحهما، وقدموا الصدقات الجليلة والإحسانات إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة والقدس والخليل. وهكذا فإن السلاطين قد قاموا بأعمال مجيدة وجليلة وبسطوا العدالة والسماحة في ربوع البلاد التي فتحوها، هذا فضلًا عن إنشاء المدارس والمساجد والتكايا والأسبلة وتشييد الحصون والقلاع.

ولكن الدولة العثمانية لم تستطع الصمود أمام التحديات الأجنبية والمؤامرات والحركات القومية والماسونية والصهيونية، التي تكاتفت جميعها فأطاحت بالدولة العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وقامت مكانها دولة تركيا الحديثة عام ١٩٢٤ م/١٣٤٣ هـ.

والله ولي التوفيق

الرياض ١٤١٥/١٠/١٢هـ
١٩٩٥/٣/٢٦م

د. إسماعيل أحمد ياغي

الفصل الأول

قيام الدولة العثمانية

أصل الأتراك العثمانيين:

دخل الأتراك العثمانيون آسيا الصغرى في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الميلادي كقبيلة من القبائل التركية التي كانت على فترات متباعدة حيناً ومتقاربة حيناً آخر، تنزح من مناطق الاستبس في آسيا متجهة غرباً نحو الأناضول.

والواقع أن التاريخ المبكر للعثمانيين يحوطه الغموض وتندس فيه روايات أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق. وعلى الرغم من أن المؤرخين استقوا هذه الروايات من الحوليات العثمانية القديمة، فإنهم لا يزالون على خلاف عميق حول قيمتها التاريخية. ويقسم المؤرخون إلى فريقين.

١ ـ فريق يلقي على تلك الروايات ظلالًا كثيفة من التشكيك فيها.

٢ ـ فريق يعتبر تلك الروايات حقائق لا تشوبها شائبة من ارتياب، تأسيساً على أنها دونت بمعرفة أناس عاصروا أحداثها[1].

(١) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني ط ٢، القاهرة ١٩٩٣، ص ١٠ ــ ١٥.

وعلى العموم، فإن إحدى هذه الروايات تقرر أن العثمانيين ينتمون إلى قبيلة من قبائل الغز التركية هي قبيلة قابي. وقد خرجت هذه القبيلة من أواسط آسيا متجهة إلى الغرب تحت قيادة أرطغرل، ووقفت هذه القبيلة إلى جانب السلطان علاء الدين الأول، سلطان دولة الروم السلاجقة، إذ انضمت إلى جيشه ضد جيش أعدائه، مما أدى إلى انتصاره عام (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م). فما كان من السلطان علاء الدين الأول إلا أن أعطى تلك القبيلة التركية منطقة تابعة له في شمال غرب الأناضول يطلق عليها «سكود» على الحدود البيزنطية السلجوقية، مكافأة لها على هذا الصنيع كما حصل رئيس القبيلة (أرطغرل) على لقب «محافظ الحدود»[١]..

ولكن أرطغرل لم يقنع بمهمة المحافظة على الحدود، بل شرع يهاجم باسم السلطان علاء الدين الأول ممتلكات الدولة البيزنطية في الأناضول، وضم إلى المنطقة التي يحكمها مدينة أسكي شهر[٢].

ولما مات أرطغرل عام (٦٨٧هـ / ١٢٨٨م)، خلفه في حكم الإمارة ابنه عثمان الذي سميت باسمه الأمة والدولة. وسرعان ما نمت هذه الإمارة حتى أصبحت امبراطورية مترامية الأطراف امتدت أقاليمها في آسيا وأوروبا وإفريقيا، وغدت من أكبر الدول الإسلامية التي شهدها التاريخ والتي كان لها شأن كبير في نشر الإسلام في أوروبا والدفاع عن المسلمين ضد الغزو الصليبي[٣].

---

(١) محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة د/أحمد السعيد سليمان، القاهرة ١٩٦٧، ص ١١٩ ــ ١٢٦.

(٢) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦ ــ ١٩١٦، دمشق ١٩٧٤، ص ٢٦ ــ ٢٨.

(٣) د/عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ط ٢، القاهرة ١٩٨٠، ص ٣٣ ــ ٣٤.

نسب آل عثمان:

اختلف المؤرخون حول نسب العثمانيين، فمن قائل بأنهم ينتمون إلى الحجاز، وأن جدهم عثمان فر إلى قرمان، وكان شجاعاً قوياً، فصار في خدمة السلاجقة، فسار على طريقتهم وتكلم لغتهم، وصار له أعوان وأتباع وعساكر[١].

وذكر بعض المؤرخين أن العثمانيين ينتمون إلى أبي مسلم الخراساني وينتسبون إليه[٢]، وقيل إن آل عثمان أصلهم من الجراكسة من أولاد يافث بن نوح[٣]. أما المؤرخون الأتراك، فإن بعضهم ينسبونهم إلى الغز فقط، والبعض الآخر ينسبهم إلى قبيلة «قابي» كما ذكرنا آنفاً. لكن قسماً من المؤرخين الأتراك يؤكدون أن النواة الأولى للدولة العثمانية «عنصر غزي» أي تركماني لا يختلف عن أغلبية الترك الذين وفدوا مع السلاجقة[٤].

وتتفق الروايات على أن سليمان شاه جد السلطان عثمان، كان سلطاناً على «ماهان» وهي بلاد قرب بلخ في شمال فارس، فلما خرج جنكيز خان سلطان المغول، للغز واكتسح تلك البلاد، وخربها. وقضى على مملكة خوارزم وتفرق أهلها في تلك البلاد والممالك التي في غربها، فخرج سليمان من بلاد ماهان بخمسين ألف مقاتل من التركمان والجراكسة إلى أرض الروم، ومر بديار حلب وغيرها، وغرق في الفرات فأخرجوه منه ودفنوه أمام قلعة جور (قلعة جبير ويطلق عليها ترك مزار)،

---

(١) محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور حـ ٥ ط ٢ القاهرة ١٩٨٢ ص ٣٦٤.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٦٥.

(٣) الأميرالاي إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، بيروت ١٩٨٨، ص ٨.

(٤) محمد فؤاد كوبريلي، المرجع السابق، ص ١١٨.

وتفرق من كان معه من التركمان والجراكسة، وتفرقت ذراريهم في تلك الأرض والبلاد[1]. ثم قاد أرطغرل المسيرة بعد أبيه حتى حصل على مكافأة السلطان السلجوقي علاء الدين بقطعة الأرض التي كانت نواة للدولة العثمانية.

الوضع الديني والعسكري والسياسي للعثمانيين:

لقد تحدد الوضع الديني والعسكري والسياسي للأتراك العثمانيين منذ عهد الأمير عثمان على النحو التالي:

١ ـ اعتنق الأمير عثمان الدين الإسلامي وتبعه الأتراك العثمانيون. وكانت عقيدتهم الدينية قبل ذلك غير واضحة تماماً، ويحتمل أنهم كانوا في حالة تحول من الوثنية أو من عقائد أخرى إلى الإسلام. وعلى كل حال، فإن صلاتهم الوثيقة بدولة الروم السلاجقة في الأناضول ـ وهي دولة إسلامية ـ كانت عاملًا هاماً ساعد على اعتناقهم الدين الإسلامي في سرعة وسهولة. وعلى ذلك، فقد تحدد الإسلام عقيدة دينية رسمية للأتراك العثمانيين من عهد الأمير عثمان، وسار عثمان في حكمه على هدى إيمان عميق وبساطة في الدين، وكان متحمساً لعقيدته الدينية، وأخضع حكمه لمشورة الفقهاء المسلمين. وكانت العدالة أبرز ما تميز تصرفاته في عصر امتلأ بالظلم والعنف. وكان للإسلام أثر كبير في مستقبل العثمانيين، إذ هيأ لهم وحدة العقيدة وعبأهم بشعور ديني دافق جعلهم متحمسين للإسلام. واجتمعت إلى هذه العاطفة الدينية المتأججة روح عسكرية طاغية، بحيث غدت سمة بارزة في الأتراك العثمانيين. وقد استمدوا هذه

(١) أحمد بن محمد الحموي، فضائل سلاطين بني عثمان، تحقيق د/محسن سليم، القاهرة ١٩٩٣، ص ١٧ ــ ١٨.

الروح العسكرية من بيئتهم الأصلية في سهول آسيا، ثم عمل السلاطين على تعميقها في نفوسهم فلازمتهم طوال تاريخهم[١].

٢ ـ أظهر الأمير عثمان مقدرة فائقة في وضع النظم الإدارية لإمارته، بحيث قطع العثمانيون على عهده شوطاً بعيداً على طريق التحول من نظام القبيلة المتجولة إلى نظام الإدارة المستقرة، مما ساعدها على توطيد مركزها وتطورها تطوراً سريعاً إلى دولة كبرى وإعدادها للدور الضخم الذي قامت به بعد ذلك[٢].

٣ ـ إن أهم دولتين كانتا في آسيا الصغرى، وهما الدولة البيزنطية ودولة الروم السلاجقة، كانتا قد وصلتا إلى حالة إعياء شديد نتيجة الصراع الطويل الذي خاضته كل منهما ضد الأخرى، ونتيجة تعرض الدولة البيزنطية للغزو اللاتيني (الحملة الصليبية الرابعة) ونتيجة تعرض دولة الروم السلاجقة للغزو المغولي. فكان في شبه جزيرة الأناضول فراغ سياسي، وكانت الأوضاع السياسية مهيأة لظهور دولة تملأ هذا الفراغ السياسي على أنقاض الدولتين المتداعيتين[٣].

٤ ـ إن نشأة الإمارة العثمانية في الشمال الغربي للأناضول على حافة العالم المسيحي ـ وهو ما يسمى بدار الحرب ـ وعلى حافة العالم الإسلامي ـ وهو ما يسمى دار الإسلام ـ قد فرضت عليها سياسة حربية معينة، ذلك أن هذه الإمارة كانت على الحدود والثابت في تاريخ الأناضول أن الإمارات التي نشأت على الحدود كانت أوفر نصيباً من عوامل النمو والتطور من إمارات الداخل، وأنه لم يكن في استطاعة هذه الإمارات الداخلية أن تتطور وتنمو بنفس السرعة التي تطورت ونمت بها

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص ٣٦ ــ ٣٧.
(٢) نفس المرجع.
(٣) د/سعيد عاشور، أوربا في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٨١، ص ٦٥.

إمارات الحدود. واستطاع الأمير عثمان أن يحرز انتصارات عسكرية على البيزنطيين[١]. وكان من حظ عثمان أن أغار المغول سنة ١٣٠٠م على دولة الروم السلاجقة في آسيا الصغرى، وحدث ما كان متوقعاً، إذ زالت دولة الأتراك السلاجقة وتوفي السلطان علاء الدين الثالث سنة ١٣٠٧م، وأعلن عثمان استقلاله مقتدياً بغيره من الأمراء الذين بلغ عددهم ثلاثة عشر أميراً أسس كل منهم حكومة مستقلة على أنقاض دولة الروم السلاجقة أو الأتراك السلاجقة. وتلقب عثمان بلقب سلطان ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية[٢].

ولقد أيقن عثمان أن عشيرته التركية بتعدادها القليل لن تستطيع بمفردها تأسيس الدولة التي يرتجى تكوينها ممتدة الأطراف مهيبة الجانب. فرسم سياسته على أساس مصاهرة الدول المجاورة واستقدام الرقيق من مختلف البلدان واستخدام المغامرين الذين تستهويهم الشهرة في ميادين القتال. فاختار عثمان لنفسه زوجة مسيحية من قيليقيا، وزوج ابنه من فتاة مسيحية[٣].

ومضى عثمان يوسع رقعة بلاده، واستولى على بعض مدن كانت أهمها بروسة، سمع بفتحها وهو على فراش الموت سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)، وكان ابنه أورخان على رأس القوات التي زحفت عليها وأوصى عثمان بأن ينقل رفاته إلى بروسة في كنيسة القصر التي حولت فوراً إلى مسجد، وأصبحت بروسة عاصمة جديدة للأتراك العثمانيين في سلسلة العواصم التي انتقلوا إليها عبر تاريخهم من قونية وانتهاء باستانبول[٤].

---

(١) د/سيد الدقن، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٠ ــ ١٥.
(٢) محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة ١٩٧٦، ص ١٢ ــ ١٤.
(٣) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني) حـ ٨ دمشق ١٩٨٦، ص ٦٢.
(٤) محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ص ١٨٠ ــ ١٨١.

والخلاصة أن التحركات الحربية التي قام بها العثمانيون في هذه المرحلة الأولى من تاريخهم كانت نتاج عدة عوامل، أهمها:

أ ـ الروح الدينية الجياشة.

ب ـ الطبيعة العسكرية الصارمة.

جـ ـ الموقع الجغرافي للإمارة العثمانية في الشمال الغربي للأناضول.

د. الأوضاع السياسية في المنطقة المحيطة بالأتراك العثمانيين[1].

والواقع أن هذه التحركات الحربية كانت بداية لسياسة حربية نشيطة حرص الأتراك العثمانيون على الالتزام بها، وانتشروا في بقاع أوربا وآسيا وإفريقيا فاتحين.

خصائص الفتح العثماني في أوروبا:

كان الغزو العثماني العسكري لأوروبا هو آخر غزو إسلامي لأوروبا المسيحية في التاريخ الحديث والمعاصر. وقد بدأ هذا الغزو في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وبلغ ذروته في القرن السادس عشر. واستمر على فترات متباعدة في القرن التالي. ومضت عمليات الغزو العثماني في أوروبا ثم أوغلت فيها في وقت كانت فيه موجة الإسلام تنحسر عن الأندلس بسقوط غرناطة في أيدي الإسبان في سنة (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م)، وعلى ذلك فالخسارة التي تعرض لها الإسلام في غرب أوروبا، قام الأتراك العثمانيون بتعويضها على نحو من الأنحاء في شرق أوروبا وفي وسطها[2].

وهناك بعض ملاحظات عن خصائص الغزو العثماني في أوروبا نوجزها فيما يلي:

---

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٠٩ ــ ٤١٠.

(٢) إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٦ ــ ١٢.

١ ـ لم يتم الغزو العثماني لوسط أوروبا في ظروف مواتية للعثمانيين، لأنه في الوقت الذي انطلق فيه العثمانيون غزاة فاتحين في قلب أوروبا ـ وبخاصة في القرن السادس عشر ـ كانت الدول الأوروبية في مجموعها تنعم باليقظة القومية وتنفض عنها معالم الحياة الاقطاعية التي سادت في العصور الوسطى. ودعمت الملكيات نفوذها وظهرت الطبقة الوسطى دعامة قوية للملوك تمدهم بالأموال لإنشاء الجيوش الدائمة وتزويدها بالعتاد والسلاح، وفي مقدمتها سلاح المدفعية الثقيلة وإنشاء الأساطيل البحرية الرهيبة. وكانت القوات البرية والبحرية قد نبذت ولاءها للأمير الاقطاعي، وأصبحت تخضع خضوعاً مباشراً للملك الذي غدا رمز الدولة الموحدة المركزية القوية الحديثة. كما أخذت هذه الدول تركن إلى التكتل السياسي والتنظيم الاقتصادي، وتتزود بأسباب النهضة التي أشرفت على أوروبا منذ القرن الرابع عشر[1].

وعلى الرغم من هذه الملابسات غير المواتية بالنسبة للعثمانيين، فقد وقفت الدول الأوروبية من الغزو العسكري العثماني موقف الدفاع عن كيانها وعن دينها، وانهارت مقاومة أوروبا تحت مطارق العثمانيين الذين انتقلوا من نصر إلى نصر، وقد ملأتهم الانتصارات المتعاقبة ثقة في قوتهم، وأصبح الغزو العسكري شغلهم الشاغل، فتوغلوا في قلب القارة الأوروبية، وفتحوا جبهة بحرية في حوض البحر المتوسط، حيث انتزعوا أهم جزره: رودس وقبرص وكريت وغيرها.

وأمام هذا العملاق العثماني الذي لا يخبو له نشاط حربي، راحت أوروبا تحتمي بالفكرة الصليبية تعمل على استمرار ضراوتها وعنفها، وتكونت المحالفات الدولية ضد العثمانيين تغذيها وتدفعها روح

(١) محمد فؤاد كوبريلي، المرجع السابق، ص ١١٨ ــ ١٢٠.

صليبية وتباركها البابوية. وتصدى الأتراك لهذه الحملات ونقلوا جبهة القتال إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، حيث كان الإسبان قد أشعلوا حروباً صليبية بالغة العنف ضد القوى الإسلامية في شمال إفريقيا وخاض الأتراك معارك بحرية ضد الأساطيل الأوروبية المتحالفة تبادل فيها الطرفان المتحاربان الهزيمة والانتصار، وإن كانت كفة الأتراك العثمانيين هي الراجحة في معظم المعارك(1).

٢ ـ لما نقل الأتراك العثمانيون جبهة القتال إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، كانوا يحاربون في مناخ صحي أو في منطقة صحية. إذ بينما كانت الجبهة التي فتحها الأتراك العثمانيون في المجر والنمسا وغيرها من بلاد وسط أوروبا جبهة مسيحية لحماً ودماً، وشق العثمانيون طريقهم وسط شعوب مسيحية، كانت الجبهة البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط تضم شعوباً إسلامية تعاونت مع الأتراك العثمانيين في الحرب ضد خصومهم. لقد كان شمال إفريقيا منطقة يدين سكانها بالإسلام، وكانوا يريدون أن يثأروا لإخوانهم في الدين الذين أخرجوا من ديارهم في الأندلس، فكان العثمانيون يحاربون وهم يستندون إلى شعوب موالية لهم في شمال إفريقية وإلى قواعد عسكرية إسلامية تناثرت على الشاطئ الشمالي للقارة الإفريقية(2).

٣ ـ تضافرت عدة عوامل ذاتية ساعدت العثمانيين على التوسع الإقليمي الواسع النطاق في مختلف الجبهات. وكان من بين هذه العوامل: الشعور الديني المتأجج. وكفاية القوات العثمانية، والموارد المالية. كان الشعور الديني الإسلامي المتقد يغمر نفوس الجنود العثمانيين بوجه

---

(١) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٠ ــ ٢٥.
(٢) كارل برو كلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٠١ ــ ٤١٠.

خاص، وكان حافزاً قوياً لهم على الاستبسال في القتال واسترخاص الموت، فحققوا بفضل هذا الشعور الفياض أروع الانتصارات. كذلك ساعدت غزارة الموارد المالية السلاطين على بناء قوات مسلحة برية وبحرية على درجة عالية من الكفاية والتسليح والتدريب. فقد كان في استطاعة السلطان أن يجمع الأموال من الولايات العثمانية في يسر وسرعة وأن يستخدمها في دعم القوات الضاربة[1].

٤ ـ أخفق العثمانيون في «عثمنة» أو «تتريك» الشعوب الأوروبية التي دانت لحكمهم. فقد تقوقع العثمانيون اجتماعياً، ولم يحدث انصهار أو امتزاج بينهم وبين الشعوب المحكومة. وبجانب هذه العزلة الاجتماعية، لم يسهموا بنشاط يذكر في الحياة الاقتصادية من زراعة أو صناعة أو تجارة في البلاد التي دانت لحكمهم، واكتفوا بأن أقاموا فيها كطبقة حاكمة، وكانوا أقلية عددية بالنسبة لأصحاب البلاد الأصليين. وكان الاستعلاء سمة بارزة في صفات العثمانيين. وقد أدى الاستعلاء إلى عدم الاختلاط، الذي أدى بدوره إلى عدم نشر اللغة التركية بين تلك الشعوب الأروبية، لأن الدولة العثمانية لم تعمل على توفير الجو الصحي لانتشار اللغة التركية، فظلت الشعوب الأوروبية التي خضعت للعثمانيين محافظة على لغتها وثقافتها وديانتها وعاداتها وتقاليدها وغير ذلك من عناصر حضارتها. ومن هنا، كان الأثر الحضاري للعثمانيين في تلك الشعوب الأوروبية قليلًا للغاية، ومن هنا أيضاً كانت الشعوب الأوروبية لا تدين لهم ثقافياً أو حضارياً[2].

ويعزو بعض المؤرخين والباحثين سلبية العثمانيين في هذا الصدد، إلى أنه لم يكن لهم تراث حضاري متفوق يلقنونه للشعوب الأوروبية التي

---

(١) نفس المرجع.

(٢) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٢٢٥ ــ ٢٣٥.

دانت لحكمهم وعلى رأس هؤلاء المؤرخين الأستاذ الانجليزي هربرت فيشر Ficher والأستاذ جوستاف لوبون العالم الفرنسي الشهير. فقد ذكر لوبون في كتابه «حضارة العرب» أن الأتراك العثمانيين قد اكتسبوا أسباب العظمة في ساحات الحرب، وقد ارتعدت فرائص أقوى ملوك أوروبا أحقاباً طويلة فزعاً من سلاطين الدولة العثمانية الذين قاموا مقام القياصرة، وأحلوا الهلال محل الصليب البيزنطي فوق كاتدرائية القديسة صوفيا في القسطنطينية، ولكنهم ـ مع هذا النجاح الذي حققوه ـ أثبتوا عجزهم عن إبداع حضارة[1].

مراحل الفتح العسكري العثماني

قطع العثمانيون في عمليات الغزو العسكري شوطاً طويلًا، بدؤوه من بقعة مغمورة في الشمال الغربي لبلاد الأناضول، وظلوا يطوون هذا الشوط مرحلة بعد مرحلة في دأب متصل وعسكرية صارمة وتحمس غامر للإسلام، يصادفون الهزيمة حيناً والانتصارات الخاطفة أحياناً كثيرة، حتى انتهوا في زحفهم العسكري إلى أسوار فينا في أوروبا، وانتشروا في بقاع آسيا وإفريقيا وأقاموا لهم ملكاً عريضاً اقتطعوه من أوروبا ومن الأناضول ومن العالم الإسلامي. وبذلك خرج العثمانيون من نطاقهم المحلي الصغير المغمور إلى المسرح العالمي العام، وسلطت عليهم الأضواء.

وقد مرت عمليات الفتح العسكري العثماني في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وكانت عمليات الغزو خلالها مقصورة على البلقان في أوروبا، وعلى الأناضول في آسيا. فكانت الدولة العثمانية في هذه المرحلة دولة تلقائية أناضولية، تضم رعايا مسلمين ورعايا مسيحيين. وقد امتدت هذه المرحلة من بدء قيام الإمارة العثمانية في الأناضول حتى وفاة السلطان بايزيد الثاني عام (٩١٨هـ / ١٥١٢م)، وشهدت هذه الفترة

(١) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤١١ ــ ٤١٣.

انتقال الدولة العثمانية مرحلياً من مرتبة الإمارة إلى درجة الدولة إلى الامبراطورية، وانتقلت عاصمة الدولة خلال هذه الفترة أيضاً بين الأناضول والبلقان من بروسة إلى أدرنة إلى القسطنطينية.

المرحلة الثانية: اقتصرت عمليات الغزو العسكري على الشرق الإسلامي. وقد حدث هذا التطور في استراتيجية الدولة على عهد السلطان سليم الأول (٩١٨ - ٩٢٧هـ / ١٥١٢ - ١٥٢٠م) وأصبحت الدولة العثمانية دولة آسيوية إفريقية بلقانية برز فيها الطابعان الإسلامي والعربي، إذ ضمت لأول مرة عدداً من شعوب الأمة العربية وزادت نسبة الرعايا المسلمين وتولت الدولة زعامة العالم الإسلامي.

المرحلة الثالثة: وفيها اتجهت عمليات الغزو العسكري في القارات الثلاث: أوروبا وآسيا وإفريقيا، وفتحت جبهات بحرية في حوض البحر المتوسط والبحار الشرقية: المحيط الهندي والخليج العربي. وقد بدأت المرحلة الثالثة منذ ارتقاء السلطان سليمان القانوني (أو المشرع) عرش الدولة في عام (٩٢٧ هـ / ١٥٢٠م) واستمرت على عهد خلفائه، وأصبحت الدولة العثمانية في هذه المرحلة دولة أوروبية آسيوية إفريقية[١].

المرحلة الأولى من الفتح العسكري العثماني:

اتجه العثمانيون نحو أوروبا في وقت مبكر عقب نشأة إمارتهم في شمال غربي الأناضول. وكان هذا الاتجاه الأوروبي المبكر الذي هيأ لهم أسباب القوة وزيادة تعدادهم ومواردهم، وساعدهم على توسيع رقعة إمارتهم والنهوض بها مرحلياً إلى دولة فإمبراطورية شاسعة الأرجاء امتدت ممتلكاتها في أوروبا وآسيا وإفريقيا[٢].

---

(١) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، ص ٤٣٠ـــ ٤٢٠ وانظر كذلك عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٣٥ ـــ ٤٠.

(٢) محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ص ١٢٠ ـــ ١٢١.

ويرى المؤرخ الإنجليزي جيبونز Gibbons في كتابة «تأسيس الامبراطورية العثمانية» The Foundation of the ottomen Empire أن التوفيق حالف العثمانيين في اختيار هذا الاتجاه الأروبي المبكر، لأنه لو قدر لهم أن يتجهوا نحو الشرق ونحو الجنوب في آسيا الصغرى لبدؤوا قواهم في محاربة الإمارات السلجوقية التركية. وهي إمارات قوية للغاية وذات بأس شديد، ولما استطاعوا إنشاء دولة قدر لها أن تغير مجرى التاريخ(1).

وتأسيساً على هذه الحقيقة، يتضح الخطأ الذي علق بأذهان الكثيرين، وهو القول: قد استولوا على شبه جزيرة الأناضول أولًا، ثم دخلوا القسطنطينية فاتحين عام (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) ثانياً، ثم زحفوا على شبه جزيرة البلقان ثالثاً. والحقيقة أن الاستراتيجية العثمانية قامت في المرحلة الأولى على التوسع الإقليمي في اتجاهين مختلفين في وقت واحد:

١ ـ اتجاه نحو أوروبا، وميدانه شبه جزيرة البلقان.

٢ ـ اتجاه نحو آسيا، ورقعته شبه جزيرة الأناضول.

ففي البلقان، كانت فتوحات العثمانيين على حساب ما بقي من أملاك الدولة البيزنطية وعلى حساب دول الصقالبة والإمارات اللاتينية.

وفي الأناضول، كانت فتوحاتهم على حساب البقية الباقية من أملاك الدولة البيزنطية أيضاً والإمارات التركية السلجوقية، وعلى حساب إمارتين مسيحيتين، إحداهما في الشمال هي طرابيزون، والأخرى في الجنوب، وهي كيليكيا.

ولم تكن العمليات الحربية في الجبهتين البلقانية والأناضولية

---

(١) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٣٠.

متتابعتين، بل مضت كلتاهما قدماً في وقت واحد تقريباً، إذ تقدم العثمانيون للفتح في آسيا الصغرى في نفس الوقت الذي تقدموا فيه في البلقان أيضاً. وفي بعض الأحيان كان الفتح في آسيا الصغرى في نفس الوقت الذي تقدموا فيه في البلقان للفتح أيضاً وفي بعض الأحيان كان الفتح في البلقان أسرع منه في الأناضول. وكان بعض السلاطين ينهمك في الجبهة الأناضولية، بينما كان يتفرغ البعض الآخر للجبهة البلقانية. وكان فريق ثالث يوزع نشاطه ووقته بين الجبهتين[1].

ولقد نجح العثمانيون نجاحاً سريعاً وخاطفاً في توسعهم الإقليمي، سواء في الجبهة البلقانية أو الجبهة الأناضولية، وسواء على حساب البيزنطيين أو الشعوب البلقانية أو الإمارات التي كانت قائمة في الأناضول. وأهم العوامل التي ساعدت العثمانيين على الانتصار على البيزنطيين ما يلي:

١ ـ إن العثمانيين الأوائل وجدوا جميع الإمكانيات المادية والمعنوية لفتح الأراضي البيزنطية في الأناضول وتدعيم سلطتهم فيها. وقد وجدوا هذه الإمكانيات في العناصر التركية العثمانية، سواء البدو أو سكان القرى أو المدن على السواء. فقد كانت هذه العناصر تتدفق على غرب الأناضول منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر. وبينما كانت الإمارات التركية الساحلية آخذة في الضعف بسبب معاركها التي لم تنقطع مع البيزنطيين ومع القوى البحرية اللاتينية، كان العثمانيون يمضون بخطى وئيدة وحاسمة في توسيع رقعة إمارتهم ثم دولتهم ومد حدودها. ولم يبدأ العالم المسيحي ينتبه إلى خطورة العثمانيين إلا بعد أن عبروا البحر واستولوا على غاليبولي[2].

---

(١) كارل برو كلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤١٥.
(٢) محمود شاكر، التاريخ العثماني، ص ٩٧.

٢ ـ وجود أزمة عدم ثقة بين السلطات الحاكمة في كل من الدولة البيزنطية وبلغاريا وبلاد الصرب والمجر، ولذلك تعذر في معظم الأحيان تنسيق الخطط السياسية والعسكرية للوقوف في جبهة واحدة ضد العثمانيين[١].

٣ ـ إن الدولة البيزنطية كانت قد وصلت إلى حالة إعياء شديد. وكان المجتمع البيزنطي قد أصابه تفكك سياسي وانحلال ديني واجتماعي، فسهل على العثمانيين ابتلاع أقاليم هذه الدولة، أو بعبارة أدق بقايا هذه الدولة في الجبهتين البلقانية والأناضولية.

٤ ـ كانت الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية في القسطنطينية قد فقدت سيطرتها على العالم المسيحي الشرقي في البلقان، ولم تستطع هذه الكنيسة أن تحافظ على تماسك العناصر المسيحية الخاضعة لها، إذ كان الفساد قد تطرق إليها وانعكس على سلوك رجاله وبددت جهودها في مناقشات دينية مذهبية عقيمة زادت من الفرقة والتطور بين رعايا الكنيسة. وكان الخلاف الديني المذهبي بين المسيحيين الشرقيين، وهم رعايا كنيسة القسطنطينية، وبين المسيحيين الغربيين، وهم رعايا كنيسة روما، استحكمت حلقاته وترك آثاراً عميقة الجذور في نفوس الفريقين. والواقع أن هذا الخلاف الديني كان من أكبر العوامل التي ساعدت العثمانيين في زحفهم العسكري على البلقان[٢].

٥ ـ كان العثمانيون ـ يتميزون ـ في المواجهة الحربية التي تمت بينهم وبين الشعوب البلقانية ـ بوحدة الصف ووحدة الهدف ووحدة المذهب الديني، وهو المذهب السني، والشعور الديني المتقد والدافق،

(١) د. محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة ١٩٦٢، ص ٤٥.
(٢) د. عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ط ١، ص ٣٨ ـ ٤٦.

بينما كانت الشعوب البلقانية أشتاتاً وأخلاطاً يمزقها التباغض والتنافس واختلاف المذهب الديني: فمنهم الكاثوليك، ومنهم الأرثوذكس الشرقيون، ومنهم البلغار ومنهم الصرب ومنهم اليونانيون ومنهم سكان الأفلاق والبغدان ومنهم سكان البوسنة والهرسك والجبل الأسود وألبانيا. ويقرر المؤرخ التركي محمد فؤاد كوبريللي في كتابه «قيام الدولة العثمانية» أن غزوات العثمانيين للبلقان قد تمت في سهولة وبغير خسائر كبيرة في الأرواح[1].

ومن جهة أخرى، فقد استطاعت الدولة العثمانية إخضاع سائر الإمارات التركية السلجوقية في الأناضول، على الرغم من أن الدولة العثمانية لم تكن حتى عهد السلطان بيازيد الأول (٧٩٠ - ٨٠٦هـ / ١٣٨٨ - ١٤٠٣م) أقوى الدول الإسلامية في آسيا الصغرى، فقد كان بعض الإمارات التركية السلجوقية أكبر مساحة وأكثر جنداً. ويرجع ذلك إلى عدة عوامل، أهمها ما يلي:

١ - الموقع الجغرافي للإمارة العثمانية عند نشأتها في الشمال الغربي لشبه جزيرة الأناضول، فإن وضعها الجغرافي على حدود الدولة البيزنطية جعلها تحمل عبء الكفاح ضد البيزنطيين ونظرت الإمارات السلجوقية أول الأمر إلى الحرب التي يخوضها العثمانيون ضد البيزنطيين على أنها جهاد ديني، فجذبت هذه الحرب الكثيرين من المحاربين من الإمارات السلجوقية ومن قبائل التركمان، الأمر الذي ساعد على الانتصار في الحروب البيزنطية، وبالتالي أدى إلى توسيع رقعة الإمارة العثمانية وزيادة مواردها.

٢ - لجأ العثمانيون في بسط سيطرتهم على الإمارات التركية السلجوقية إلى بعض الوسائل أو «الحيل»، منها:

---

(١) محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ص ١٢٢ ــ ١٢٣.

أ ـ مصاهرة السلاطين وذويهم الأمراء وحكام هذه الإمارات، وهذه الوسيلة هي نوع من الزاوج السياسي. وكان هذا الزواج يؤدي في النهاية إلى الاندماج ثم الضم. وكانت وحدة العقيدة الدينية عاملا هاماً في تسهيل إتمام الزيجات التي كانت تعتبر بحق صفقات سياسية ناجحة يعقدها السلاطين العثمانيون مع حكام تلك الإمارات. ومن الأمثلة التي تذكر في هذا الصدد استيلاء العثمانيين على مدينة كوتاهية والمنطقة المحيطة بها، وهي ذات موقع استراتيجي هام، حصلوا عليها على عهد السلطان مراد الأول (٧٦٢ - ٧٩٠هـ / ١٣٦٠ ـ ١٣٨٨م) نتيجة تزويج ابنه بايزيد من ابنة أمير ولاية قيرميان[١].

ب ـ عمد العثمانيون إلى شراء أرض ذات مواقع هامة من بعض أمراء الإمارات التركية. ونذكر على سبيل المثال الصفقة التي عقدها السلطان مراد الأول حين اشترى من أمير إمارة حامد أجزاء من إمارته المطلة على إمارات أخرى.

جـ ـ أما الإمارات التي كانت الحرب وسيلة ضمها، فقد بدأ العثمانيون بالإمارات الصغيرة، وتركوا الإمارات السلجوقية الكبيرة التي توقعوا منها مقاومة صلبة إلى الجولات الأخيرة[٢].

المرحلة الثانية من الفتح العسكري العثماني:

عندما ارتقى السلطان سليم الأول (٩١٨ - ٩٢٧هـ/١٥١٢ ـ ١٥٢٠م) العرش العثماني، كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى مفترق الطرق. هل تظل على هذا الوضع وهذا القدر من الاتساع دولة بلقانية أناضولية؟ أو

(١) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق حـ ١، ص ٣٩ ـــ ٤٢.

(٢) السيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، القاهرة ١٩٧٠، ص ١٠١.

تستمر في التوسع الإقليمي في أوروبا؟ أو تتجه نحو المشرق الإسلامي؟

والواقع أن السلطان سليم الأول قد أحدث انقلاباً في الاستراتيجية العسكرية العثمانية فقد توقف في عهده الزحف العثماني نحو الغرب الأوروبي أو كاد أن يتوقف واتجهت الدولة العثمانية اتجاهاً شرقياً في قلب المشرق العربي[1].

والمؤرخون يختلفون في تفسير هذه الظاهرة، مما أدى إلى ظهور ثلاث نظريات تحاول كل منها أن تفسر لماذا اتجه السلطان سليم الأول في فتوحاته نحو المشرق العربي، وهذه النظريات الثلاث هي:

١ ـ نظرية التشبع العسكري العثماني في أوروبا، إذ يرى أصحاب هذه النظرية أن الدولة العثمانية كانت قد بلغت مرحلة التشبع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر، وأنه كان عليها في أوائل القرن السادس عشر أن تبحث عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع.

والحق أن الفتوحات العثمانية لم تنقطع تماماً في الجبهة الغربية، ولكن لا ريب في أن مركز الثقل في التوسع العثماني قد انتقل نهائياً من الغرب إلى الشرق منذ أوائل القرن السادس عشر، حتى أنه يمكن القول بأن موقف الدولة العثمانية في الجبهة الغربية كان موقفاً دفاعياً أكثر منه هجومياً. وهذا الرأي يتفق مع المنطق التاريخي، فلكل دولة مدى معين في التوسع، ودولة مركزها الآستانة (استانبول) من المعقول أن يقف مداها عند المجر.

٢ ـ نظرية النزاع الصفوي العثماني، ويرى أصحاب هذه النظرية أن سياسة الدولة الصفوية في إيران والمتعلقة بمحاولة بسط المذهب الشيعي في العراق وآسيا الصغرى، هي التي دفعت الدولة العثمانية

(١) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٥، ص ٤٢ ــ ٦٠.

إلى الخروج إلى المشرق العربي لحماية آسيا الصغرى بصفة خاصة والعالم السني بصفة عامة[1].

فقد حدث أن قامت في إيران الأسرة الصفوية، وتزعم الشاه إسماعيل الصفوي (٩٠٦-٩٣١هـ / ١٥٠٠-١٥٢٤م) حركة قومية دينية، عملت على توحيد إيران والتمكين للمذهب الشيعي في البلاد المجاورة والمتاخمة لها، وغزا العراق عام (٩١٤هـ / ١٥٠٨م) لأنه يضم مقابر أئمة الشيعة في كربلاء والنجف، وهي التي يطلق عليها المزارات أو العتبات المقدسة. وأخذ إسماعيل الصفوي يعمل على إثارة العثمانيين بطرق شتى، فأصبحت إيران ملجأ الفارّين من وجه السلاطين العثمانيين. كذلك أخذ الصفويون يبثون دعوتهم الشيعية في الأناضول معتمدين على الأقليات الشيعية المنتشرة هناك للقيام بثورة ضد الحكم العثماني السني. وثار الشيعة بالفعل في السنة الأخيرة لحكم السلطان بايزيد الثاني ولكن السلطان سليم أخمد الفتنة، وشرع في تنفيذ سياسة الاضطهاد ضد الشيعة المقيمين في الدولة العثمانية، ففرقهم في الولايات العثمانية الأروبية. ورد إسماعيل الصفوي على ذلك بإقامة مذابح عامة ضد السنة في بلاده. وتطورت المذابح إلى حرب سافرة بين الدولة العثمانية السنية وبين الدولة الصفوية الشيعية. وانتصر سليم في موقعة جالديران عام (٩٢٠هـ / ١٥١٤م) ودخل تبريز عاصمة إيران وقتذاك، ثم استولى على أذربيجان وأخضع كردستان وديار بكر وماردين وشمال العراق، وعاد إلى بلاده.

غير أن الموقف العسكري بعد معركة جالديران ظل مائعاً أو راكداً، فهو لم يؤد إلى انهيار إحدى الدولتين العثمانية أو الصفوية،

(١) د/محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، ص ٩٩ ـــ ١٠٠.

كما اتضح أن سقوط إحداهما سقوطاً مباشراً أمر متعذر، وأن الموقف يتطلب محاصرة العدو بالاستيلاء على البلاد المحيطة بها. ومن هنا، فإن استيلاء العثمانيين على بلاد الشام ومصر، لم يكن سوى حلقة من حلقات الصراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية[1].

٣ ـ نظرية النزاع البرتغالي العثماني، ويرى أصحاب هذه النظرية أن العثمانيين قد اتجهوا في فتوحاتهم نحو المشرق العربي لحمايته من الخطر الأوروبي أو البرتغالي الذي كان قد بدأ يظهر حول المنافذ البحرية للمشرق العربي، وحاول أن ينفذ من مضيق باب المندب إلى البحر الأحمر بالتحالف مع حكام الحبشة المسيحيين[2].

تلك هي النظريات الثلاث التي تحاول تفسير اتجاه الفتوحات العثمانية نحو المشرق العربي في مطلع القرن السادس عشر. ونلاحظ أن النظرية الأولى تفسر هذا الاتجاه من زاوية الأحداث المحلية المحيطة بالمشرق العربي. أما النظرية الثالثة فتفسر الاتجاه العثماني الجديد من زاوية الأحداث العالمية التي أخذت بدورها تؤثر في مناطق الشرق الأوسط.

ورغم تعصب كل فريق من المؤرخين لرأيه أو نظريته، فإننا لا نرى ما يمنع من أن تكون هذه العوامل جميعها مسؤولة مسؤولية مشتركة عن الاتجاه الشرقي للدولة العثمانية. وعلى كل حال، فإن السلطان سليم الأول عاد إلى بلاده بعد أن تجاوزت الاستيلاءات العثمانية الجديدة مع حدود دولة المماليك بشرق الشام وغرب الفرات، وهما منطقتان هامتان لدولة المماليك لاعتبارات سياسية واقتصادية[3].

(١) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص ٧٦ ــ ٨٤.

(٢) د. محمد أنيس، د/السيد رجب حراز، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة ١٩٦٧، ص ٣٥ ــ ٤٠.

(٣) د/السيد رجب حراز، المدخل إلى العالم العربي الحديث، القاهرة ١٩٨٠، ص ١٣ ــ ١٤.

والحقيقة أن أسباب النزاع كانت قد توفرت بين الدولة العثمانية وبين دولة المماليك التي كانت تحكم وقتذاك مصر والشام ولها سيادة على إقليم الحجاز. وأهم هذه الأسباب هي:

١ ـ الخلاف على تخطيط الحدود بين الدولتين في طرسوس في المنطقة الواقعة بين الطرف الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى وبين شمالي الشام. فقد تناثرت في هذه المنطقة إمارات وقبائل تأرجحت في ولائها بين الدولة العثمانية ودولة المماليك. وكان هذا التأرجح مبعث اضطراب في العلاقات بين الدولتين ومصدر نزاع مستمر. وأراد السلطان سليم الأول بادئ ذي بدء أن يحسم مسألة الحدود بالسيطرة تماماً على منطقتها وسكانها.

٢ ـ إن السلطان قانصوه الغوري (٩٠٧ - ٩٢٢هـ / ١٥٠١ - ١٥١٦م) سلطان دولة المماليك آوى إليه بعض الأمراء العثمانيين الفارين من وجه السلطان سليم (وعلى رأسهم الأمير أحمد أخ السلطان سليم) وأراد الغوري أن يتخذ من وجود هؤلاء الأمراء لديه أداة لإثارة مزيد من المتاعب في وجه السلطان سليم.

٣ ـ السياسة التي اتبعها السلطان الغوري في أثناء الحرب التي قامت بين السلطان سليم وبين الشاه إسماعيل الصفوي. فقد وقف الغوري موقفاً غير ودي من العثمانيين دون أن يفيد هذا الموقف الشاه إسماعيل على الإطلاق، فهو لم يلتزم الحيدة التامة بين العثمانيين والصفويين، وهو لم يتخذ موقفاً عدائياً صريحاً من السلطان سليم. وكان في استطاعته لو اتخذ الموقف العدائي أن يتقدم لمساعدة الصفويين وقت توغل الجيش العثماني في الأراضي الفارسية، وكان في استطاعته أن يتقدم في أراضي الدولة العثمانية والجيش العثماني بعيد عنها، وتكون النتيجة أن هذا الجيش يعجز عن الدفاع عن بلاده

وعن الإغارة على فارس. ولكن لم يحدث شيء من هذه الخطط العسكرية، واكتفى السلطان الغوري بتأييد شكلي بذله للشاه إسماعيل بأن منع هدايا كانت مرسلة من الهند إلى الآستانة[1].

ولهذه الأسباب، لم تلبث أن استعرت الحرب بين الدولتين العثمانية والمملوكية واستطاع العثمانيون إنزال هزيمة ساحقة بالجيش المملوكي في معركة مرج دابق شمالي حلب في ٢٤ أغسطس عام ١٥١٦م (٩٢٢هـ)، وسقط السلطان الغوري صريعاً من على حصانه من صدمة الهزيمة وضاعت جثته بين آلاف الجثث.

ولما رأى السلطان سليم عمق الهزيمة التي أنزلها بالمماليك، وسع نطاق الحرب وتساقطت تباعاً في يده وفي غير عناء المدن الكبرى في الشام: حلب وحماه وحمص ودمشق التي أقام بها قرابة شهرين تسابق خلالهما الأمراء والأعيان إلى السلطان يعلنون ولاءهم للحكم الجديد. وتشجع سليم الأول على غزو مصر بعد غزو الشام، وواصل زحفه جنوباً حتى بلغ مصر. وكان الأمراء المماليك في مصر قد اختاروا طومان باي سلطاناً للدولة المملوكية، واستعد لمواصلة الكفاح. والتحم الجيشان العثماني والمملوكي في موقعة الريدانية في ٢٣ يناير ١٥١٧م (٩٢٣هـ) واشترك فيها السلطان سليم وطومان باي. وكانت الخسائر من الجانبين فادحة. وقد لقي المماليك الهزيمة، ودخل العثمانيون القاهرة وقبضوا على السلطان طومانباي، وتم شنقه في ٢٣ إبريل ١٥١٧م (٩٢٣هـ) عند باب زويلة، وطويت دولة المماليك ودخلت الشام ومصر في نطاق الممتلكات العثمانية[2].

وفي أثناء إقامة السلطان سليم الأول في مصر ـ وقد امتدت ما

(١) إسماعيل شرهنك، تاريخ الدولة العثمانية ص ٧٠ ــ ٧٤.
(٢) د. عمر عبد العزيز عمر، الشرق العربي المعاصر، الإسكندرية ١٩٩٠، ص ٢٥ ــ ٣٠.

يقرب من تسعة أشهر ـ دخل إقليم الحجاز دخولًا سلمياً تحت السيادة العثمانية، إذ رأى الشريف بركات شريف مكة أن يتحول بولائه إلى العثمانيين. وكان إقليم الحجاز تحت السيادة الاسمية لدولة المماليك. وكانت مصر ترسل كل عام الأموال والغلال لفقراء مكة والمدينة والمرتبات والهدايا لأشراف الحجاز. ولما دخل السلطان سليم القاهرة، وجد بها بعض القضاة ورجال العلم من الحجاز كان الغوري قد اعتقلهم، فأطلق سليم سراحهم. وأشاروا عليه بأن يكتب إلى شريف مكة الشريف بركات يدعوه إلى الدخول في طاعة العثمانيين. واستجاب بركات للدعوة التي تلقاها من السلطان سليم وأرسل ابنه إلى القاهرة يحمل للسلطان التهاني ومفاتيح الحرمين الشريفين. وقد أكرم وفادة الابن وأعطاه تفويضاً بحكم والده. وقرئ التفويض في مكة المكرمة وخطب باسم سليم، واحتفظت الدولة العثمانية بنظام الشرافة كما كان في أيام دولة المماليك(١).

ولقد ترتب على بسط السيادة العثمانية على إقليم الحجاز، ظهور العثمانيين في البحر الأحمر ومحاولتهم استكمال سيطرتهم عليه بالاستيلاء على اليمن وإنقاذ هذا البحر من الخطر البرتغالي الزاحف عليه من المحيط الهندي، بعد أن أصبحت لهم ممتلكات تقع على شاطئه، فأصبح الدفاع عن هذه الممتلكات واجباً تفرضه كرامة الدولة ومصلحتها(٢).

وعلى العموم، فمن الثابت أن الجبهة العسكرية العريضة التي فتحها السلطان سليم الأول في الشرق الإسلامي قد أسفرت عن نتائج هامة نذكر منها:

١ ـ إن حكم السلطان سليم الأول وقد امتد ثماني سنوات

(١) د/عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية جـ ١، ص ٢٠ ــ ٢١.
(٢) د/عبد الرحيم عبد الرحمن، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة ١٩٨٣، ص ٢١.

(٩١٨ - ٩٢٧هـ / ١٥١٢ ـ ١٥٢٠م) لم يشهد إرسال حملة عسكرية إلى أوروبا. وكانت علاقته بالحكام المسيحيين في البلقان، والذين يدينون له بالولاء والطاعة، تتسم بالطابع السلمي.

٢ ـ اكتسبت الدولة العثمانية صبغة عربية لم تكن لها من قبل، وبرزت فيها الصبغة الإسلامية، وزاد عدد رعاياها المسلمين زيادة كبيرة جداً بدخول سكان الشام ومصر والحجاز في نطاق الدولة العثمانية. وبعد أن كانت الدولة عندما تولى سليم عرشها دولة بلقانية أناضولية، أصبحت عند وفاته دولة آسيوية إفريقية بلقانية. وقد زادت مساحة الدولة على عهده إلى ضعف ما كانت عليه قبل أن يرتقي عرشها.

٣ ـ ورثت الدولة العثمانية تركة مثقلة هي تركة دولة المماليك ومشكلاتها وكان أهمها مسألة تحويل طريق التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح، والانهيار الاقتصادي الذي حدث في المنطقة العربية نتيجة هذا التحول، والتفوق البرتغالي الساحق في منطقة الخليج العربي، ومواجهة الخطر البرتغالي في البحر الأحمر الذي كان قد استفحل شره بعد تحالف الحبشة مع البرتغال[١].

المرحلة الثالثة من الفتح العثماني:

تبدأ هذه المرحلة منذ ارتقاء السلطان سليمان القانوني عرش الدولة العثمانية عام (٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) وتستمر على عهد خلفائه. وفي هذه المرحلة اتجهت الدولة العثمانية في عملياتها الحربية نحو أوروبا وآسيا وإفريقيا. وبرز في هذه العمليات النشاط الحربي البحري، فكان للدولة نشاط واضح، سواء في البحر المتوسط، حيث استولت على عدة جزر منها

(١) د/السيد رجب حراز، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، ص ٢٣ ــ ٢٤.

رودس وقبرص وكريت، وعلى امتداد الشاطئ الشمالي لإفريقيا، وسواء في المحيط الهندي في محاولة لضرب البرتغاليين بعد أن استفحل خطرهم في المياه الشرقية، وبعد أن شنوا حرباً عنيفة على التجارة العربية وعملوا على خنق العرب في مياههم الداخلية[١].

وفيما يتعلق بالنشاط الحربي في الجبهتين الآسيوية والإفريقية، نجح السلطان سليمان القانوني في انتزاع العراق كله من أيدي الصفويين في فارس عام (٩٤١هـ / ١٥٣٤م)، ووجه اهتمامه لتوطيد دعائم الحكم العثماني في اليمن، فأرسل عام (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) حملة سليمان باشا الخادم وكانت هذه الحملة تتكون من ثمانين سفينة، تم بناؤها في مصر، وأبحرت من السويس وكانت أول حملة عثمانية رئيسية إلى اليمن، وتمثل بداية الجهود المضنية والتضحيات الدامية التي بذلتها الدولة العثمانية في اليمن. وكان استيلاء العثمانيين على عدن أهم نتائج هذه الحملة[٢].

وكان للعثمانيين على عهد السلطان سليمان نشاط بحري في منطقة الخليج العربي، واتصل العثمانيون بالإمارات العربية هناك مثل عمان والإحساء والبحرين والكويت. ومع ذلك، فقد فشل العثمانيون في تحطيم قوة البرتغاليين في البحار الشرقية، ولذلك تخلوا بعد عام (٩٦٢هـ / ١٥٥٤م) عن سياسة محاربة البرتغاليين في المحيط الهندي. وتحدد دور اليمن في سياسة العثمانيين ابتداء من عام (٩٦٢هـ / ١٥٥٤م) باتخاذه قاعدة عسكرية للدفاع عن البحر الأحمر الذي جُعل بحراً إسلامياً مغلقاً يحرم على السفن غير الإسلامية الإبحار فيه[٣].

---

(١) الميرالاي إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٧٥ ــ ٨٠.
(٢) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص ٩٠ ــ ٩٢.
(٣) د/عبد الكريم غرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث، دمشق ١٩٦٠، ص ٣٥ ــ ٤٠.

وأرسل السلطان سليمان عام (٩٦٣هـ / ١٥٥٧م) جيشاً عثمانياً إلى سواكن ومصوع، واستولى عليهما منتهزاً فرصة اندلاع حرب أهلية في الحبشة. وبسط العثمانيون نفوذهم على الشاطئ الشرقي لإفريقيا، ولكنهم لم يتوغلوا في داخل القارة الإفريقية[1].

(١) د/رأفت الشيخ، في تاريخ العرب الحديث، القاهرة ١٩٨٩، ص ٢٦.

الفصل الثاني

الفتح العثماني في أوروبا

أورخان بن عثمان (٧٢٧ - ٧٦٢هـ / ١٣٢٦ - ١٣٦٠م)

تولى السلطنة بعد عثمان ابنه الأكبر أورخان عام ٧٢٧ هـ/١٣٢٦ م، ويعتبر المؤسس الثاني للدولة العثمانية. وقد قام بدور كبير في حياة أبيه لما يتمتع به من عقلية تنظيمية، إذ قسم شؤون الدولة بين أخيه علاء الدين وبين ولديه سليمان ومراد. وجعل من أخيه وزيراً يختص بتنظيم الشؤون الداخلية، فكان علاء الدين أول وزير في تاريخ الدولة العثمانية. وانصرف أورخان إلى العمليات الحربية وهكذا سارت العمليتان جنباً إلى جنب البناء الداخلي والفتح. وقد اتخذ لنفسه لقب سلطان، وبذلك يكون أول العثمانيين في تلقيب نفسه بهذا اللقب(١).

وقد استولى العثمانيون في عام (٧٣١هـ / ١٣٣٠م) على مدينة نيقيا (استك الحالية) وكانت من أهم المدن في الامبراطورية البيزنطية، وعهد أورخان إلى ابنه الأكبر وولي عهده سليمان بحكم هذه المدينة، واستولى عام ١٣٣٧ على نيقوميديا (أزمت الحالية) وكانت آخر معقل

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٠٩ ــ ٤١٠.

للدولة البيزنطية في الركن الشمالي من شبه جزيرة آسيا الصغرى. وبسقوط هذه المدينة والمنطقة الغربية من الأناضول، انفسح الطريق أمام العثمانيين للوصول إلى البسفور(١).

ولم يلبث أن ضاعف أورخان مساحة الأراضي التركية المطلة على بحري مرمرة وإيجة، وذلك باستيلائه على دويلة «قره سي»، وقوى جيشه بعد ذلك بإنشاء الجيش الانكشاري، وهو جيش من المشاة قوامه أبناء المسيحيين(٢).

فقد فرضت الدولة العثمانية ضريبة آدمية على العائلات المسيحية في البلاد التي فتحوها، فكانوا يأخذون ولداً واحداً من كل أسرة مسيحية. ويطلق على هذه الضريبة في اللغة التركية «ديو شيرمة» أي ضريبة الغلمان. وكان العثمانيون يمارسون في العادة جمع الأولاد من الريف والقرى. وكانت الدولة تعمل على تحويل الأولاد إلى الإسلام. ويتلقون تربية عسكرية دينية، فيتعلمون مبادئ الدين الإسلامي واللغة التركية والتاريخ الإسلامي العام والنظم العثمانية وغيرها، وفق مناهج تعمل على حب الدين الإسلامي والدولة العثمانية(٣).

وعلى العموم، فقد اتسمت فترة حكم أورخان بأمرين أولهما: اتساع الفتوحات العثمانية في عهده، وثانيهما تنظيم الحكم في الدولة بعد اتساع رقعتها، وقد عمل هذا التنظيم على استقرار الدولة وتوسعها وقد أصدر السلطان أورخان مجموعة القوانين لتنظيم أمور الحكم وضرب العملة الذهبية والفضية وأسس الجيش الجديد(٤).

---

(١) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية بيروت ١٩٧٧، ص ٤٢ ــ ٤٤.
(٢) نفس المرجع.
(٣) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، ص ٣٥ ــ ٤٠.
(٤) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤١٠ ــ ٤١٥.

وعلى كل حال، فإن الإمبراطور البيزنطي يوحنا باليولوج Paléolgue لم يستطع أن يغير شيئاً من الوضع العسكري للعثمانيين في تراقيا وحول بحر مرمرة، حيث إن أورخان استولى على جزيرة غاليبولي عام (٧٥٩ هـ / ١٣٥٧م)، علاوة على أنه كان قد حاصر القسطنطينية عام (٧٣٨ هـ/ ١٣٣٧م) لكنه لم يتمكن من فتحها. واضطر الإمبراطور إلى عقد معاهدة مع السلطان أورخان اعترف بموجبها بمركز العثمانيين في إقليم تراقيا، كما تقرر في هذه المعاهدة أن يتزوج خليل ابن السلطان من ابنة الإمبراطور والبالغة من العمر عشر سنوات، وقد شهد عام (٧٦١هـ / ١٣٥٩م) موت سليمان، فحزن عليه والده أورخان حزناً شديداً عجل بموته في العام التالي، وتولى بعده ابنه الثاني مراد الأول(١).

السلطان مراد الأول (٧٦١ - ٧٩١ هـ / ١٣٦٠ ــ ١٣٨٨م)

كان مراد الأول محارباً قديراً ذا نزعة دينية قوية، وكان شديداً في تمسكه بالنظام، عادلاً مع رعاياه، كريماً مع جنوده، وأولع ببناء المساجد والملاجئ والمدارس. وقد جمع إلى جانبه مجموعة من خيرة القادة والخبراء العسكريين، واستطاع أن يمضي في علياته الحربية في أوروبا وفي آسيا الصغرى في وقت واحد تقريباً(٢).

ففي أوروبا، هاجم الجيش العثماني أملاك الدولة البيزنطية، ثم استولى عام (٧٦٢ هـ / ١٣٦٠م) على مدينة أدرنة ذات الأهمية الاستراتيجية في البلقان، وكانت ثاني مدينة في الإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية. واتخذ مراد من هذه المدينة عاصمة للدولة العثمانية

---

(١) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤١٠ ــ ٤١٥.
(٢) د/سيد الدقن، المرجع السابق، ص ٢٠.

منذ عام (٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)، وبذلك انتقلت عاصمة الدولة من آسيا الصغرى إلى أوروبا، وتحولت أدرنة من مدينة بيزنطية مسيحية إلى عاصمة عثمانية إسلامية. وقد استهدف مراد من هذه النقلة:

١ ـ استغلال مناعة استحكامات أدرنة الحربية وقربها من مسرح العمليات الحربية.

٢ ـ أراد مراد أن يتيح الفرصة أمام العثمانيين كي يهضموا الأقاليم الأوروبية التي وصلوا إليها في زحفهم ويوطدوا أقدامهم فيها.

٣ ـ لما كانت أدرنة تقع بفضل موقعها الجغرافي وسط بلاد يدين سكانها بالنصرانية، فقد أراد السلطان مراد أن يجعل من هذه المدينة مركزاً لجمع أبناء النصارى للتجنيد[1]. والواقع أنه سرعان ما تركزت في هذه العاصمة الجديدة جميع المقومات اللازمة للنهوض بالدولة وأصول الحكم، فتكونت فيها فئات الموظفين وفرق الجيش وطوائف رجال القانون وعلماء الدين، وأقيمت دور المحاكم وشيدت المدارس المدنية والمعاهد العسكرية لتدريب الانكشارية. وقد ظلت أدرنة على هذا الوضع السياسي والعسكري والإداري والثقافي والديني حتى فتح العثمانيون القسطنطينية في عام (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م)، فاتخذوها عاصمة لدولتهم[2].

ولقد مضى السلطان مراد في سياسة التوسع الإقليمي في أوروبا، وانطلق جيشه يفتح مقدونيا. وكان لانتصاراته أصداء بعيدة، فتكون تحالف أوروبي بلقاني صليبي باركه البابا أوربان الخامس، وضم الصربيين والبلغاريين والمجريين، وسكان إقليم والاشيا. وقد استطاعت الدول

(١) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤١٦.
(٢) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٩ ــ ٢٢.

الأعضاء في التحالف الصليبي أن تحشد جيشاً بلغ عدده ستين ألف جندي تصدى لهم القائد العثماني «لالاشاهين» بقوة تقل عدداً عن القوات المتحالفة، وقابلهم على مقربة من «تشيرمن» على نهر مارتيزا، حيث وقعت مذبحة مروعة واضطرب نظام الجيش المتحالف ولاذ بالفرار الأميران الصربيان، ولكنهما غرقا في نهر مارتيزا، ونجا ملك المجر من الموت بأعجوبة. وقد نجم عن هذا الانتصار نتائج هامة بالنسبة للعثمانيين: فقد استكملوا فتح إقليم تراقيا ومقدونيا ووصلوا إلى جنوبي بلغاريا وإلى شرقي صربيا واستمر مراد يستولي تباعاً على المدن من أملاك الدولة البيزنطية وبلغاريا وصربيا، والتي كانت تتساقط في أيديهم كأوراق الخريف[1].

ولم يلبث أن واجه العثمانيون عام (٧٩٠ هـ/١٣٨٧م) تحالفاً بلقانياً صليبياً جديداً: فقد عقد «لازار» ملك الصرب معاهدة تحالف مع «شيشمان» ملك بلغاريا، واستهدف الملكان إعداد حملة جرارة ضد العثمانيين. وقد ضمت هذه الحملة ـ عدا القوات الصربية والبلغارية قوات من البوسنة والهرسك ومن ألبانيا وبولندا والمجر. وبلغت القوات التي حشدت قرابة مائتي ألف جندي. وسرعان ما زحف مراد بقوات جرارة رهيبة، وتقابل الجيشان في ١٥ يونيو ١٣٨٩ م/٧٩٢ هـ في قوصوه، حيث دارت معركة بالغة العنف. وعلى الرغم من الخسائر الفادحة التي تكبدها العثمانيون، فقد انتهت بانتصارهم. وبينما كان السلطان مراد يتفقد ميدان القتال بعد المعركة، طعنه أحد الجرحى الصربيين بخنجر، فتوفي على الفور[2].

وكان من أهم نتائج معركة قوصوه ما يلي:

---

(١) إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، القاهرة ١٩٠٥، ص ٤٢.

(٢) عبد الكريم رافق، المرجع السابق، ص ٣٤.

١ ـ ضياع استقلال بلاد الصرب حتى القرن التاسع عشر.

٢ ـ انتشار الإسلام بين الصربيين: فقد تحول عدد كبير من الأشراف القدامى والطاعنين في السن إلى الإسلام بمحض إرادتهم، إذ وجدوا أنه من المتعذر عليهم الهجرة إلى البلاد النصرانية المجاورة من ناحية، ورغبة في الاستبقاء على امتيازاتهم القديمة من ناحية أخرى. وكان العثمانيون قد قرروا الإبقاء على هذه الامتيازات لمن يعتنق الإسلام، ولكن ظل السواد الأعظم من الصربيين متمسكاً بالنصرانية[1].

السلطان بايزيد الأول (٧٩٢ - ٨٠٥ هـ / ١٣٨٨ - ١٤٠٣م)

تولى بايزيد الحكم بعد استشهاد والده مراد، ولم يكن بايزيد الأول أقل حماساً من أبيه في الفتوحات، فاهتم اهتماماً كبيراً بالشؤون العسكرية، وولى وجهه صوب الإمارات البيزنطية في الأناضول، ولم يمض عام من ولايته حتى فقد البيزنطيون آخر ممتلكاتهم في آسيا الصغرى، وهي مدينة آلاشهر. وبذلك انحصر نفوذ الإمبراطور البيزنطي «مانويل» على أتباعه في الغرب. وكان بايزيد سريعاً في تنقلاته الحربية بين الجبهتين الأناضولية والبلقانية حتى أطلق عليه «الصاعقة»[2].

ورأى السلطان بايزيد الأول بادئ ذي بدء أن يقيم علاقات ودية مع ما تبقى من دولة الصرب بالرغم من أن هذه الدولة هي التي دعت إلى قيام تحالف بلقاني ضد العثمانيين، وهي التي تزعمت الحرب ضدهم. وقد استهدف بايزيد من هذه السياسة اتخاذ الصرب دولة حاجزة بينه وبين المجر، إذ كان يخشى أن تنتهز فرصة انشغاله في

(١) محمد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص ٤٥.

(٢) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤١٩.

الجبهة الأناضولية فتغير على الأقاليم العثمانية في البلقان. وفضلًا عن ذلك، فقد كان يريد أن يتخذ من دولة الصرب حليفة له في الحروب التي كان لا بد له من خوضها، لأنه كان قد وطد العزم على اتباع سياسة حربية نشيطة تستهدف ضم الإمارات السلجوقية التركية الإسلامية في آسيا الصغرى ما استطاع إلى ذلك سبيلًا[1].

وتمشياً مع سياسته تجاه الصرب، وافق بايزيد على أن يحكمها ابنا الملك «لازار» الذي ذبح في معركة قوصوه، وفرض عليهما أن يكونا حاكمين على صربيا، يحكمانها حسب قوانين بلاد الصرب وتقاليدها وعاداتها، ويدينان له بالولاء ويقدمان له جزية سنوية وعدداً معيناً من الجنود يشتركون في فرقة خاصة بهم إلى جانب الجيش العثماني.

وبعد أن فرغ من هذا التخطيط السياسي، قام بايزيد عام (٧٩٧هـ / ١٣٩٣م) باكتساح بلغاريا وإخضاع سكانها، وبذلك فقدت البلاد استقلالها السياسي. وكان لسقوط بلغاريا في أيدي العثمانيين دوي هائل في أوروبا وعم الجزع أنحاءها. وبعث سيجسموند ملك المجر إلى السلطان بايزيد يعنفه ويسأله بأي حق سولت له نفسه غزو بلغاريا، وذلك لأن الموقف بالنسبة لبلاد المجر يزداد خطورة يوماً بعد يوم نتيجة اقتراب العثمانيين من حدود المجر[2].

ومن ثم، فقد واجه بايزيد الأول تكتلًا دولياً مسيحياً صليبياً، كان أكبر التكتلات التي واجهتها الدولة العثمانية في القرن الرابع عشر، من حيث عدد الدول التي اشتركت فيه، ثم أسهمت فيه بالسلاح والعتاد والأموال والقوات. وقد دعت إلى هذا التكتل شخصيتان هما:

---

(١) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤١٩ .

(٢) إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٣ ــ ٢٤.

سيجسموند ملك المجر والبابا بونيفاس التاسع. وبلغ العدد الإجمالي لهذه الحملة الصليبية ١٢٠,٠٠٠ مقاتل من مختلف الجنسيات (ألمانيا وفرنسا وإنجلترا واسكتلندا وسويسرا ولوكسمبرج والأراضي المنخفضة الجنوبية وبعض الإمارات الإيطالية)[1].

وسارت الحملة عام (٨٠٠ هـ / ١٣٩٦م) إلى المجر، ولكن قادتها اختلفوا مع سيجسموند قبل بدء المعركة. فقد كان سيجسموند يؤثر الانتظار حتى يبدأ العثمانيون الهجوم، ولكن قواد الحملة رأوا أن يبدؤوا الهجوم، فانحدروا مع نهر الدانوب حتى وصلوا إلى نيكوبوليس شمال البلقان وشرعوا في حصارها وتغلبوا في أول الأمر على القوات العثمانية، إلا أن بايزيد ظهر فجأة ومعه حوالي مئة ألف جندي، وهو عدد يقل قليلًا عن الصليبيين، ولكنه يتفوق عليهم نظاماً وسلاحاً، فاضطر معظم المسيحيين إلى الفرار، وقتل وأسر عدد من قادتهم. وخرج العثمانيون من معركة نيكوبوليس بغنائم وفيرة واستولوا على ذخائر العدو[2].

وقد أدى انتصار العثمانيين على هذا التكتل الدولي الصليبي الواسع النطاق إلى توطيد أقدامهم في البلقان، حيث انتشر الفزع بين الشعوب البلقانية، وخضعت خضوعاً تاماً البوسنة وبلغاريا، وراح الجنود العثمانيون يتتبعون فلول الصليبيين في ارتدادهم. واقتص السلطان بايزيد من حكام شبه جزيرة المورة اللاتين الذين قدموا مساعدة عسكرية للصليبيين، فدمر أراضيهم[3].

---

(١) د/علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، بيروت ١٩٨١، ص ٢٤ ــ ٢٥.

(٢) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤٢٠.

(٣) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، ص ٧٣ ــ ٧٤.

وفي عام ٨٠١ هـ/١٣٩٧ م طلب السلطان بايزيد الأول من مانويل الثاني إمبراطور الدولة البيزنطية تسليمه القسطنطينية، فرفض الإمبراطور والحق أن الاستيلاء على القسطنطينية كان هدفاً رئيسياً في البرنامج الحربي للسلطان بايزيد الأول. ولذلك فقد تحرك على رأس قواته يضرب نطاقاً محكماً من الحصار حول هذه العاصمة ويضغط عليها ضغطاً لا هوادة فيه[1].

وبينما كانت أوروبا تتوقع سقوط العاصمة العتيدة بين يوم وآخر، إذا بالسلطان ينصرف عن فتح القسطنطينية، بل ينصرف عن التوسع الإقليمي في أوروبا ليوجه كل طاقات الدولة لدفع خطر الغزو المغولي الذي هدد الدولة في كيانها ووجودها. وقد زحف تيمور الأعرج على رأس قوات جرارة من المغول على آسيا الصغرى. فأسرع بايزيد لمهاجمته، وتقابل الجيشان في معركة أنقرة في ٢٠ يوليو ١٤٠٢م (٨٠٤هـ) وانتصر المغول ووقع بايزيد في الأسر، وظل يرسف في أغلاله حتى وافاه الأجل في السنة التالية[2].

وكان هجوم تيمور الأعرج على الدولة العثمانية من أكبر معوقات الزحف العثماني العسكري على أوروبا. وكان من نتائج هذا الهجوم أن تأخر فتح القسطنطينية خمسين سنة. ولولا غزوة تيمورلنك لفتح بيازيد هذه العاصمة.

وتعرضت الدولة العثمانية لخطر آخر بعد أن انسحب تيمورلنك من آسيا الصغرى إلى عاصمته سمرقند. فقد نشبت حرب أهلية في الدولة بين أبناء بايزيد على العرش، واستمرت هذه الحرب عشر سنوات (٨٠٦ - ٨١٦هـ / ١٤٠٣ - ١٤١٣م) وانتهت باعتلاء السلطان محمد بن

(١) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، ص ٧٣ - ٧٤ .
(٢) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤٢٠.

بايزيد، وقد عرف باسم السلطان محمد الأول، ويسمى أيضاً السلطان محمد شلبي (٨١٦ - ٨٢٤ هـ / ١٤١٣ - ١٤٢١م).

محمد الأول (٨١٦ - ٨٢٤ هـ / ١٤١٣ - ١٤٢١م)

وكان السلطان محمد الأول شديد البأس وافر النشاط. ومع أنه لم تكن له فتوح حربية، فقد أسدى إلى الدولة خدمة جليلة. إذ أزال آثار هزيمة معركة أنقرة، وعمل على تنظيم الدولة، بحيث مهد الطريق أمام خلفائه السلاطين ليتابعوا سياسة التوسع الإقليمي من جديد، سواء في أوروبا أو في غيرها. ولما تولى ابنه مراد الثاني العرش، استأنف الزحف العسكري على أوروبا(١).

السلطان مراد الثاني (٨٢٤ - ٨٥٥ هـ / ١٤٢١ - ١٤٥١م)

تولى عرش الدولة بعد والده السلطان محمد الأول، واستأنف سياسة التوسع الإقليمي، وساعده على تنفيذ برنامجه أن حكمه قد امتد ثلاثين عاماً. وكان يمتاز بالنشاط والكفاية العسكرية والاستقامة الخلقية.

وفي مستهل حكمه، عمل مانويل الثاني امبراطور الدولة البيزنطية على إثارة المتاعب في وجهه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، واتخذ من عم للسلطان يسمى مصطفى وسيلة لهذه الغاية. وبتحريض من الإمبراطور، وبمساعدات من اليونانيين، حاصر مصطفى مدينة غاليبولي ابتغاء انتزاعها من السلطان واتخاذها قاعدة له. واستطاع مراد الثاني أن يرفع الحصار عن هذا الثغر الهام وأن يقبض على مصطفى ويقدمه للمشنقة. ومع ذلك، فقد مضى الإمبراطور مانويل الثاني يكيد كيداً للسلطان، واستطاع أن يحتضن شقيقاً لمراد الثاني اسمه مصطفى، ولم يكن يتجاوز

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٢٩ - ٣١.

الثالثة عشرة من عمره، ووضعه على رأس قوة استولت على مدينة نيقيا في الأناضول، وسار إليه مراد، وكانت نهايته على غرار سميه مصطفى: الاستسلام ثم الشنق. ومن ثم، فقد قرر مراد أن يقتص من الإمبراطور باحتلال سالونيك، فهاجمها ودخلها عنوة في ٢٠ مارس، ١٤٣٠، (٨٣٣ هـ) ودمرها تدميراً. ولم يعاود هذا الثغر الهام الازدهار إلا تدريجياً، حيث استعاد نشاطه في ظل الحكم العثماني[١].

وقبل أن يحتل العثمانيون سالونيك ويدمروها عام (٨٣٣ هـ / ١٤٣٠م)، كان اهتمام السلطان مراد الثاني موجهاً نحو القضاء على حركات التمرد التي قامت بها الشعوب البلقانية والعمل على تثبيت دعائم الحكم العثماني في البلقان إذ كانت توجد جاليات ألبانية في بلاده المورة أبدت نوعاً من المقاومة للحكم العثماني. واستطاع الجيش العثماني القضاء على هذه الحركة. ويقال إن العثمانيين جمعوا رؤوس القتلى ووضعوها في ترتيب خاص على شكل الأهرامات. واتجه جيش عثماني نحو الشمال حيث أخضع إقليم ولاشيا وفرض عليه جزية سنوية، واضطر ملك الصرب الجديد (ستيف لازار ميتش) إلى مسايرة العثمانيين وجدد ولاءه للسلطان: واتجه جيش عثماني نحو الجنوب، حيث وطد دعائم الحكم العثماني في بلاد اليونان[٢].

ولم يلبث أن استأنف السلطان مراد الثاني سياسة التوسع الإقليمي، وحارب في جبهتين رئيسيتين، هما: ألبانيا والمجر.

فقد دخل العثمانيون ألبانيا عام (٨٣٤ هـ / ١٤٣١م) وركزوا هجومهم على الجزء الجنوبي من البلاد. أما شمالي ألبانيا، فقد خاض العثمانيون فيه صراعاً حربياً مريراً، وتمكن الألبانيون الشماليون من إبادة

---

(١) محمد فريد بك، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٢) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٦٣.

جيشين عثمانيين في جبال ألبانيا، كما ألحقوا الهزيمة بحملتين عثمانيتين متعاقبتين كان يقودهما السلطان مراد بنفسه، وتكبد العثمانيون خسائر فادحة في الأرواح أثناء عمليات الانسحاب. ولا شك أن هذا العنف الذي أبداه الألبانيون في المقاومة، كان مرده إلى المساعدات التي كانوا يظفرون بها من البندقية عن طريق البحر. فقد كانت حكومة البندقية تدرك خطورة السيطرة العثمانية على هذا الإقليم الهام بشاطئيه وموانئه الهامة، وأن في استطاعة العثمانيين قطع خطوط المواصلات البحرية التي تربط البندقية بحوض البحر المتوسط والعالم الخارجي، وأنه في استطاعتهم حجز سفن البنادقة داخل بحر مغلق هو بحر الأدرياتيك. وهكذا لم يشهد السلطان مراد الثاني استقراراً للحكم العثماني في ألبانيا[1]؟

وفيما يتعلق بجبهة المجر، فقد تجددت الحرب بين العثمانيين والمجريين عام (٨٤٢ هـ / ١٤٣٨م). وفي بداية هذه الحرب، حالف التوفيق السلطان مراد واستطاع أن يهزم المجريين ويأسر منهم سبعين ألف جندي وأن يستولي على بعض المواقع، ثم تقدم لفتح بلغراد عاصمة الصرب، ولكنه أخفق في محاولته وسرعان ما تكون حلف صليبي كبير باركه البابا، واستهدف هذا الحلف طرد العثمانيين من أوروبا كلية. وشمل الحلف البابوية والمجر وبولندا والصرب وبلاد الأفلاق وجنوة والبندقية والإمبراطورية البيزنطية ودوقية برجنديا، وانضمت إلى الحلف أيضاً كتائب من الألمان والتشيك. وأعطيت قيادة قوات الحلف الصليبي إلى قائد مجري قدير هو يوحنا هنيادي. وقد قاد هنيادي القوات الصليبية البرية وزحف جنوباً واجتاز الدانوب وأوقع بالعثمانيين هزيمتين فادحتين عام (٨٤٦ هـ / ١٤٤٢م)، واضطر العثمانيون لأول مرة في تاريخهم إلى طلب

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٢٧ ـــ ٤٢٨.

الصلح، فأجيبوا إلى طلبهم، وعقدت هدنة تلتها معاهدة عام (٨٤٨ هـ / ١٤٤٤م) كانت قاسية بالنسبة للعثمانيين، فقدوا فيها أهم أقاليم بلاد الصرب ووالاشيا، وتعهد فيها مراد وفلاديسلاف ملك المجر أن يكون نهر الدانوب حداً فاصلًا لا تعبره جيوش الفريقين لمدة عشر سنوات[١].

ولقد أوفى العثمانيون بوعدهم وجلوا عن المواقع التي تقررت في المعاهدة، ولم يكد يفرغون من الانسحاب حتى قام هنيادي بهجوم على بلغاريا. ورد مراد على ذلك بأن خرج على رأس جيش جرار وهاجم قوات التجمع الصليبي عند فارنا إلا بعد مضي أربع سنوات، حين زحف على بلاد الصرب أواخر عام (٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م) على رأس جيش يتكون من (٢٥,٠٠٠) رجل من الألمان وسكان والاشيا وبوهيميا والمجر. وحينئذ زحف مراد، وهو يقود جيشاً بلغ عدده (٥٠,٠٠٠) جندي، وتقابل مع القوات المتحالفة في سهول قوصوه في ١٧ أكتوبر ١٤٤٨م (٨٥٢ هـ)، واستمرت المعركة ثلاثة أيام وانتهت بفوز ساحق للعثمانيين. وقد أخرجت هذه المعركة بلاد المجر لعشر سنوات على الأقل من عداد الدول التي تستطيع النهوض بعمليات حربية هجومية ضد العثمانيين[٢].

ولم تمض بضع سنوات على هذا الانتصار الباهر الذي تم على يدي مراد الثاني حتى توفي في ٥ فبراير ١٤٥١ م (٨٨٥ هـ) وخلفه ابنه محمد باسم السلطان محمد الثاني[٣].

السلطان محمد الثاني أو الفاتح (٨٥٥ - ٨٨٦ هـ / ١٤٥١ - ١٤٨١م)

يقترن اسم السلطان محمد الثاني بحادث هام في تاريخ الشرق

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٣١ ــ ٣٨.
(٢) د/علي حسون، المرجع السابق، ص ٣٣.
(٣) محمد فريد بك، المرجع السابق، ص ٥٧.

الأدنى هو فتح القسطنطينية، ولهذا السبب علقت باسمه صفة الفاتح. ولهذا السبب أيضاً تبوأ مكاناً بارزاً بين سلاطين الدولة العثمانية. وقد امتاز بدبلوماسية واعية متيقظة ذكية وأطماع واسعة وشجاعة في الحروب، وتعمق في دراسة الجغرافيا والتاريخ والعلوم العسكرية. وكان يتكلم التركية والعربية والفارسية واليونانية، كما اهتم ببناء المساجد والمنشآت الخيرية، واستقدم لهذا الغرض صفوة الفنانين اليونانيين والإيطاليين[1].

ولقد أراد محمد الثاني منذ الأيام الأولى لحكمه حسم مشكلة القسطنطينية بالاستيلاء على هذه المدينة، فقد كانت تتخذ وكراً للمؤامرات التي تدبر ضد الدولة العثمانية. ولذلك استعد السلطان سياسياً وعسكرياً للاستيلاء على القسطنطينية وكان من بين الإجراءات السياسية التي اتخذها أنه جدّد المعاهدات واتفاقيات الهدنة مع جميع جيرانه والأمراء الذين تربطهم بالدولة علاقات معينة مثل البندقية وجنوة والصرب ووالاشيا وفرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس. وكان هدفه من وراء تجديد هذه الاتفاقيات، عزل الدولة البيزنطية سياسياً وعسكرياً عن الدول والإمارات سواء المجاورة أو المتاخمة لها. أما عن الإجراءات العسكرية، فقد أكمل إقامة المنشآت التي بدأها السلطان بايزيد الأول على مقربة من القسطنطينية. وكان هذا السلطان قد شيد قلعة على الجانب الآسيوي من البسفور، فشيد السلطان محمد على الجانب الأوروبي للبسفور قلعة أخرى على بعد لا يتجاوز سبعة كيلومترات من أبواب القسطنطينية عند أضيق نقطة من البسفور. وبهذا العمل سيطر العثمانيون على ضفتي البسفور[2].

---

(١) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤٢٩.

(٢) د/علي حسون، المرجع السابق، ص ٣٤.

ومنذ شهر أبريل ١٤٥٣ م (٨٥٧ هـ)، أحدق السلطان محمد الثاني بالقسطنطينية من ناحية البر بقوات جرارة بلغ تعدادها أكثر من ربع مليون جندي. وقد استمر الحصار ثلاثة وخمسين يوماً (٦ أبريل حتى ٢٩ مايو). وقد غمر الحماس الديني الفريقين المتحاربين، ومن ثم أخذت الحرب بينهما الطابع الديني. فقد استماتت البيزنطيون في الدفاع عن القسطنطينية على أساس أنها معقل المسيحية الشرقية، بينما صمم العثمانيون على فتحها لاتخاذها عاصمة للإسلام. وفي ٢٤ مايو ١٤٥٣م (٨٥٧هـ)، أصدر السلطان أمره بالاستعداد للهجوم العام على القسطنطينية براً وبحراً، وانتشر رجال الدين في معسكرات الجيش يصيحون «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، ويردد الجنود هاتين العبارتين في صوت هادر قوي. وبلغ الحماس الديني أقصاه حين بدأ الهجوم العثماني في ٢٨ مايو. ورغم أن المهاجمين لقوا مقاومة عنيفة عند البوابة الرئيسية التي كانت تسمى بوابة القديس رومانوس، فقد نجح الانكشارية في تسلق أسوار العاصمة في هذه الجهة، وفاجأوا الحامية التي ترابط عند بوابة أخرى. وأحيط الإمبراطور البيزنطي (قسطنطين دراجازيس) ومعه خيرة القادة والجنود بالعثمانيين من خلف ومن أمام وأصيب الإمبراطور بضربة سيف في وجهه وأخرى في مؤخرة رقبته وسقط صريعاً وسط أكوام الجثث. واقتحم العثمانيون بوابة ثالثة وتدفقوا إلى داخل المدينة يقتلون فريقاً ويأسرون فريقاً وينهبون البيوت. وفي ظهر ٢٩ مايو دخل السلطان محمد الثاني القسطنطينية من البوابة الرئيسية، وصلى صلاة الظهر في كاتدرائية القديسة صوفيا إيذاناً بتحويلها إلى مسجد. وأطلق على مدينة القسطنطينية اسلامبول أو استانبول أي عاصمة الإسلام[1].

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٣٩ ــ ٤٧. وانظر كذلك، إبراهيم بك حليم، المرجع السابق، ص ٣٠، محمد فريد بك، المرجع السابق، ص ٥٨.

ولقد كان حادث فتح القسطنطينية بداية حروب هجومية طويلة شنها السلطان محمد الفاتح على بلاد الصرب والبوسنة والهرسك والمورة وألبانيا وجمهوريتي جنوه والبندقية. ومملكة نابولي. وقد حالفه التوفيق في معظم هذه الحروب، ولكنه أخفق في الاستيلاء على بلغراد عاصمة الصرب وفي غزو جزيرة رودس، وهما موقعان هامان، لأن بلغراد كانت مفتاحاً لسهول المجر، وكانت جزيرة رودس معقلًا لفرسان القديس يوحنا يهاجمون منها السفن الإسلامية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط. وسيقوم بالاستيلاء على هذين الموقعين أحد حفدته، وهو السلطان سليمان القانوني(١).

وكان للسلطان محمد الثاني أيضاً حروب في آسيا الصغرى، حيث قضى عام ١٤٦١ على مملكة طرابزون، وهي مملكة مسيحية يونانية في شمالي الأناضول، كما خاض عام ١٤٧٣ م/٨٧٧ هـ حرباً ضد إمارة أوزون حسن التركمان في أعالي الفرات(٢).

السلطان بايزيد الثاني (٨٨٦ ــ ٩١٨ هـ/١٤٨١ ــ ١٥١٢ م)

كان سلطاناً وديعاً، نشأ محباً للأدب، متفقهاً في علوم الشريعة الإسلامية شغوفاً بعلم الفلك. واستعان بالخبراء الفنيين اليونانيين والبلغاريين في تحسين شبكة الطرق والجسور التي أقامها أسلافه للأغراض العسكرية واشتهر بمنشآته المعمارية، وكان على رأسها المسجد الذي حمل اسمه والذي شيده في الآستانة (فيما بين عامي ١٤٩٧ و ١٥٠٣ م) (٩٠٣ و ٩٠٩هـ) ، وكانت بنايته وزخرفته مستمدتين من الفن الفارسي(٣)

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٦٦ ــ ٦٧.
(٢) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني) حـ ٨، ص ٨٨.
(٣) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤٤١.

ولقد حدث نزاع شديد على العرش بين بايزيد الثاني وأخيه جم، وحاول بايزيد القبض على أخيه، ولكنه فشل، فلجأ جم إلى بلاد الشام وانحدر جنوباً حتى بلغ القاهرة لاجئاً سياسياً لدى السلطان قايتباي، فرحب به وأمده بجميع ما احتاجه من أموال للسفر مع أسرته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج. ولما عاد من الحجاز زوده السلطان قايتباي بالمال، وأغراه بإجراء اتصالات سياسية بينه وبين أخيه السلطان بايزيد الثاني تستهدف السماح له بالرجوع إلى الآستانة، بشرط تعيينه على القسم الآسيوي من الدولة العثمانية أو مشاركته في السلطنة دون حاجة إلى تجزئة أو تقسيم، ولكن بايزيد رفض رفضاً باتاً المساومة على أي من هذين الافتراضين. ولم يلبث أن قام جم بالاتصال بكبار أتباعه في الأناضول، وأثارهم ضد بايزيد، وتقدم بأتباعه ليغتصب العرش، ولكنه هزم، واستأنف المحاولة فهزم أيضاً[1].

ورأى جم بعد هزيمته الثانية ألا يلجأ إلى مصر، ولكن إلى أوروبا، فاتصل برئيس فرسان القديس يوحنا في رودس عام ١٤٨٠/٨٨٥ هـ، ولجأ إليهم. ولكن رئيس الفرسان لم يكرم وفادة جم، فبعد أن عقد معه اتفاقاً، ما لبث أن نقضه، وألقى جم سجيناً في جزيرة رودس، واكتسب بهذه الرهينة الخطيرة امتيازات لفرسان القديس يوحنا طوراً من بايزيد الثاني وطوراً من أنصار جم في القاهرة. فلما استنزف أموال الطرفين، باع رهينته للبابا أنوسنت الثامن، فلما مات هذا البابا ترك جم لخلفه اسكندر السادس ولكن الأخير لم يبق على جم طويلاً، فقد قبل من بايزيد مبلغاً مقابل دس السم لجم، ونفذ ما كلف به[2].

(١) كارل بروكلمان المرجع السابق، ص ٤٤٤.

(٢) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٧٤ ــ ٧٥.

ولا شك أن تصرفات جم المشينة بانضمامه إلى أعداء الدولة، كانت سبباً أعاق حركة التوسع الإقليمي وشل يد السلطان عن العمل الخلاق، وأصبح اهتمام السلطان منصباً على تعقب أخبار أخيه والعمل على التخلص منه بكافة الوسائل[1].

وعلى العموم، فقد حاول بايزيد الاستيلاء على سوريا ولكنه فشل. أما في الميدان الأروبي، فقد استطاع بايزيد أن يحرز نصراً بحرياً على البنادقة في خليج لبانتو ببلاد اليونان عام ١٤٩٩ م/٩٠٥ هـ، وفي العام التالي استولى على مدينة لبانتو. وباستيلاء العثمانيين على مواقع البنادقة في اليونان، أقام البابا (إسكندر السادس) بناء على طلب البنادقة ـ حلفاً ضد العثمانيين مكوناً من فرنسا وإسبانيا. وتعرض العثمانيون لهجوم الأساطيل الثلاثة: الفرنسي والإسباني والبابوي. ولكن الصلح لم يلبث أن عقد بين العثمانيين والبنادقة[2].

وكان بايزيد محباً للسلام، ونشطت العلاقات الدبلوماسية بين الدولة العثمانية وأوروبا، وكانت من قبل مقصورة على البلاد الواقعة على حدودها، ولكنها أقيمت بينها وبين البابوية وفلورنسا ونابلي وفرنسا. وعقد صلحاً مع البنادقة والمجر.

اهتم بايزيد بإنشاء المباني العامة وفعل الخيرات، فبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودور الضيافة والتكايا والزوايا والخانقاوات والمستشفيات للمرضى والحمامات والجسور، كما رتب للمفتي ومن في رتبته من العلماء في زمنه كل عام عشرة آلاف عثماني، ولكل واحد من مدرسي المدارس السلطانية ما بين سبعة آلاف وألفين

---

(١) د/سيد الدقن، المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) د./ أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٠٢.

عثماني، وكذلك رتب لمشايخ أهل الطرق الصوفية ومريديهم ولأهل الزوايا كل واحد على قدر مرتبته، وصار ذلك أمراً جارياً ومستمراً، وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن إليهم إحساناً كبيراً، ومنح العطايا والهبات لفقراء الحرمين الشريفين في مكة والمدينة[1].

ولقد كان أولاد بايزيد الخمسة يحكمون الأناضول، كل في ولايته الخاصة في حرية كاملة، إلى أن استطاع أجسرهم وأقواهم وهو سليم أن يقضي على أخيه الأكبر ثم على بقية المنافسين ثم على أبيه بأن عزله بمساعدة الانكشارية. ومع أنه أحاط أباه بكل مظاهر التكريم وهو في الطريق إلى منفاه في مسقط رأسه ديموتيقه، فإن المتداول على أقلام المؤرخين أن سليماً كلف طبيباً يونانياً بأن يدس له السم، فمات وحل محله[2].

---

(١) أحمد بن محمد الحموي، فضائل سلاطين بني عثمان، تحقيق د/محسن سليم القاهرة ١٩٩٣، ص ٣٢.

(٢) د/علي حسون، المرجع السابق، ص ٣٤.

الفصل الثالث

العثمانيون في أوج التوسع والقوة

السلطان سليم الأول (٩١٨ ـ ٩٢٦ هـ/١٥١٢ ـ ١٥٢٠م)

استولى سليم على السلطة بعد الفتنة التي عصفت بحكم والده وإجباره على التنازل عن العرش لابنه سليم. وقد أبدى سليم منذ بداية حكمه ميلًا إلى سفك الدماء، فاستهل عهده بقتل عدد كبير من إخوته، وما لبث فيما بعد أن قتل عدداً كبيراً من رعاياه وأقدر معاونيه وأبدى حبه لخوض المعارك. وكان يحب الأدب والشعر الفارسي والتاريخ. ورغم قسوته فإنه كان يميل إلى صحبة رجال العلم الذين كرمهم ورقى كثيراً منهم لتولي وظائف عليا وهامة. وكان يصطحب المؤرخين والشعراء إلى ميدان القتال ليسجلوا تطورات المعارك وينشدوا القصائد التي تحكي أخبار الماضي(١).

وعلى أي حال فقد اهتم سليم بشؤون حدوده الشرقية التي كانت تواجه احتمال الغزو بعد تولي الصفويين حكم فارس، خاصة وأنه كان أول حاكم عثماني على علم وثيق بأحوال الثغور الشرقية للإمبراطورية،

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٧٦.

فقد أقام عدة سنوات في طرابيزون وتحالف مع حكام القرم، كما أعانه ابنه سليمان في تجنيد القوات التترية التي أدت إلى توليه الحكم[1].

وقد حاول الصفويون بزعامة الشاه إسماعيل الصفوي نشر المذهب الشيعي بين القبائل في الأناضول مستغلًا سياسة السلطان العثماني بايزيد الثاني السلمية نحو الشرق وجهاده ضد القوى الأوروبية بصفة خاصة، فحاول أن ينشر المذهب الشيعي بين القبائل التركمانية في شرق الأناضول لبسط السيطرة الصفوية هناك، وتجاوبت بعض القبائل مع دعوته الشيعية. مما أثار حفيظة السلاطين العثمانيين ضد الصفويين وشعروا بفداحة الخطر الجديد الذي يمثله الشاه إسماعيل الصفوي بالنسبة للعثمانيين[2].

وفي أوائل عهد السلطان سليم الأول، ازدادت العلاقات العثمانية الصفوية سوءاً، فقبل اعتلائه العرش، وعندما كان أميراً على طرابيزون، أدرك سليم خطورة الزحف الشيعي ولذا حاول إثارة والده بايزيد لمواجهته، إلا أن محاولته ذهبت سدى. ولما اعتلى سليم العرش لم يقدم الشاه إسماعيل التهنئة إليه بهذه المناسبة، وإزاء ذلك كله، هب سليم لاستئصال الخطر الشيعي الزاحف عليه، فاستصدر سليم فتوى من شيخ الإسلام تحتم ضرورة قتال الشيعة. واستناداً على هذه الفتوى، أجرى سليم مذابح كثيرة بين الشيعة في الأناضول. ورد إسماعيل على ذلك بإقامة مذابح عامة بين السنة في بلاده. وتبادل السلطان والشاه الرسائل العنيفة وتلا ذلك أن أعلن سليم الجهاد الديني وخرج لقتال الصفويين[3].

وحدث الصدام الأول بين العثمانيين والصفويين في سهل جالديران

---

(١) احمد عبدالرحيم مصطفى،المرجع السابق، ص ٧٧.

(٢) عبد الكريم رافق، العثمانيون والعرب، ص ٥٥.

(٣) عبد الكريم رافق، العثمانيون والعرب، ص ٥٧.

بالقرب من تبريز، حيث دارت معركة في ٢٣ أغسطس ١٥١٤ م (٩٢٠ هـ) بين القوات العثمانية المسلحة بالبنادق والمدفعية وبين القوات الصفوية، وانتصر العثمانيون في المعركة. ودخل السلطان سليم تبريز عاصمة الصفويين واستولى على أموال الشاه وأمر بترحيل مهرة الصناع إلى استانبول[١].

وفي أعقاب معركة جالديران، احتل العثمانيون كردستان وديار بكر ومنطقة مرعش من أيدي زعماء التركمان كما دخلوا الموصل. ولكن بغداد والبصرة بقيتا تحت الحكم الصفوي وكان لضم الأناضول الشرقية نهائياً إلى الإمبراطورية العثمانية، نتائج استراتيجية واقتصادية هامة. فقد حمت الهضبة الأناضولية في الشرق الدولة العثمانية من الغزاة القادمين من أواسط آسيا، كما سيطر العثمانيون على طريق نقل الحرير الفارسي بين تبريز وحلب، وبين تبريز وبورصة. وإذا كان العثمانيون قد أمنوا حدودهم الشرقية بفضل انتصارهم في جالديران، فقد كشفت هذه المعركة عن حاجة الدولة الصفوية لإعادة تنظيم جيشها وإدارتها. خصوصاً بعد أن ضعفت العلاقات السياسية بين الشاه وبين القبائل التركمانية المعروفة بالقزلباش[٢].

وكانت القوة الثالثة ذات الوزن في العالم الإسلامي وقتئذ هي دولة المماليك في مصر والشام وصاحبة السيادة على الحجاز واليمن. وكانت هذه الدولة قد تولت الحكم منذ أواسط القرن الثالث عشر تقريباً، وعاش سلاطينها في رخاء من وراء الثروة التي جمعوها من بيع السلع الشرقية. كما كان للدولة المملوكية فضل إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة عام (٦٦٠هـ / ١٢٦١م)، وبذلك أضفت على نفسها الطابع

(١) عبد الكريم رافق، العثمانيون والعرب، ص ٥٧
(٢) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤٠٩ ــ ٤١٠.

الشرعي، وتبوأ سلاطينها مركزاً مرموقاً. فقد أصبح لهم المقام الأسمى على كل ملوك وحكام العالم الإسلامي، باعتبارهم حماة الخلافة، كما أصبحت للقاهرة مكانة سياسية بارزة لأنها مقر الخلافة الإسلامية[١].

ومنذ نشأة الدولة العثمانية أواخر القرن الثالث عشر، اتسمت علاقتها بالود مع الدولة المملوكية، وتبادل سلاطينهما الهدايا والتهاني في المناسبات المختلفة. ولكن في القرن الخامس عشر تاخمت حدود الدولة العثمانية حدود الدولة المملوكية في الشام، مما أوجد احتمال التصادم بينهما، علاوة على أن خروج العثمانيين إلى البحر المتوسط جعل احتمال التصادم أمراً مؤكداً، بسبب سيطرة المماليك النسبية في هذا البحر.

والواقع أن العلاقات العثمانية المملوكية تأرجحت بين التعاون والنزاع، فقد تعاونت الدولتان لصد الخطر المغولي المشترك. غير أن هذا الموقف تغير وعدل المماليك عن التحالف الدائم مع العثمانيين. ومع ذلك فإن انتصارات العثمانيين في أوروبا، قوبلت بفرح وسرور في مصر باعتبارها انتصارات للإسلام. وعندما سقطت القسطنطينية عام (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) في أيدي العثمانيين، واحتفل بهذه المناسبة في مصر، وأرسلت التهاني إلى السلطان العثماني محمد الثاني أو الفاتح (٨٥٥ - ٨٨٦هـ / ١٤٥١ - ١٤٨١م)[٢].

ومع تذبذب العلاقات العثمانية المملوكية، جرى صراع على النفوذ حول إمارة ذي القدر أو إمارة البستان، التي تقع شمال بلاد الشام وجنوب شرق آسيا الصغرى وهي أشهر الإمارات التركمانية. وقد تدخل المماليك والعثمانيون في شؤون هذه الإمارة العازلة فأيد كل منهم أميراً تركمانياً، ومارسوا النفوذ من خلاله. ونتج عن هذا اقتتال أفراد الأسرة الحاكمة في إمارة ذي القدر، وتأزم في العلاقات المملوكية العثمانية[٣].

---

(١) محمد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص ٤٢ ـــ ٤٤.

(٢) د/السيد رجب حراز، العالم العربي في التاريخ الحديث، ص ١٤ ـــ ١٥.

(٣) محمد بن أحمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٨٤، ص ٣٩٨ ـــ ٤٠٤.

ومما زاد هذه العلاقات تأزماً، إيواء المماليك للثائرين على السلاطين العثمانيين وهكذا تبلورت العلاقات بين المماليك والعثمانيين، إلا أن القتال لم ينشب إلا عام (٨٩٠هـ / ١٤٨٥م)، حين هاجمت الجيوش العثمانية بلاد الشام واستولت على بعض المواقع غير أن السلطان المملوكي قايتباي عقد صلحاً بينه وبين العثمانيين لسوء الأحوال الداخلية في مصر وانتشار القحط في البلاد. وتحسنت العلاقات بين الطرفين في مطلع القرن السادس عشر، بسبب تهديد البرتغاليين والصفويين لكل من الدولتين فقد عمل التهديد الصفوي على التقارب بين العثمانيين والمماليك، غير أن هذا التقارب لم يستمر طويلًا بسبب موقف السلطان الغوري أثناء الحرب التي قامت بين السلطان سليم الأول وبين الشاه إسماعيل الصفوي بسبب عدم مساعدة المماليك للعثمانيين، وأدى ذلك إلى الصدام بين الجانبين[١].

ويبدو أن المماليك قد أوجسوا خيفة من منافسة السلطان العثماني في السيطرة على الأماكن المقدسة في الحجاز (الحرمين الشريفين) والدفاع عن الإسلام، لذا فإن السلطان قنصوه الغوري عمل على إقامة تحالف مع الشاه إسماعيل الصفوي ضد العثمانيين، وذلك حفظاً على مناطق نفوذه في الشام وآسيا الصغرى. فسار الغوري إلى الشام، ولم تلبث الحرب أن قامت بين الغوري وسليم الأول معركة عند مرج دابق شمال حلب عام ٩٢٢ هـ/١٥١٦ م[٢]، ومني الغوري بهزيمة ساحقة، قتل فيها. وضاعت جثته بين آلاف الجثث. ثم انهارت سوريا كلها أمام جيوش سليم الأول المزود بالمدافع التي لم يألفها المماليك من قبل، ودخل سليم الأول دمشق في نفس العام،

(١) أحمد بن زنبل الرمال، آخرة المماليك (فتح مصر)، القاهرة ١٩٦٢، ص ١٩ ــ ٢٠.
(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، حـ ٣، ص ٤٤٥.

وهكذا قدر للعثمانيين أن ينجحوا في أول جولة لهم مع المماليك، مما أتاح لهم أن يتوغلوا في بلاد الشام حتى وصلوا إلى أبواب مصر[1].

وبعد بضعة أيام من معركة مرج دابق، دخل سليم حلب، واستقبله الخليفة العباسي المتوكل على الله، الذي كان بصحبة الغوري، وبقي في حلب قبل المعركة، وخطب باسم السلطان سليم في صلاة الجمعة، ولقب: خادم الحرمين الشريفين، وكان يلقب به السلاطين المماليك بحكم تبعية الحجاز لمصر. وأقام سليم في دمشق قرابة شهرين قدم إليه خلالهما زعماء البلاد فروض الولاء والطاعة[2].

وقد اختار مماليك القاهرة، على أثر مقتل الغوري، سلطاناً جديداً هو طومانباي الذي فشل في تكوين جيش جديد يواجه به العثمانيين، رغم أن السلطان سليم أراد أن يعقد صلحاً مع طومانباي، وطلب منه الاعتراف بالسيادة العثمانية على مصر، على أن يكون طومانباي نائباً عن سليم في حكم البلاد حتى مدينة غزة، وأن يذكر اسمه في الخطبة وعلى السكة. ولكن طومانباي رفض عرض السلطان سليم. وأدى ذلك إلى أن تابع سليم زحفه إلى مصر فاستولى على يافا وغزة والعريش ثم عبر سيناء ودخل الدلتا زاحفاً إلى بلبيس فالقاهرة. وفي ٢٣ يناير ١٥١٧م (٩٢٣ هـ) التقت القوات العثمانية مع القوات المملوكية في معركة الريدانية وانتصر فيها العثمانيون وهزم المماليك. وقتل منهم (٢٥,٠٠٠)[3].

---

(١) ابن زنبل، المرجع السابق، ١١ ــ ١٧.

(٢) ابن إياس، المرجع السابق، ص ٤٦٢ ــ ٤٦٣.

(٣) عن فتح العثمانيين لمصر، انظر ابن زنبل الرمال، فتح مصر، القاهرة ١٢٧٨ هـ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى ٦ أجزاء القاهرة ١٩٨٤. وكلا المؤرخين من المماليك. ولهذا نجدهما يثنيان على شجاعة طومانباي وغيره من الأمراء ويحقران من شأن الأسلحة النارية العثمانية.

وعلى أثر هزيمة المماليك في الريدانية، دخل سليم القاهرة، ثم ألقى القبض على طومان باي الذي شنق على باب زويلة. وبذلك استقر الأمر للعثمانيين وتقبل سليم ولاء زعماء القبائل البدوية الكبرى وشريف مكة، وبذلك تمت له السيطرة على البقاع الإسلامية. وكان تعيينه للشريف حاكماً على جدة والمدينة ومكة وسائر الحجاز سابقة سار عليها خلفاؤه على منوالها. وقد أضفى ضم الدولة العثمانية للأماكن الإسلامية المقدسة عليها زعامة دينية في العالم الإسلامي. وقد اهتم السلطان سليم بالأماكن المقدسة كالمسجد الأقصى وغيرها[1].

مسألة انتقال الخلافة إلى آل عثمان:

هناك مسألة ترتبط بالفتح العثماني لمصر هي ما يقال من أن المتوكل آخر الخلفاء العباسيين في القاهرة قد تنازل لسليم عن الخلافة. فالمؤرخ المصري المعاصر للفتح العثماني، وهو ابن إياس، لم يذكر شيئاً عن هذه المسألة الهامة، كما لم ترد في الرسائل التي بعث بها السلطان سليم إلى ابنه سليمان أية إشارة لتنازل الخليفة عن لقبه للسلطان. كما أن المصادر المعاصرة لا تشير إلى مسألة نقل الخلافة إلى آل عثمان الذين لا ينتسبون إلى الرسول. على أن أمراء مسلمين كانوا قد ادعوا قبل ذلك الخلافة، وكان بعضهم معاصرين لبعضهم الآخر. وحينئذ كان لقب الخلافة قد اتخذ معنى جديداً: فلم يعد يتطلب الانتماء إلى آل العباس، إذ أصبح العاهل المسلم يستمد سلطته من الله مباشرة. وهكذا ادعى مراد الأول الخلافة. ووصف محمد الأول عاصمته بدار الخلافة، وكذلك الحال بالنسبة إلى مراد الثاني ورغم أن محمداً الفاتح لم يستعمل اللقب في رسائله للملوك أو لرعاياه، فإن سليم الأول أطلق على نفسه لقب «خليفة الله في طول الأرض وعرضها» منذ عام ١٥١٤م

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٧٢ ــ ٧٣.

(٩٢٠هـ) أي قبل فتحه للشام ومصر وإعلان الحجاز خضوعه لآل عثمان[١].

فالسلطان سليم وأجداده كانوا قد أحرزوا مكانة تلائم استعمال لقب الخلافة في الوقت الذي كان فيه مركز الخليفة في القاهرة لا يعتد به. كما أن فتوح سليم جعلته أقوى حاكم مسلم معاصر، كما أعلى مكانة دخول مكة والمدينة ضمن ممتلكاته، خاصة وأن قوة الدولة العثمانية في عهده جعلت مسلمي العالم يتطلعون إلى مساعدته بعد أن تعدى البرتغاليون على الموانئ الإسلامية في آسيا وإفريقيا. وملخص القول أن السلطان سليم لم يهتم بلقب الخلافة، وكذلك سلاطين آل عثمان من بعده وأن الاهتمام بهذا اللقب قد عاد بعد ضعف الدولة العثمانية[٢].

وكان السلطان سليم يهدف إلى إزالة الدولة الصفوية، غير أن الوزراء حولوا نظره عن محاربة بلاد الفرس، ووجهوا اهتمامه إلى فتح جزيرة رودس مقر فرسان القديس يوحنا. فشرع يعد العدة لحرب جديدة ضد الأوروبيين الذين كانوا يعدون لحرب صليبية جديدة، فاستولى على جزيرة رودس، وتوجه لفتح أدرنة غير أنه توفي قبل إنجاز مهمته هذه[٣].

السلطان سليمان الأول (القانوني) (٩٢٦ ــ ٩٧٤ هـ/١٥٢٠ ــ ١٥٦٦ م)

تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام ٩٢٦ هـ/١٥٢٠ م. وفي عهده

---

(١) توماس أرنولد، الخلافة، ترجمة جميل معلى، دمشق ١٩٤٦، ص ٧٦ ــ ٨٠ .
ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص ٤٢ ــ ٤٦.

(٢) Shaw, Stamford, History of the ottoman Empire and Modern Turkey, (combridge 1977) P.85.

(٣) بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤٤٩.

بلغت الدولة أوج قوتها واتساعها. وفي بداية حكمه تمرد حاكم دمشق جانبرد الغزالي ولكنه قتل على أيدي القوات العثمانية[1].

وقد اشتهر سليمان بالتسامح والعدالة فعاقب الخارجين والباشوات والضباط الفاسدين والمنحرفين، ونتيجة لذلك أحبه شعبه، فلم يتحدّاه أحد من الأمراء وساعدته الانكشارية على تحقيق ما يريد وتوطيد سلطته. وقد عمل على بناء أسطول كبير قوي يساعده على مواجهة أعداء الإسلام في الشرق والغرب (الإسبان والبرتغاليون).

وقد وفرت الفتوحات في العالم الإسلامي مصادر دخل وفيرة بحيث كان باستطاعته أن يصل إلى قمة الازدهار والعظمة فأطلقوا عليه لقب الفخم.

وأقام العدالة ومنع الظلم وأكد حماية أرواح وأملاك الأشخاص، ونظم الضرائب وأنصف التجار الذين تضرروا من مقاطعة بلاد فارس. وكذلك نظم المحاكم، وفرض على رجال البوليس (الشرطة) والمفتشين إطاعة أحكام المحاكم وقوانينها. وأعاد تنظيم الإدارة، وحذر الموظفين من ظلم الشعب[2].

أعماله الحربية في أوروبا:

استولى السلطان سليمان على بلغراد عام ١٥٢١م (٩٢٨هـ) وهو في طريقه إلى المجر، وفتح جزيرة رودس ١٥٢٢م (٩٢٩هـ) لمنع رهبان هذه الجزيرة من محاربة المسلمين وأسر عدد منهم والاستيلاء على بضائعهم، ونزح سكانها منها إلى جزيرة مالطة التي أصبحت قاعدة لمحاربة المسلمين.

---

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٨٨ ـــ ٨٩.

وإثر استيلاء السلطان سليمان على بلغراد أعلنت البندقية ولاءها للسلطان العثماني، وفي نفس الوقت جرت اتصالات بين ملك فرنسا فرانسوا الأول وبين السلطان سليمان يطلب منه الزحف على المجر بهدف إضعاف خصمه شارل الخامس امبراطور الدولة الرومانية المقدسة، (والتي تضم النمسا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا). وفي عام (٩٣٣هـ / ١٥٢٦م) بدأ غزو المجر بجيش يقوده السلطان قوامه مئة ألف مقاتل ومعهم ٣٠٠ مدفع. وفي معركة موهاكز قتل ملك المجر لويس الثاني وكثير من نبلائه وكهنته وأكثر من عشرين ألف مجري ثم سقطت كل من بودابست ووقع في أيدي العثمانيين مئة ألف أسير بيعوا في أسواق النخاسة وفي النهاية استولى العثمانيون على المجر التي ظلت ولاية عثمانية لمدة ١٤٠ سنة(١).

وفي عام (٩٣٦هـ / ١٥٢٩م) زحف سليمان بجيش قوامه ربع مليون جندي على فينا التي دافع عنها سكانها ببسالة مما أدى إلى فشل الحصار. وبعد ثلاث سنوات زحف سليمان على المدينة من جديد بجيش جرار، ولكن شارل الخامس واجهه بجيش ضخم. وفي النهاية عقد الصلح بين الطرفين في الآستانة عام (٩٤٠هـ / ١٥٣٣م)، ولو أن الحرب قد اندلعت من جديد في عام (١٥٤١م / ٩٤٨هـ) واستطاع سليمان خلالها أن يهزم النمسويين وأن يضم المجر نهائياً إلى الأملاك العثمانية. وكان والي المجر هو الوالي الوحيد الذي يشغل رتبة وزير، وقد منح حق الإشراف على الإجراءات الإدارية العادية والرد على أي هجوم يقوم به الهابسبورج وإجراء المفاوضات مع الدول الأجنبية دون الرجوع إلى الآستانة. واستمرت الحرب بين سليمان والهابسبورج بصورة متقطعة حتى وفاته في عام (٩٧٤هـ /١٥٦٦م)(٢). وأخيراً وقعت معاهدة بين النمسا

---

(١) Creasy, F.S, History of the Ottoman Turks, London 1878, P.165

(٢) Ibid

والسلطان العثماني عام (٩٥٤ هـ/١٥٤٧م) لمدة خمس سنوات تدفع بموجبها النمسا جزية سنوية للدولة العثمانية[١].

العثمانيون والصفويون:

كان طهماسب قد تولى حكم فارس بعد أبيه الشاه إسماعيل الصفوي، وأظهر العداء للعثمانيين، ورفض الاعتراف بالسلطان العثماني خليفة على المسلمين، فقام الصراع بينه وبين الصفويين الذين عملوا على إثارة القلاقل في الأناضول وفي الطرف الأوسط والجنوبي وذلك بفرض المذهب الشيعي عنوة والتضييق على المذهب السني. وإزاء ذلك، قام سليمان بالتصدي لذلك. ففي عام (٩٤٠هـ / ١٥٣٣م) استولى سليمان على المنطقة الممتدة من أرضروم وبحيرة وان مستهدفاً الاستيلاء على أذربيجان، ثم زحف بقوة كبيرة على أواسط فارس واحتل تبريز وركز جهده في الاستيلاء على العراق. وفي عام (٩٤١هـ / ١٥٣٤م) سقطت بغداد وباقي العراق دون مقاومة، وقاد كبار رجال الدين من السنة الشعب في ثورة قضت على الجند الفرس وزعماء الشيعة الذين كانوا يضطهدونهم. وفي عام (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) استولت القوات العثمانية على البصرة، وما لبث الحكم العثماني أن امتد إلى الإحساء في عام (٩٦٣هـ / ١٥٥٥م). وباقي الخليج[٢]. وهكذا اكتملت سيطرة سليمان على الأراضي التي كانت تدخل في نطاق الخلافة القديمة. وتم إنقاذ المذهب السني، وتأكدت زعامة الدولة العثمانية على العالم الإسلامي[٣]. ورغم استيلاء سليمان على كردستان ومعظم العراق،

---

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٥١.

(٣) علي حسون، المرجع السابق، ص ٦٧.

فإنه لم يوقع الهزيمة بالصفويين الذين احتفظوا بأذربيجان وبعض أجزاء من شرقي العراق وجنوبي القوقاز. واستغل سليمان هرب ميرزا شقيق طهماسب إلى الأراضي العثمانية عام (٩٥٤هـ / ١٥٤٧م) للاستيلاء على القوقاز وأذربيجان إلا أن طهماسب استعاد أذربيجان بعد أن استولى سليمان عليها[١] وعقد الصلح بين الطرفين وخرج السلطان سليمان من تبريز نظير تقديم الشاه الطاعة للسلطان.

وفي خلال الشهور القليلة التي قضاها السلطان سليمان في العراق، لإراحة قواته من ناحية، ولتنظيم أحوال الولاية الجديدة من ناحية أخرى، حاول العاهل العثماني إرضاء الشيعة والسنة على السواء بكل ما وسعه من جهد. وقد استمر النزاع العثماني الفارسي حول هذه البلاد، فقد خضع العراق أكثر من مرة بيد الفرس[٢].

العثمانيون والصراع في غربي البحر المتوسط:

في غربي البحر المتوسط واصل المسلمون جهادهم ضد الصليبيين الإسبان الذين أجبروهم على الرحيل من الأندلس. فقد أسس المسلمون المنفيون من إسبانيا مستوطنات على طول سواحل شمالي إفريقيا وعقدوا العزم على الانتقام من مضطهديهم وذلك بالإغارة على سواحل إسبانيا المألوفة لديهم ومهاجمة السفن النصرانية، وبخاصة في مضيق جبل طارق وجزيرة مالطة[٣].

- وفي خلال سنوات قليلة كانت أغلبية الموانئ الممتدة من تونس شرقاً إلى المغرب تضم أساطيل إسلامية أثارت الرعب في قلوب أوروبا.

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٩١ ــ ٩٢.
(٢) د/السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٣٢ ــ ٣٣.
(٣) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٨٢ ــ ٨٣.

ورداً على ذلك استولى الإسبان. على عدد من النقاط الحصينة على طول سواحل مراكش والجزيرة وأرغموا الحفصيين حكام الجزائر على الخضوع لهم والسماح لهم بإقامة قاعدة بحرية حصينة في جزيرة بينون القريبة من ميناء الجزائر. وأدى هذا إلى تحويل النشاط الجهادي الإسلامي من شرقي البحر المتوسط إلى الغرب مما مهد للفتح العثماني للشمال الإفريقي(١).

ومن أشهر رجال البحر المسلمين وأنجحهم الأخوان عروج وخير الدين بربا روسا وكانا نصرانيين ثم أسلما، فدخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي في تونس. وكانا يعترضان السفن النصرانية، ويأخذان ما فيها، ويبيعان ركابها وملاحيها رقيقاً. وقد أرسلا للسلطان العثماني سليم إحدى السفن التي أسروها فقبلها منهما، وأجزل لهما العطاء، فقويت نفسيهما. واستقر الاخوان في حلق الوادي، ميناء يونس، حيث التف حولهما معظم المجاهدين المسلمين وسيطرا على الجزائر كما أشرنا وقتل عروج ولكن سرعان ما برز أخوه خير الدين باعتباره بطل الإسلام بحيث أصبحت أوروبا تحسب ألف حساب لقوة أسطوله(٢).

ورداً على ذلك شكل الصليبيون تحالفاً ضد المسلمين في شمال إفريقيا بقيادة أندريه دوريا. وهاجموا بلاد اليونان، غير أن السلطان العثماني عين خير الدين قائداً للأسطول العثماني بعد أن عينه قائداً للبحرية العثمانية. وما لبث خير الدين أن أعد الأسطول القوي، واحتل كورون ولبانتو وتونس وأغار على سواحل إيطاليا الجنوبية وجزيرة صقلية. وفي النهاية بسط النفوذ على غربي البحر المتوسط. وتمكن أندريا دوريا قائد الصليبيين من استرجاع تونس عام (٩٤٢هـ / ١٥٣٥م)

(١) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٩٢.
(٢) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٨٣ ــ ٨٧.

التي ظلت مجال نزاع بين الطرفين إلى أن تستقر نهائياً في أيدي العثمانيين[1].

وتأسيساً على ذلك، تحالف العثمانيون مع فرنسا وتم التوصل إلى المعاهدة المعروفة باسم «الامتيازات الأجنبية» عام (٩٤٣هـ / ١٥٣٦م)، وهي تشبه المعاهدات التي سبق للدولة العثمانية أن عقدتها مع جنوة والبندقية. فسياسة الدولة العثمانية كانت تستهدف استمرار العلاقات الخارجية مع الغرب، ومن ثم الاستمرار في التجارة البحرية مع البنادقة والجنويين ثم الهولنديين فالإنجليز والفرنسيين، في الوقت الذي كانت فيه للدولة علاقات تجارية مع البلدان الواقعة على المحيط الهندي بالإضافة إلى بلدان غربي آسيا وإفريقيا[٢].

فالامتيازات الممنوحة لفرنسا في عام (٩٤٣هـ/١٥٣٦م أو ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م) ثم للهولنديين والإنجليز كانت تستهدف دعم هذه الدول ضد بابا روما وهابسبورج النمسا. ومما ساعد إلى حد كبير على بروز فرنسا خلال القرن السادس عشر تحالفها مع العثمانيين. فالأسطول العثماني في غربي البحر المتوسط كان يحمي جناح فرنسا الجنوبي ضد أي هجوم يشنه أعداؤها، مما أتاح لملوكها تركيز قوتهم في الشمال وتأمين حدود فرنسا[٣].

وطبقاً لمعاهدة (٩٤٣هـ / ١٥٣٦م) جرى تعيين قناصل فرنسيين في موانئ الشام، وأعفي التجار الفرنسيون من الخضوع للقانون العثماني وطبق عليهم القانون الفرنسي تحت إشراف ممثل فرنسا في الآستانة (إستانبول)، كما تمتعوا برسوم جمركية تقل عمّا كان يدفعه رعايا الدول الأخرى بشرط أن يتمتع رعايا السلطان بالمثل. ومنح الفرنسيون الحرية

---

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٠٦ ــ ١٠٧.

(٢) Marriott, J.A.R. The Fastern Question, (oxford 1958) P.93

(٣) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٩٤.

التجارية المطلقة وحرية الملاحة في كل الموانئ العثمانية، وتمتع المقيمون الفرنسيون في الدولة العثمانية بامتيازات خاصة فيما يتعلق بنقل الملكية، وأتيحت لهم حرية ممارسة طقوسهم الدينية، كما منحوا حق حراسة الأماكن المقدسة، وكذلك حماية رعايا السلطان النصارى. وتلا توقيع معاهدات الامتيازات الأجنبية عقد حلف بين فرانسوا الأول وسليمان في مواجهة أسرة الهابسبورج، على أن يبقى أمره في طي الكتمان حتى لا يتعرض العاهلان لسخط شعبيهما في وقت كان يسوده التعصب الديني[1].

وما لبث الطرفان أن عملا على استعراض حلفهما بالهجوم المشترك على إيطاليا: العثمانيون بحراً من الجنوب والفرنسيون برّاً من الشمال. وكان العثمانيون قد فكروا باستمرار في غزو إيطاليا ولكنهم ترددوا في ذلك خشية تصدي أوروبا لهم على أن فرنسا قد شجعت العثمانيين على الإقدام على هذه الخطوة وذلك لانتزاع جزيرة كورفو من البنادقة.

وعلى العموم، فقد تقدم الفرنسيون في شمالي إيطاليا للاستيلاء على ميلانو وجنوة، في نفس الوقت الذي بدأ فيه بربروسا سلسلة من الغارات على أملاك الهابسبورج في غربي البحر المتوسط وأواسطه، في الوقت الذي أعد فيه السلطان سليمان جيشاً قوامه ٣٠٠,٠٠٠ جندي وبدأ في تحريكه صوب ألبانيا لكي يقوم خير الدين بنقله إلى إيطاليا إلا أن البابا توسط بين فرنسا والنمسا لعقد صلح تمهيداً لتوحيد أوروبا ضد العثمانيين[2]. ولم يكتف فرانسوا بعقد الصلح مع شارل امبراطور الهابسبورج في النمسا، بل إنه وعد بالاشتراك في حملة صليبية ضد

---

(١) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، حـ ٢، ص ٧١٩ ــ ٧٢٢.

(٢) Inalcik, khalil, The ottoman Empire, London 1978, P.51 - 52. مقتبسه من كتاب أصول التاريخ العثماني ص ٩٦.

العثمانيين وسحب جيوشه من شمالي إيطاليا. وقد غضب خير الدين لذلك واستولى على معظم جزر بحر إيجة الذي أصبح تحت السيطرة العثمانية، مما أدى إلى تشكيل حلف صليبي بحري يقوده دوريا. وقد أوقع خير الدين هزيمة كبرى بالأسطول الصليبي عند بريفيزا القاعدة البحرية العثمانية الرئيسية في ألبانيا، ولكنه ثبت أن هذا النصر كان عديم الجدوى بدون التحالف مع فرنسا[1].

وفي عام (٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) تم عقد الصلح مع جمهورية البندقية التي تخلت عن آخر أملاكها في شبه جزيرة المورة، واعترفت بكل فتوحات خير الدين في بحر إيجه ووافقت على دفع غرامة ضخمة مقابل اعتراف العثمانيين باستمرار حكمها في جزيرتي كريت وقبرص وعودة الامتيازات التجارية التي كانت تتمتع بها في الدولة العثمانية. وهكذا انهارت السيادة البحرية التي تمتعت بها البندقية[2].

وفي عام (٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) طلب ملك فرنسا فرانسوا الأول من جديد مساعدة السلطان. وبعد أن أغار خير الدين على سواحل إيطاليا توجه إلى سواحل فرنسا الجنوبية حيث استقبل وبحارته استقبالاً حماسياً، إلا أن الضغوط الأوروبية على ملك فرنسا جعلته يتخلى عن وعوده السابقة بالتعاون مع السلطان ضد امبراطور النمسا (الهابسبورج) في إيطاليا، لهذا احتل خير الدين طولون ونيس وخرب سواحل إسبانيا وفرنسا وإيطاليا. وقد أدى موقف ملك فرنسا إلى أن يعقد السلطان سليمان هدنة مع امبراطور النمسا (الهابسبورج) في عام (٩٥٢هـ/١٥٤٥م) على أساس اعتراف الإمبراطور بالفتوح العثمانية الجديدة، ووعده بأن يدفع جزية عن مناطق شمالي وغربي المجر التي كانت لا تزال في

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٠٢ ــ ١٠٤.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٩٦ ــ ٩٧ وانظر كذلك شارل ديل، البندقية، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة ١٩٤٧، ص ١٤٤.

أيدي الهابسبورج. ولم تلبث الهدنة أن تحولت إلى صلح دائم عام (٩٥٤هـ/١٥٤٧م) بعد وفاة فرانسوا الأول[١].

وهذا الموقف من دول أوروبا وخاصة فرنسا يثبت أن ملة الكفر واحدة، وأن فكرة محالفة العثمانيين لفرنسا كانت غير ذات قيمة، الأمر الذي أدى إلى فشل الامتيازات الأجنبية لأسباب دينية وسياسية واجتماعية وثقافية فأزمة الثقة قائمة بين الطرفين منذ الحروب الصليبية والتي انعكست في شتى المجالات.

السلطان سليمان القانوني والخطر البرتغالي:

أقام البرتغاليون قواعد لهم في الهند بعد نجاح الرحالة فاسكو دي جاما في رحلته التي وصل في نهايتها إلى الهند عام (٩٠٤هـ / ١٤٩٨م). ومنذ ذلك الوقت وطد البرتغاليون أقدامهم في الشرق. وحرصوا على احتلال قواعد عند مدخلي البحر الأحمر والخليج العربي ليسهل عليهم إغلاق المنافذ العربية الجنوبية لتجارة الشرق، فاستولت على جزيرة سوقطرة في خليج عدن ثم سيطروا على هرمز في مدخل الخليج. وشرعوا في مهاجمة السفن العربية في كل مكان وإغراقها أو إحراقها أو الاستيلاء عليها. ونجحوا في احتكار التجارة الشرقية، وقاموا بتحويلها إلى طريق رأس الرجاء الصالح، وفقد العرب مصدراً من مصادر رزقهم وأصاب الدولة المملوكية خسائر فادحة وكان عليها مواجهة الخطر البرتغالي إلا أنها كانت أضعف من مواجهة دولة البرتغال الناشئة ففشلت الدولة المملوكية في طردهم، وكان على الدولة العثمانية التي حلت محل الدولة المملوكية أن تقوم بهذا الدور[٢].

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) د/بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي، الكويت ١٩٨٤، ص ١٥ ــ ٢٠.

أقام العثمانيون قاعدة بحرية في السويس للقيام بالعمليات العسكرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي لمحاربة البرتغاليين. وفي الوقت نفسه، تطلع العثمانيون إلى قاعدة بحرية أمامية تمكنهم من مهاجمة البرتغاليين في المحيط الهندي، ومن السيطرة كذلك على البحر الأحمر وإغلاقه في وجه الدول الأوروبية فكانت هذه القاعدة الأمامية هي اليمن بصفة عامة وعدن بصفة خاصة[1].

وفي الوقت الذي أعد فيه العثمانيون الأسطول للاستيلاء على العراق والخليج، تلقى السلطان العثماني طلباً من حاكم كجرات المسلم ضد البرتغاليين والمغول، فتوجه الأسطول العثماني من السويس صوب الشرق (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) تحت قيادة سليمان باشا الخادم حاكم مصر. وخلال مروره بعدن واليمن استولى على المناطق الساحلية، وبذلك وفر للامبراطورية قواعد متقدمة للدفاع عن البحر الأحمر في وجه الهجمات الصليبية في المستقبل. وحين وصل سليمان الخادم إلى كجرات الإمارة المسلمة في الهند، رفض حاكمها نزول العثمانيين فعادوا إلى مصر. وتوالى استيلاء العثمانيين على مناطق اليمن الداخلية فاحتلوا صنعاء عام (٩٥٤هـ / ١٥٤٧م)[2].

ولم يتوقف الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين في مياه الخليج. ففي عام (٩٦٠هـ / ١٥٥٢م) أبحر من السويس أسطول عثماني كبير بقيادة بيري ريس لاحتلال شرقي الجزيرة العربية وقطع خطوط الإمداد المحلي للبرتغاليين. واحتلت الحملة مسقط ثم أبحر إلى هرمز وحاصرها لمدة شهر، ثم انسحبوا بعد أن علموا بقدوم نجدة للبرتغاليين وأعدم بيري ريس نتيجة لتخاذله في الحرب. وكلف السلطان سليمان

---

(١) د/السيد رجب حراز، العالم العربي الحديث، ص ٢٣.

(٢) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٠٥.

قائداً بحرياً جديداً هو مراد بك فخاض معركة غير حاسمة مع البرتغاليين وعاد إلى البصرة. وأخيراً كلف السلطان سيدي علي ريس بالتوجه إلى البصرة لقيادة الأسطول العثماني وفشل الأسطول العثماني في القضاء على البرتغاليين في الخليج. وهكذا فشل العثمانيون في طرد البرتغاليين من الخليج العربي إلا أنهم منعوا انتشارهم وتوسعهم في الجزيرة العربية ومن الوصول إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة[١].

ورغم ذلك فإن سيطرة العثمانيين على البحر الأحمر قد مكنت السلطان سليمان من استعادة قسط كبير من التجارة الدولية القديمة عبر مصر في الوقت الذي كانت تعوز فيه البرتغاليين القوة البحرية اللازمة لإحكام حصار الطرق القديمة[٢].

وقد أثر الوجود العثماني في المياه الشرقية في التطورات التي جرت في شرقي إفريقيا، فقد شجع على شن الهجوم على البرتغاليين الذين كانوا قد سيطروا على موانئ البحر الأحمر الإفريقية: سواكن وزيلع ومصوع، خاصة وأن البرتغاليين كانوا يسعون بتحالفهم مع الحبشة إلى تعزيز وجودهم العسكري والتجاري في البر الأحمر وضمان استمرار تجارة أوروبا مع الشرق عبر طريق رأس الرجاء الصالح. وفي عامي (٩٤٩ و ٩٥٠هـ / ١٥٤٢ و ١٥٤٣م) جرت محاولة لفتح الحبشة على أيدي أمراء ساحل شرقي إفريقيا المسلمين (دهلك ومصوع وزيلع وسواكن) الذين استعانوا بالعثمانيين لطرد البرتغاليين. وفي عام (٩٦٢هـ / ١٥٥٤م) نازل الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا البرتغاليين أمام شواطئ مصوع وأوقع بهم الهزيمة ثم صفى العثمانيون المواقع البرتغالية على طول امتداد شواطئ البحر الأحمر وبنوا بها القلاع. وفي عام (٩٦٥هـ / ١٥٥٧م)

(١) د/السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ١٢٢.

(٢) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٩٩.

احتل العثمانيون ميناء مصوع. وتعاون أهل البلاد معهم ومع التجار المنافسين للبرتغاليين. وكانت النتيجة هي طرد البرتغاليين نهائياً من المنطقة واستقرار العثمانيين على طول شواطئ البحر الأحمر الإفريقية حيث جرى إنشاء ولاية الحبش وقاعدتها جدة[١]. واستطاع العثمانيون أن يعرقلوا حصار البرتغاليين للطرق القديمة ولم يحدث إلا منذ القرن السابع عشر حين حلت الأساطيل الانجليزية والهولندية القوية محل الأسطول البرتغالي، أن أغلقت الطرق القديمة نهائياً، بحيث واجه الشرق الأوسط أزمة اقتصادية حادة لم يفق منها إلا في العصور الحديثة[٢].

وفي عام (٩٧٣هـ / ١٥٦٥م) حاول السلطان سليمان الاستيلاء على مالطة، إلا أن استبسال فرسان القديس يوحنا في الدفاع عن الجزيرة كلف العثمانيين خسائر فادحة مما أرغمهم على فك الحصار. كما أرسل حملة إلى المجر التي قامت بثورة على العثمانيين بسبب مساعدة الأوروبيين لها، وسار إلى المجر وكان المرض قد ألم به فوصلها وحاصرها حتى اشتد عليه المرض، وقضى نحبه أثناء نجاح المهاجمين العثمانيين في القضاء على المقاومة المجرية والاستيلاء عليها عام (٩٧٤هـ / ١٥٦٦م)[٣].

وحين توفي سليمان عام (٩٧٤هـ / ١٥٦٦م) أثناء قيادته للحملة العثمانية على المجر، كان بإمكان العثمانيين أن يفخروا بالإنجازات التي حققوها خلال قرنين من الزمان. فلقد أضافوا العالم العربي إلى العالم اليوناني، وإن تكن قد اعترضتهم عقبتان احتلال فينا، وطرد البرتغاليين من المحيط الهندي. وأدى توسع الدولة العثمانية في قارات ثلاث إلى إيجاد مشكلات للدفاع الخارجي والتماسك الداخلي. هذا إلى أن الدولة

---

(١) عثمان صالح سبي، تاريخ أرتيريا، بيروت ١٩٧٤، ص ٦٤، ص ١٣٢ ــ ١٣٣.
(٢) عثمان صالح سبي، تاريخ أرتيريا ص ١٠٠.
(٣) قطب الدين النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، القاهرة ١٩٧٧، ص ٢١٩.

كانت قد وصلت في عهد سليمان أقصى امتداد لها ثم وصلت إلى عوائق لم تستطع اجتيازها ففي الشرق لم تستطع القوات العثمانية أن تتقدم داخل فارس بسبب قوة الصفويين المركزية وبسبب الهضبة الإيرانية وصعوبة توجيه الجيوش العثمانية ضد دولة إسلامية ولهذا توقفت الجيوش العثمانية في الشرق ولم يمكنها التوسع في أواسط آسيا أو الهند وفي المياه الشرقية واجه العثمانيون السفن البرتغالية المتفوقة، أما في القرم فقد واجهوا قوة روسيا الناشئة والتي أخذت في التوسع شرقاً وجنوباً على حساب المسلمين. وفي إفريقيا اعترضت العثمانيين الصحراء الكبرى والجبال وقسوة المناخ، وبخاصة في الوقت الذي تضعضع فيه تفوقهم البحري في البحر المتوسط. وفي البلقان اعترضهم ازدياد قوة النمسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة، فتراجعوا عن فينا ثم ما لبثوا أن فقدوا المجر[1].

وقد وصف المؤرخون الغربيون على السلطان سليمان لقب العظيم تشريفاً له وتعظيماً، في حين شرفه العثمانيون بلقب القانوني (أي واضع القوانين) مجموعة قانوننامة ويمكن اعتباره أعظم شخصية في التاريخ العثماني. فقد وصلت الدولة العثمانية في عهده أوج اتساعها وقوتها براً وبحراً، في الوقت الذي اتصف فيه عاهلها بالتعقل والعدل والكرم والذكاء وأجرى كثيراً من الإصلاحات الهامة، كتنظيم الإقطاعات العثمانية، والقوانين والإصلاحات وتنظيم البوليس وإنشاء المدارس والكليات والجوامع والآثار العمرانية التي تفوق كل وصف وكان أهمها جامع السليمانية. وقد أشرف المهندس المعماري سنان باشا على كل

(١) قطب الدين النهروالي، المرجع السابق، ص ٢١٩.
(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٥٦.

الآثار العمرانية، فقد أنشأ سنان باشا في عهد سليمان ٨١ جامعاً كبيراً، ٥٢ مسجداً صغيراً، ٥٥ مدرسة، ٧ معاهد لدراسة القرآن الكريم، ١٧ مطعماً عمومياً، ٣ مستشفيات، ٧ كتاتيب لحفظ القرآن الكريم، ٧ جسور، ٣٣ قصراً، ١٨ خاناً، ٥ متاحف، ٣٣ حماماً، ١٩ ضريحاً[٢].

وقد كثرت إحساناته على أهل الحرمين الشريفين، فأجرى العيون، وحفر الآبار، وأقام الأبنية للفقراء، والدور والمستشفيات، وضاعف الصدقات لهم[١].

(١) كارل برو كلمان، المرجع السابق، ص ٤٥٦.

الفصل الرابع

نظام الحكم العثماني

نشأت الدولة العثمانية على أطراف ما تبقى من الدولة البيزنطية وأنها كانت دولة أوروبية قبل أن تصبح دولة آسيوية. لهذا لم تتوفر للدولة على الإطلاق نظم واحدة بحيث إن نظام الحكم في الأناضول كان يختلف عنه في كل من البلقان والعالم العربي. وقد جرت وراثة الملامح الأساسية للهيئة الحاكمة العثمانية عن النظام الفارسي الذي أخذ به السلاجقة، وهو النظام الذي ورثه الغزنويون عن العباسيين ثم لحقته بعض التعديلات. إلا أن النظام العثماني كانت له ملامح خاصة يبدو أنها مرتبطة بموقع الدولة الجغرافي في أوائل عهدها، بما في ذلك اقتباسها بعض ملامح النظام البيزنطي. ولما كانت تحيط بالدولة بلاد تمر بحالة اضطراب عام، فإنها (الدولة العثمانية) قد اصطبغت بصبغة عسكرية واتجهت إلى التوسع باعتباره أحسن وسائل الدفاع، ومن ثم إعلان السلاطين الجهاد ضد دار الحرب (الكفر) بصفة مستمرة وقد ترتب على هذا الاتجاه أن تأثرت الدولة منذ البداية بمؤثرات بيزنطية، بل إنها حافظت على طابعها العسكري حتى النهاية[1].

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص ١٠٦.

نظام الحكم:

كان الرئيس الأعلى للدولة العثمانية هو السلطان وهو القوة المؤثرة الأولى سياسياً وعسكرياً وقد عرف بلقب خنكار ويعني بالتركية السلطان الأعظم، كما عرف أحياناً بلقب بادشاه الفارسي، ويعني الحاكم الأعلى. وقد أطلق على بايزيد نفسه لقب السلطان، بعد موافقة الخليفة العباسي في القاهرة بصفة رسمية، وعندما فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية اتخذ لنفسه لقب سلطان البرين والبحرين. رغم شيوع لقب خنكار أو بادشاه عليهم، ثم تلقب مراد الأول بعد فتح أدرنه بلقب خليفة الله، وبعد فتح مصر تنازل الخليفة العباسي عن لقب الخليفة للسلطان سليم الأول، وكان للسلطان سلطة مطلقة على جميع موارد الدولة(1).

وكان السلطان يتمتع بسلطات واسعة مطلقة، فهو رئيس الدولة والقائد الأعلى للقوات العثمانية، ورئيس الهيئة الحاكمة ـ القولار ـ وفي ذات الوقت رئيس الهيئة الإسلامية الحاكمة. فكانت أهم وأكبر هيئتين على الإطلاق في الدولة تلتقيان في شخص السلطان. وكان يعتبر الحامي والمنقذ للشريعة الإسلامية والمدافع عن العقيدة والإسلام، وله هيمنة تامة على جميع موارد الدولة(2).

ورغم أن السلطان العثماني لم يكن يحد من سلطته قانون مدني أو وجود طبقة أرستقراطية ذات امتيازات، فإنه لم يكن في الواقع حاكماً مطلقاً، إذ لم يكن باستطاعته أن يتجاهل حدود الشريعة الإسلامية بصورة علنية. فقد كانت المراسيم السلطانية تأتي في المرتبة الرابعة بعد المصادر الأساسية للقانون الإسلامي أي القرآن والسنة والمذاهب

(1) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ص ٣٠٤.

(2) كارل بروكلمان، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ترجمة د/نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ط ١، ١٩٤٩، ص ٩٣.

الأربعة. كما كان على السلطان أن يحصل على فتوى من شيخ الإسلام قبل اتخاذ أي إجراء سياسي هام حول تمشي هذا الإجراء مع الشريعة. وإذا رفض المفتي ذلك الإجراء فإن السلطان غالباً ما كان يعدل عن مشروعاته[1].

وهناك كثير من ملامح الحياة العثمانية كانت مستقلة في الواقع عن السلطة المركزية، ومنها الطوائف الدينية لغير المسلمين (الملل) وطوائف الحرف والمؤسسات والهيئات، مما يدل على أن السلطان العثماني لم يكن يتمتع بالسلطة المطلقة. فقد كانت كل المدن تتمتع بمزايا وصلاحيات محلية واسعة في الشؤون المحلية والمالية والاصلاحات والبوليس (الشرطة)[2].

اتصف السلاطين العشرة الأوائل - من عثمان إلى سليمان - بالكفاءة والخبرة الإدارية والعسكرية نتيجة لتولي كل منهم حكم إحدى الولايات في مقتبل حياته العامة. كما كان السلطان الحاكم يتولى قيادة الجيش بنفسه ويرأس جلسات الديوان الذي يبت في مختلف شؤون الدولة[3].

أما السلطة التنفيذية، فقد رأسها السلطان أيضاً، ولم يكن الوزير سوى مستشار له، ثم قوي مركزه فيما بعد حتى أصبح مطلق الصلاحية، وكان الصدر الأعظم (الوزير الأول) يحمل الخاتم السلطاني رمزاً لقوته، ولا يظهر للجماهير إلا وسط حاشية ممتازة، وكان يعاون الصدر الأعظم أربعة أو ستة من الوزراء أقل منه في النفوذ. وكان الصدر الأعظم هو

---

(١) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٩٤.

(٢) نفس المرجع.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١١٠ وكذلك جب ويوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم ط ١، ص ٥٤.

رئيس الديوان ويهيمن على شؤون الجيش، وكان يقود المعارك الحربية حين تدعو الضرورة وكان يرأس المحكمة العليا ويشترك معه قضاة الشريعة الإسلامية. وكان الصدر الأعظم يقوم بجولات في العاصمة ويتفقد أسواقها ويرافقه في هذه الجولات قاضي القضاة(١).

وكان الوزير الأول أو الأعظم (الصدر الأعظم) حتى فتح القسطنطينية عام (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) من المسلمين الأحرار وخاصة من أسرة جندرلي، ثم أصبح يعين من الانكشارية (الدوشرمة)، وضمن السلطان بذلك ولاءه وطاعته لأن أفراد الدوشرمة كانوا يتربون تربية عسكرية في القصر السلطاني(٢). وفي أعقاب انقطاع السلطان إلى حياة القصر مع ازدياد مسؤوليات الصدر الأعظم أصبح للأخير مقر خاص عام (١٠٦٥هـ / ١٦٥٤م) عرف بالباب العالي، حيث تولى إدارة شؤون الدولة العامة التي كانت تدار قبلًا من قصر السلطان. ولم يكن الباب العالي مجرد سكن للصدر الأعظم وخدمه وحرسه، بل كان ديواناً عاماً يقوم فيه كبار الموظفين بتصريف كل مها مهم ما عدا الشؤون المالية. ويمكن القول إن الباب العالي هو مقر الحكومة المركزية للإمبراطورية. وقد بلغ من شهرة الباب العالي فيما بعد، أن أشيع خطأ أنه هو مقر السلطان، وأن أوامر الباب العالي تعني أوامر السلطان. واشتهر من الصدور العظام في هذه الفترة أفراد من أسرة كوبريلي الذين احتكروا الصدارة العظمى في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وأعادوا إلى الدولة العثمانية بعض هيبتها(٣).

---

(١) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، ط ١، ص ٣٦٠ ــ ٣٦١.
(٢) نفس المرجع.
(٣) محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، ص ٦٣ نقلًا عن عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ط ١، ص ٣٧١ ــ ٣٧٢.

الـديـوان:

كان الديوان بمثابة مجلس وزراء موسع، وكان سلاطين الفترة الأولى يحضرون جلساته ويرأسون اجتماعاته. وكان يطلق عليه الديوان الهمايوني، واستمر هذا التقليد متبعاً حتى عهد السلطان سليمان القانوني الذي تخلف عن حضور جلساته وتخلى عن رئاسة الديوان للصدر الأعظم. فأصبح الديوان في وضعه الجديد يتكون من رئيسه الصدر الأعظم والوزراء وكبار موظفي الدولة الذين أطلق عليهم أركان الدولة(١) (القضاة والولاة والدفتردارين وأمير البحر والنشانجي).

ويختص الديوان بالإشراف على السكرتارية الخاصة بالصدر الأعظم وكبار الكتاب في الخزانة وحفظ القوانين، وإصدار براءات السلطة، وبحث كافة القضايا الهامة التي تهم الدولة.

وكان الديوان يعقد اجتماعاته أربع مرات في الأسبوع هي السبت والأحد والاثنين والثلاثاء، وتبدأ المناقشات في الصباح وتنتهي في الليل، وبإمكان أي فرد من الرعية أن يعرض ما يريد ويشكو ظلمه للمسؤولين. وكان السلطان في البداية يرأس جلسات الديوان، ثم اكتفى فيما بعد بالاستماع إلى مقرراته، وكان لكل من حاكمي آسيا وأوروبا قوة ذات أثر فعال في إدارة الولايات(٢).

ولم يكن للديوان سلطة قطعية في المسائل التي تعرض عليه أو في القرارات التي تصدر عنه، لأن موافقة السلطان عليها كانت شرطاً أساسياً لتنفيذها(٣).

وكان الوزراء يعتبرون أهم دعائم الدولة، وكان الصدر الأعظم أعلى

(١) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٣٧٣.
(٢) د/علي حسون، الدولة العثمانية، ص ٣٢٠.
(٣) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٧٦.

مناصب الدولة (مدنية وعسكرية). وكان رجال القانون و (العلماء) يشغلون الدعامة الثانية، وكان على رأس تنظيمهم قاضيا العسكر في أوروبا والأناضول. وقد أشرف العلماء على الأوقاف وعلى التعليم الذي كان يتركز في المسجد وما يلحق به من مدارس، كما تولوا مناصب القضاء. وحين ظهر منصب المفتي شيخ الإسلام أصبح أعلى رتبة ومكانة من مكانة قاضي العسكر[1].

ومن الفئات المهمة في الديوان أهل العلم الذين يشكلون أهم فروع الطبقة الحاكمة وكانوا يندرجون في فئتين:

١ ـ الديوان الهمايوني المسؤول عن المراسلات والإدارة.

٢ ـ الخزانة السلطانية المسؤولة عن المالية والمحاسبة.

وكان الموظفون يتلقون تعليمهم على أيدي العلماء والكتبة، ولهذا أحرز العلماء نفوذاً حين أصبح عدد كبير منهم يلتحقون بهيئة الكتاب[2].

أما القانون فقد نشأ أولًا على أساس عسكري، ومن هنا كان قاضي العسكر لا يزال يرأس الهيئة القضائية، وكانت سلطة قضاة الجيش تشمل الشؤون العسكرية والمدنية، وكان يتلو قضاة الجيش في الترتيب العلماء الكبار وهم قضاة العاصمة وعواصم الولايات، ثم يتلوهم العلماء الصغار الذين يتولون القضاء في عشر مدن ثانوية، أما قضاة الدرجة الثانية وما دونها، فكانوا ينقسمون إلى طبقات ثلاث المفتشون والقضاة ونواب القضاة، وكان القاضي هو صاحب السلطة القضائية العليا في منطقته، فهو الذي يقضي وفقاً لمبادئ الشرع الشريف (القرآن والسنة)[3].

(١) د/عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية ط ١، ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١١٥.

(٣) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤٧٨.

الإدارة والتنظيمات الإدارية:

كان سلطان قونية يقطع الأمراء أرضاً مكافأة لهم على ما يقومون به من أعمال وهؤلاء بدورهم، يقطعون أبناء قبائلهم ممن أبلوا بلاء حسناً في ساحة الجهاد، لقاء تقديمهم الفرسان للخدمة العسكرية، وقد سميت هذه الإقطاعات العسكرية باسم سناجق أي رايات[1]، وقد جعلت بروسة بعد فتحها عاصمة لسنجق جديد أقطع لولي العهد مراد ابن أورخان وعرف باسم «خداوند» أي أرض الحاكم، وفيما بعد تشكل سنجقان آخران، يقع أولهما في الجنوب الشرقي، سلطان أونو (سلطان أوكي) وينتظم مراكز العثمانيين القبلية، وثانيهما، المناطق الساحلية في الشمال الغربي «قوجه إيلي»[2].

وباتساع رقعة الدولة العثمانية استلزم الأمر تقسيمها إدارياً وعسكرياً إلى إيالات أو ولايات أو باشويات كثيرة العدد، بلغ عددها ٣٢ ولاية أواخر القرن السابع عشر. وقسمت بعض الولايات إلى أقسام إدارية صغيرة، عرف كل منها بالسنجق أو اللواء، وحاكمه بالصنجق بك أو أمير اللواء، وكلمة الصنجق التركية تعني الراية أو اللواء، ثم أطلقت على المقاطعة التي يحكمها الصنجق بك[3].

وكان يمثل السلطة العثمانية في مركز كل ولاية ممثل أو نائب

---

(١) د/علي حسون، المرجع السابق، ص ٣٢١.

(٢) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤١٠.

(٣) الدكتور السيد رجب حراز، العالم العربي في التاريخ الحديث، ص ٤١. في بداية نشأة الدولة العثمانية كان الصنجق هو الوحدة الإدارية الأساسية، حيث انقسمت الدولة إلى عدد من الصناجق، على رأس كل منها صنجق بك (أمير لواء) ولكن عندما اتسعت رقعة الدولة وكثر عدد الألوية، عمدت الدولة إلى جمع عدد من الألوية في ولاية واحدة، ومع ذلك فقد خلت بعض الولايات الكبيرة من مثل هذه التقسيمات (اليمن ومصر).

للسلطان يعرف بالوالي، كما يلقب عادة بالباشا، وكان الولاة يختارون من جنسيات مختلفة، وكان الوالي يمنح إقطاعاً أو راتباً سنوياً (ساليانه) للقيام بنفقاته ونفقات حاشيته وجنوده. واختلف هذا الراتب من ولاية إلى أخرى حسب الرتبة التي كان يشغلها الوالي قبل تعيينه في منصبه[1].

وكان الوالي رئيساً للجهاز الإداري في الولاية ومسؤولاً عن ضمان استمرار ولائها للسلطان وتأمين العدل والأمن للمواطنين. ومارس الوالي صلاحيات إدارية وعسكرية وقضائية، وأشرف إشرافاً مطلقاً على الشؤون الإدارية والإقطاعية. وكثيراً ما تضاربت صلاحياته مع القضاء، فأمر بفرض عقوبات فورية تصل إلى حد الإعدام بدون محاكمة ومن غير إثبات ولا دعوى. وتدخل في تحديد الأسعار وتأمين المواد الغذائية ومراقبة النقد.

وساعد الوالي على إدارة الولاية عدد من الموظفين، ارتبط بعضهم به مباشرة واستقل عنه البعض الآخر وارتبط باستانبول، فضمن الباب العالي بذلك وجود سلطات في الولاية تحد من نفوذ الوالي وتمنعه من التفكير في التمرد. ودعمت هذه القوى المناوئة أو المنافسة للوالي إيجاد ديوان الولاية، الذي يشير على الوالي في الأمور الهامة، ويتألف من كبار الضباط والموظفين والعلماء والأعيان. وكان للوالي حاشية ضمت وكيله أو مدير مكتبه الخاص (الكتخدا والكخيا) وكاتب الرسائل (المكتوبجي) وحامل الأختام (المهردار) وأمين الصندوق (الخزنة دار) وحامل السلاح (السلحدار) والتشريفاتي (احتشامات أغاسي) أو غيرهم من الموظفين الأقلّ شأناً. وفي حالة مرض الوالي أو غيابه عن ولايته أو عزله، كان يقوم بأعماله موظف يسمى المتسلم (قائمقام)[2].

---

(١) الدكتور السيد رجب حراز، المرجع السابق.

(٢) د/عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص ٥٢.

التنظيمات المالية:

من المؤسسات العثمانية الهامة، تلك التي كانت تعنى بالشؤون المالية، أي حساب واردات ومصروفات الدولة، وتسمى الدفتردارية، ويرأسها الدفتردار وهو يرافق الصدر الأعظم دائماً، ويحتفظ في عهدته بسجلات الأراضي وتوزيع الإقطاعيات. ومنذ فتح القسطنطينية عام (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م)، كان الدفتردار موظفاً على جانب كبير من الأهمية، وهو الموظف الوحيد في الإدارة الذي له حق تقديم العرائض بنفسه إلى السلطان. وكان هناك بادئ ذي بدء دفترداران، أحدهما في الأناضول، والآخر في «الروملي» وحتى نهاية عهد السلطان سليمان القانوني، وجد دفتردار واحد للولايات في بلاد الشام والعراق، ومركزه حلب، ولقب بدفتردار عرب وعجم. ثم عين دفتردار خاص لكل ولاية، نظراً لتشعب الأمور المالية فيها[1]. وكان الدفتردار يقوم بتحصيل الضرائب التي تصب جميعاً في الخزانة السلطانية. وأهم هذه الضرائب العشور والجزية والزكاة وضريبة الإدارة المحلية. ويشرف على حسابات أموال الولاية الإقطاعية ديوان دفتر اليومية (الروزنامة) برئاسة الروزنامجي[2].

وكان الدفتردار يعتبر وكيل السلطان في الولاية للشؤون المالية، ولذا فإنه كان مسؤولاً أمام الباب العالي عن أموال الولاية، فلم يكن يسمح للوالي بمغادرة الولاية عند نقله أو عزله، إلا بعد أن يؤدي حساباً دقيقاً يثبت فيه براءة ذمته[3].

وفرضت الدولة على الوالي والدفتردار أن يؤمنا كل عام إرسال

(١) د/السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٤٣.
(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١١٥.
(٣) د/رجب حراز، المرجع السابق، ص ٤٣.

«الميري» - وهو المبلغ الذي حددته الدولة كنصيب الولاية في مصاريف الإدارة المركزية - إلى استانبول.

وقد عمدت الدولة العثمانية إلى سك النقود منذ نشأتها، لأن ضرب النقود رمز الاستقلال والسيادة، وكانت هذه النقود مماثلة للنقود التي ضربها السلاجقة على النمط البيزنطي، ومن المرجح أن يكون وزنها الكامل كان يبلغ ستة قراريط، أي ما يعادل ربع الدرهم المتداول في البلدان الإسلامية، وقد أطلق على القطعة النقدية اسم «أقجة»[(١)] وكانت كل أربعين منها تعادل عشرة دوكات. وكانت تلك النقود التي ضربها العثمانيون، تحمل على وجهها الأول كلمة الشهادة، في حين تحمل على الوجه الثاني اسم الأمير باللغة الدارجة (أورخان) وعبارة يقصد بها الدعاء له «خلد الله ملكه»، دون الإشارة إلى اسم الأب ولأزمان الضرب ومكانه[(٢)]، وأدى ذلك إلى نشاط الحركة التجارية الخارجية.

التنظيمات الاجتماعية:

وتنقسم الدولة العثمانية إلى طبقتين هما: الحكام والرعية، وتشمل الطبقة الأولى الإداريين والقوات المسلحة ورجال الدين، ولا دخل لها بالإنتاج ولا تدفع ضرائب، على حين أن المجموعة الثانية (الرعية) هي التي تقوم بالإنتاج وتدفع الضرائب. وكانت الدولة شديدة الاهتمام ببقاء كل فرد من طبقته، على اعتبار أن ذلك من المستلزمات الأساسية للنظام السياسي الاجتماعي وللانسجام[(٣)].

وكانت أكثر أنواع الأراضي انتشاراً في الدولة العثمانية، هي الأراضي الأميرية (أراضي الدولة) وكان يوزع قسم منها على شكل

(١) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤١٢.

(٢) نفس المرجع.

(٣) جب وبوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ط ١، ص ٥٨ ــ ٥٩.

إقطاعات، بينما تجبى ضرائب القسم الآخر بواسطة ملتزمين وقد اختلفت الإقطاعات حسب ما تدره من عوائد، وقسمت بالتالي إلى ثلاثة أنواع:

١ ـ إقطاع صغير يسمى تيمار ولا يتجاوز دخله عشرين ألف أقجه (أصغر وحدة نقد عثمانية) ويطلق على صاحبه تيمارجي.

٢ ـ إقطاع زعامت، ويتجاوز دخله عشرين ألف أقجه، ويطلق على صاحبه زعيم.

٣ ـ إقطاع خاص، وهو أكبر الإقطاعات مساحة، ويتجاوز دخله مائة ألف أقجه، وأعطي إلى أفراد الأسرة الحاكمة. وكان صاحب الإقطاع يتمتع به مدى الحياة، كما أن السلطان العثماني كان مالكاً للأرض في أنحاء الدولة(١).

وقد طبقت الدولة العثمانية النظام الإقطاعي العسكري لمزاياه العديدة، فهو يضمن زراعة الأرض من جهة، ويضمن حصول الدولة في زمن الحرب على قوات من الفرسان دون تكاليف تذكر من جهة أخرى، لأن صاحب الإقطاع كان يذهب للحرب ومعه حصانه وسلاحه، ولهذا طبق هذا النظام الإقطاعي على سلاح الفرسان دون المشاة، فضلًا عن أن صاحب التيمار كان مكلفاً بتقديم تابع مسلح عن كل ثلاثة آلاف أقجه من إيراد إقطاعه، بينما يقع على عاتق صاحب الزعامة تقديم تابع مسلح كل خمسة آلاف أقجه من إيراد إقطاعه بعد إعفائه من الخمسة آلاف أقجه الأولى، ومن ثم قد يصل عدد أتباعه إلى ثمانية عشر تابعاً. ومن جهة ثالثة، فإن هذا النظام الإقطاعي كان يخفف العبء على الخزينة، فلا تدفع الدولة زمن السلم مرتبات للسباهية (الفرسان)(٢).

وفي المناطق التي لم تخضع لنظام الإقطاع العسكري، طبقت الدولة

---

(١) بخصوص الإقطاع العسكري في الدولة العثمانية انظر Lybyer, A.H., The Government of the ottoman Empire, P.100 - 105.

(٢) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، حـ ١، ص ١٣٥ ــ ١٤٥.

نظام الالتزام. وقد طبق بشكل واسع في عهد السلطان مراد الثالث (٩٨٢ - ١٠٠٤هـ / ١٥٧٤ - ١٥٩٥م). والالتزام في المصطلح الإداري والمالي العثماني، هو التعهد من قبل فرد أو عدة أفراد من ذوي العصبية، بسداد المال الميري السنوي المقرر على القرية أو عدة قرى، بواقع سعر معين للفدان الواحد، يتحدد حسب جودة الأرض. وبذلك لم تكن الدولة تتعامل مع الفلاحين مباشرة، وإنما تطرح حصص الالتزام بطريق المزايدة وكانت مدة الالتزام سنة واحدة[١].

ومهما يكن من أمر، فإن نظام الالتزام كان في صالح الدولة والفلاحين والملتزمين على السواء، فالدولة بفضل هذا النظام تلقي عن كاهلها أعباء جمع الأموال الأميرية من الفلاحين والملتزمين الذين يتولون هذه العملية كان من صالحهم أن يقوم بينهم وبين الفلاحين نوع من التعاون، فيمدونهم بالبذور والأسمدة وكل ما يحتاجون إليه حتى ينصرفون إلى زراعة الأرض وفلاحتها، فينتفعون بخيراتها ويسددون منها ما عليهم من ضرائب للدولة والملتزمين، مما يعود بالنفع على الجميع.

ولكن الذي حدث من الناحية العملية كان على عكس ذلك تماماً. فقد استغل الملتزمون الفلاحين وأخذوا ينهبونهم وينتزعون منهم كل ما يملكون، ويسيئون بذلك إلى الفلاحين وإلى اقتصاد الريف. وأدى ذلك إلى حدوث اضطرابات وتمردات، وحاولت الدولة كبح جماحهم دون أن تحقق نجاحاً يذكر، بل تمادى الملتزمون - في فترة الضعف العام للسلاطين - إلى استغلال الفلاحين[٢].

ومما يجدر ذكره أن الدولة العثمانية كانت دولة دينية، لأن الأحكام في الدولة كانت تستند إلى الشريعة الإسلامية من ناحية، ومكانة الهيئة الإسلامية من جهة أخرى، ولأن رعايا الدولة كانوا يخضعون لنظام الملل العثماني من جهة ثالثة[٣].

---

(١) د/ عبدالعزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ١٦٦ ــ ١٦٧.
(٢) نفس المرجع، ص ١٦٨.
(٣) د/محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة ١٩٧٦، ص ١٢ ــ ١٤.

ويترأس الهيئة الإسلامية شيخ الإسلام، وهو يلي السلطان في الأهمية. وكان التشريع والمحاكم والمدارس الملحقة بالمساجد وممتلكات الأوقاف الواسعة جميعها خاضعة له، كما كان خاضعاً له القضاة الشرعيون والقضاة العسكريون والمفتون. وكانت الأولوية في بداية نشأة الدولة العثمانية لقاضي عسكر الذي رافق الجيش المحارب، ثم صارت للمفتي رئيس العلماء والفقهاء في عهد السلطان سليمان القانوني. وأصبح المفتي هو شيخ الإسلام نفسه. وحرص السلاطين على تدعيم سلطة شيخ الإسلام، فكانوا يلجؤون إلى استغلال سلطته والإفادة منها كلما تعرضوا لأزمة خطيرة. وبلغ من ازدياد سلطة شيخ الإسلام أنه كان يحق له إصدار فتوى بعزل السلطان نفسه(١).

كما كانت الدولة لا تقدم على حرب دون صدور فتوى منه يقرر فيها أن أهداف هذه الحرب لا تتعارض مع الدين. وكانت أحكام المفتي نهائية لا معقب عليها. وكان الجهاز الإسلامي يضم أيضاً الأشراف وهم الذين ينحدرون من سلالة الرسول ﷺ، وكان نقيب الأشراف يحتل مكانة عالية في المجتمع(٢).

وتركت الدولة مشايخ الطرق الصوفية يمارسون سلطات واسعة على المريدين والأتباع. وانتشرت هذه الطرق انتشاراً واسعاً في آسيا الصغرى، ثم انتقلت إلى معظم أقاليم الدولة، وكانت أهم هذه الطرق الصوفية: النقشبندية، والمولوية، والبكتاشية، والرفاعية، والأحمدية وغيرها(٣).

أما نظام الملل، فهو يقوم على التبعية الدينية للطوائف غير

---

(١) عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٢) نفس المرجع.

(٣) د/السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٤٩.

الإسلامية، وقد اعتمد العثمانيون التبعية الدينية كأساس للتقسيم الإداري. وكانت كل من الفئات الدينية تسمى ملة. وكانت أكبر الملل ملة الإسلام وملة الروم الأرثوذكس. واعتبر الأرمن واليهود في جملة الملل. وكانت جميع الملل غير الإسلامية مقسمة إلى طوائف دينية، لكل طائفة رئيس من أبناء الطائفة ويقوم بالفصل في قضايا الأحوال الشخصية لاتباع هذه الملة وفقاً لقوانينها دون تدخل من الدولة وهكذا منح نظام الملل الرعايا غير المسلمين كياناً ذاتياً خاصاً[1].

التنظيمات العسكرية:

احتل الجيش مكانة بالغة الأهمية في حياة الدولة العثمانية، فهو أداة للحكم والحرب معاً، إذ كانت الحكومة العثمانية جيشاً قبل أي شيء آخر، وكان كبار موظفي الدولة هم في نفس الوقت قادة الجيش، ومن هنا جاء القول الشائع بأن الحكومة العثمانية والجيش العثماني وجهان لعمله واحدة. وتقوم أسس الجيش العثماني على الجند السباهية (الفرسان) وهم من أقدم أنواع الجنود في الدولة، وكان عليهم المرابطة داخل حدود الصناجق أو الألوية، حيث تقع تيماراتهم. ويشكل السباهية الذين يقيمون ضمن حدود الصنجق الواحد، وحدة عسكرية من الخيالة العثمانية. وتحشد هذه الوحدة عند نشوب حرب ما، تحت راية الصنجق بك، الذي يتولى المقاطعة (الصنجق) ويدير في نفس الوقت شؤون فرسان صنجقه[2].

على أنه بتدهور الجنود السباهية الذين تمسكوا بالأرض أكثر من اهتمامهم بالحرب ولجؤوا إلى دفع مال البدل عوضاً عن الخدمة

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٣٠ ـ ١٣١.
(٢) د/علي حسون، المرجع السابق، ص ٣٢٣.

العسكرية، ازداد الاعتماد على الانكشارية وكانوا فرقة من المشاة المحترفين، لها امتيازاتها الخاصة، وقد شكلت في أواخر القرن الرابع عشر وضمت في صفوفها الصبية السلاف الأسرى، الذين تلقوا تعليماً وتدريباً خاصاً لكي يصبحوا جنوداً مسلمين، وكانوا يقومون بخدمة السلطان بغيرة وحماس. وقد ترأس هؤلاء في استانبول أغا (قائد) الانكشارية، الذي كان مسؤولاً عن تعيين أغا الحامية الانكشارية في مركز كل ولاية. وكانت هذه الحامية تقيم عادة في القلعة، ويعهد إليها بحراسة أسوار المدينة، وأبوابها، وفي بعض الأحيان الاشتراك في حملات الوالي المحلية أو حملات السلطان في الجبهات الرئيسية. وكان أغا الحامية العثمانية في مركز كل ولاية مستقلًا عن الوالي ومرتبطاً باستانبول مباشرة(١).

ولما دب الفساد إلى صفوف الانكشارية. حدث شبه اندماج بين الانكشارية والأهالي عن طريق الزواج أو عن طريق انتساب الانكشارية إلى أصحاب الحرف، وبازدياد انتشار السكان المحليين إلى الفرق الانكشارية في الولاية للتمتع بامتيازاتها، غلب الطابع المحلي على الانكشارية حتى أصبحوا يعرفون باليرلية(٢).

وإلى جانب السباهية والانكشارية وجد الجند الخاص أو المرتزقة، الذين استخدمهم حكام الولايات بصورة خاصة، وكانت نفقاتهم تدفع عادة من واردات الولاية وقد ازداد اعتماد الولاة على الجند المرتزقة بازدياد الفوضى وانعدام النظام في صفوف السباهية والانكشارية وخصوصاً في القرن الثامن عشر. ولم يكن الولاة وحدهم الذين استخدموا الجند المرتزقة، بل نجد بعض الأمراء المحليين يحتفظون بمثل هذه القوات لدعم سلطتهم ضد أعدائهم، ولا سيما ضد حكام الولايات التابعين لها(٣).

---

(١) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤٦٥ ــ ٤٦٧.

(٢) د/السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٤٧.

(٣) د/علي حسون، المرجع السابق، ص ٣٢٤.

وكان الانكشارية يرافقون طليعة الجيش ويتبعهم الأغاوات، ثم قضاة العسكر، والمحاسبون، ثم يليهم موكب السلطان يحيط به حرسه الخاص، والحاجب ويرتفع وراءه العلم الإمبراطوري ثم الألوية الستة الخاصة بفرق الجيش المختلفة، بالإضافة إلى أعلام فرسان السباهية المرتزقة، أما القلب فيحتله الصدر الأعظم والوزراء ووراءهم باشا الروم إيلي، وباشا الأناضول، وعدد كبير من الفرسان الإقطاعيين(١).

وأثناء المعركة، فقد كان باشا الروم إيلي وباشا الأناضول يتقدمان إلى الصف الأول عند ابتداء المعركة، وكان الجناح الأيسر يعتبر محل الشرف، وكان يدعم كلا الجناحين فرقة من المدفعية، وفرقة أخرى من طلائع جيش الخيالة. يتلوهما فرسان السباهية، في حين يقف الانكشارية إلى الوراء في القلب، وكان السلطان يتخذ مكانه خلفهم، وإلى جانبه راية الحرب والحاشية السلطانية(٢).

وهكذا يتضح لنا أن مهمة الجيش الدفاع عن مصادر الثروة وتوسيع نطاقها وحماية الحاكم والدولة. وقد اهتم العثمانيون بالمدفعية منذ أيامهم الأولى، وأنشأوا فرقة خاصة بالمدفعية (طوبجي) بلغ عددها ألف رجل في عهد بايزيد الثاني ٨٨٦ هـ/٩١٨ هـ، وفي عهد سليمان القانوني (٩٢٦ - ٩٧٤هـ / ١٥٢٠ - ١٥٦٦م) تشكّلت فرقة أخرى من المدفعية الثقيلة. كما اهتم العثمانيون أيضاً ببناء أسطول قوي بعد توسع دولتهم بحيث يستطيع التصدي لأسطول البنادقة، ووصل عدد سفنه إلى ٣٠٠ سفينة في عهد سليمان القانوني واستطاع قائده خير الدين بربروسا أن ينشر الفزع والرعب في نفوس الأروبيين(٣).

---

(١) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤٦٧.

(٢) نفس المرجع ص ٤٦٨.

(٣) د/علي حسون، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

الفصل الخامس

العثمانيون في عصر الضعف والانحطاط

٩٧٤ - ١٢٩٣هـ / ١٥٦٦ - ١٨٧٦م

لم يطل عصر القوة في الخلافة العثمانية، إذ لم يزد كثيراً عن النصف قرن، ولم يشمل سوى عهد خليفتين هما سليم الأول وابنه سليمان القانوني. وهما الخليفتان الأوليان وجاء عصر الضعف بعدهما مباشرة، وبدأ الخط البياني للخلافة العثمانية بالهبوط باستمرار، وإن كان يتوقف عن الهبوط، ويسير مستوياً في بعض المراحل لقوة بعض الخلفاء النسبية أم لهمة حاشيتهم وخاصة الصدر الأعظم[1].

غير أن مقدمات ضعف الدولة قد اتضحت في عهد السلطان سليمان، إذ وقع السلطان تحت تأثير زوجته روكسلانا التي تدخلت للتآمر ضد الأمير مصطفى ليتولى ابنها سليم الثاني الخلافة بعد أبيه. وكان مصطفى قائداً عظيماً ومحبوباً من الضباط، مما أدى إلى سخط الانكشارية ونشوب ثورة كبرى ضد السلطان وأخمدها السلطان سليمان. وبذلك تم القضاء على مصطفى وابنه الرضيع وكذلك قتل السلطان ابنه بايزيد وأبناءه الأربعة بدسيسة من أحد الوزراء[2]. ومن مظاهر الضعف في عهد سليمان بدء انسحاب السلطان من جلسات الديوان، وبروز سطوة الحريم والعجز

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١١١.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٠٢.

عن مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى نشوب القلاقل الشعبية في الروميلي والأناضول.

عوامل ضعف الدولة العثمانية:

١ - **الترف:** أدى الترف إلى انغماس السلاطين في حياة الفسق واللهو بحيث أصبحوا يقضون أوقاتهم في الملذات وقضاء أوقاتهم بين الحريم وقد أدى ذلك إلى الابتعاد عن أمور الحكم وتركها للصدور العظام وللحريم، فانعكس ذلك على ضعف السلاطين، وعدم قدرتهم على تسيير أمور الدولة وقيادة الجيش، مما أثر على أوضاع الدولة بشكل عام.

٢ - **سيطرة العقلية العسكرية:** هذه العقلية تنزع إلى حل الأمور بالسيف، وتبتعد عن الدراسة والتخطيط ومناقشة الموضوعات، وكانت سيطرتها عامة سواء أكان على الخلفاء أم على أبنائهم أم على ضباط الانكشارية، ثم الولاة فالسلاطين أو الخلفاء كانوا يربون تربية عسكرية وإسلامية. وفي بداية الأمر كان الإيمان هو الأقوى وهو المحرك، وحل محل الإيمان السيف وأصبح السلطان يقتل أقرب الناس إليه وضعفت الأسرة الحاكمة، أسرة آل عثمان، وأصابها عدم التماسك والتجزئة، بسبب الشك والريبة الذي وصل إلى حد القتل في كثير من الأحيان، بسبب رغبة كل زوجة من زوجات السلطان في أن يكون ابنها هو الحاكم.

ولما كان الانكشارية هم عماد الجيش، فقد أحرزوا انتصارات عظيمة، وأعطيت لهم امتيازات، وقدمت لهم إقطاعات فمالوا إلى حياة الدعة والراحة. وبدأت علامات الضعف تظهر على الجيش. وكان السلطان يخرج على رأس الجيش للقتال فيزيد ذلك من قوة المقاتلين،

ويرفع من روحهم المعنوية، فلما قوي أمر الانكشارية أصبحوا لا يخرجون للقتال إلا إذا خرج السلطان معهم، وهذه بداية التذمر، وفي عهد السلطان سليمان سمح لأكبر ضابط في قيادة الجيش، وهنا يصبح الضابط ذا شأن، فتصبح له متطلبات مما يؤدي إلى فساد الأمور، علاوة على أن الانكشارية كانوا يتدخلون في اختيار السلطان وفي شؤون الحكم. وقد أدى ذلك إلى تحول الانكشارية إلى عنصر شغب وفوضى بعد أن توقفت الفتوحات، واقتصر دورهم على أعمال التمرد والعصيان والاعتداء على الأموال والأرواح، وزاد الأمر سوءاً أن الجيش الانكشاري أصبح يتدخل في السياسة وشؤون الحكم(١).

فسيطرة القوة العسكرية تضعف الدولة لأن العسكري بطبعه يحب التسلط ويفكر بسيفه لا بعقله. وإعطاء العسكريين امتيازات، ومحاولة إرضائهم باستمرار يجعلهم يفكرون باستخدام قوتهم إن لم تحقق رغباتهم. وهذا ما جر على الدولة البلاء. فالعسكريون يجب أن يبقوا في معسكراتهم، تقدم لهم حقوقهم، ويقدمون واجباتهم ولا يتدخلون في شؤون البلاد، إلا إذا دعت الضرورة لذلك(٢).

٣ - **فساد الإدارة:** فقد ترك السلاطين أمور الدولة لكبار موظفيهم الذين انغمسوا في الفساد، فانتشرت الرشوة والمحسوبية والاختلاس وبيع الوظائف، وفي الولايات قام الولاة بحركات انفصالية واستقلالية عن الدولة.

٤ - **الامتيازات الأجنبية:** لقد منحت الاتفاقات الأجنبية الدول الأوروبية امتيازات وحقوقاً للتدخل في شؤون الدولة عن طريق رعاياها من النصارى، وأصبحت هذه الاتفاقيات ملزمة للحكام، ونجم عنها

---

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١١١ ــ ١١٣.

(٢) نفس المرجع.

خروج الرعايا الأجانب عن طاعة أوامر الدولة مما سبب ضعفاً للدولة وأحياناً قيام حركات تمرد وثورات[1].

٥ - **أسباب أخرى**: سوء نظام جباية الضرائب، واتساع الدولة وتعدد عناصرها وعدم وجود رابطة قومية بينهم، والزواج من أجنبيات، وعدم وجود خطة واضحة في استراتيجية الدولة بعد الفتوحات الواسعة، ومعاداة الدول الأوربية للدولة العثمانية، وانتشار الجمعيات السرية والتنظيمات، وتعدد الجواري والمحظيات. والانصراف نحو العلم المتأثر بالحضارة الغربية.

٦ ـ أهم أسباب الضعف مخالفة منهج الله، فالدولة العثمانية منذ أن قامت كانت العاطفة الإسلامية جياشة قوية. فلما تبعها التربية الإسلامية والتدريب السليم للنظام العسكري الجديد كانت القوة وكان الفتح وكان التوسع. فلما ضعفت التربية الإسلامية زادت أعمال السلب والنهب والفسق والفجور، واستمر الانحراف وظهرت حركات العصيان وفقدت الدولة هيبتها بسبب انصراف السلاطين إلى ملذاتهم[2].

وهناك أسباب خارجية منها:

١ ـ مواجهة النمسا وروسيا للدولة العثمانية بقصد التوسع في البلقان.

٢ ـ نهضة أوروبا في شتى المجالات بفضل التقدم العلمي، وما نجم عن ذلك من قوة الغرب في نفس الوقت الذي أهمل فيه العثمانيون الجانب العلمي ليتقووا مادياً، فالدراسة والبحث ومتابعة التطور والنتائج تؤدي إلى الابتكار والاختراع الذي تستفيد منه الدولة لتصد أعداءها بل تتفوق عليهم[3].

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٠٨ ــ ١٠٩، أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٩٨.

(٢) د/عبد الكريم غرايبة، تاريخ العرب الحديث، دمشق ١٩٦٠، ص ٢٧٥.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٠٤.

تولى في هذه المرحلة خمسة عشر خليفة ويعد أكثرهم مغموراً، إلا من حدثت في أيامه أحداث جسام فسلطت الأضواء عليه، وهو سليم الثاني بسبب شهرة أبيه وبصفته أول الخلفاء الضعفاء. وبدأت سلطة الدولة تنحسر عن أجزاء من أملاكها حتى لم يبق لها إلا القليل ثم انهارت. وإذا كانت هذه المرحلة قد طالت إذ زادت على قرنين (٩٧٤ ـ ١١٧١ هـ/١٥٦٦ ـ ١٧٥٧ م). فذلك يعود لهيبة الدولة السابقة، واتساع رقعتها، والعاطفة الإسلامية، واختلاف الدول الأوربية فيما بينها على التقسيم[١].

السلطان سليم الثاني (٩٧٤ ـ ٩٨٢ هـ/١٥٦٦ ـ ١٥٧٤ م)

تولى الحكم في ٩ ربيع الأول سنة ٩٧٤ هـ، وبايعه شيخ الإسلام أبو السعود وكذلك العلماء والوزراء والأمراء، وزار أضرحة أجداده ثم قابل الصدر الأعظم صوقللي محمد باشا.

اتصف بالشهامة والشجاعة والتقوى والورع وحب الخير. ضاعف مرتبات الحرمين الشريفين وبنى مسجداً في أدرنة، وصنع جسراً في استانبول وأصلح جامع أياصوفيا من آثار الزلزال. ووصل نهر رتن بنهر الفولجا ليربط البحر الأسود ببحر الخزر، كما طلب أهل قازان منه ليسهل تسيير سفنهم وجيوشهم خشية استيلاء الروس على بلادهم. ولكن المشروع توقف بسبب الحوادث والتمردات ولولا وجود الوزير صوقللي محمد باشا وشهرته السياسية لتفاقم الوضع وبفضله هدأ الأوضاع وأزال الارتباكات[٢].

اعترفت النمسا بالسلطان، وأرسلت بعثة لتهنئته وعقد معاهدة معه، بحيث تستمر النمسا في دفع الجزية وبقاء الروابط القديمة معه.

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٢٤ ـ ١٢٥.
(٢) إسماعيل سرهنك باشا، المرجع السابق، ص ١٠٩ ـ ١١٠.

كما اعترف ملك النمسا بتبعية أمراء النمسا (ترنسلفانيا والأفلاق) إلى الدولة العثمانية. وهنأه كذلك شاه إيران طهماسب وأمراء الأفلاق والبغدان وسفراء فرنسا والبندقية[1].

وهكذا فإن السلطان سليم قد عقد صلحاً مع النمسا عام (٩٧٦هـ/١٥٦٨م) اعترفت فيه الدولة العثمانية بأملاك النمسا في المجر. وحددت المعاهدة مع فرنسا عام (٩٧٧هـ/١٥٦٩م) والتي أكدت على علاقات فرنسا بالدولة العثمانية وعلى الامتيازات والتي كانت عاملًا من عوامل ضعف الدولة العثمانية وتدخل الدول الأوروبية في شؤونها.

وقضت الدولة العثمانية على عصيان البصرة الذي قام به ابن عليان وفرضت عليه جزية سنوية مقدارها ١٥٠٠ ليرة ذهب. كما تم فتح بلاد اليمن وقهر ثوارها بزعامة المطهر بن شرف الدين وذلك عام (٩٧٦هـ/١٥٦٠م). وتم فتح جزيرة قبرص عام (٩٧٨هـ/١٥٧٠م) وكانت تتبع البنادقة الذين اعترفوا بتبعية قبرص للعثمانيين وحدث تمرد في إمارة البغدان عام (٩٨١هـ/١٥٧٣م) لكنه فشل وتم القضاء عليه. وتوفي السلطان سليم في عام (٩٨٢هـ/١٥٧٤م) بعد أن حكم ثمانية أعوام[2].

غير أن العثمانيين قد اهتموا ببناء السفن الحربية، وقام الأسطول العثماني بمهاجمة قبرص وكريت وانضم إليه باي الجزائر ثم اتجهوا إلى سواحل البانيا. واستولى العثمانيون على جزيرتي كورفو وكتالونيا ووطدت القوات العثمانية نفوذها في لبانتو عام (٩٧٨هـ/١٥٧١م). غير أن أساطيل اسبانيا قد جاءت لمساعدة البنادقة كما جاء أسطول نصراني آخر من صقلية والبابا ونابلي ومالطة يقوده أميرال إسباني دون جوان.

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٢٦.

وجرت معركة بين الطرفين هزم فيها العثمانيون وخسروا مئتي سفينة وقتل بينهم عشرون ألفاً في حين خسر العدو الصليبي ثمانية آلاف وسفن أخرى.

وكان للمعركة نتائج على دول أوربا حيث قامت ببناء الكنائس شكراً لله على انتصارها بينما انصرف العثمانيون إلى بناء السفن وتقوية الأسطول العثماني حتى صارت الأساطيل العثمانية أقوى وأعظم مما كانت عليه قبل ذلك[1].

وقد حقق الأسطول العثماني انتصارات في بلاد الموره (مياه نفارين) وهرب البنادقة، كما غزا الأسطول العثماني إيطاليا وسواحل البندقية. ونجح العثمانيون في القضاء على الأسطول الإسباني الذي سيطر على تونس ونجحوا في إعادة تونس إلى حظيرة الدولة العثمانية. وهكذا أصبح العثمانيون حكاماً على البحر المتوسط[2].

ولم يمض عام على تثبيت أقدام العثمانيين في تونس، حتى وهنت صحة السلطان سليم وتوفي في العام التالي، وقد كان كريماً رحيماً محباً للعلم والعلماء وأهل الخير، وضاعف الصدقات لأهل الحرمين الشريفين، كما أمر بإعادة بناء المسجد الحرام والمنشآت وكل ما يتصل بوجوه الخير والبر والإحسان[3].

السلطان مراد الثالث (٩٨٢ ــ ١٠٠٣ هـ/١٥٧٤ ــ ١٥٩٤م)

تولى العرش بعد وفاة والده، اهتم بالعلوم وله شعر بليغ بالعربية والفارسية والتركية، وكان يميل إلى علم التصوف محباً للعلماء تقياً.

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١١١ ــ ١١٢.
(٢) نفس المرجع.
(٣) النهروالي، المرجع السابق، ص ٢٥٠.

وصرف للجنود عطايا الجلوس ومقدارها (١١٠,٠٠٠) ليرة ذهبية، فمنع الاضطرابات التي كانت تحدث عادة إذا تأخر صرف تلك الهبات[١].

عمل السلطان مراد على إتمام الأعمال وتنفيذ السياسة التي انتهجها والده من قبل، ففي عهده قام بعدة حروب في أماكن مختلفة. ففي عام (٩٨٢هـ / ١٥٧٤) هرب ملك بولونيا هنري دي فالوا وذهب إلى فرنسا، فأوصى الخليفة العثماني أعيان بولونيا بانتخاب أمير ترانسلفانيا ملكاً عليهم، ففعلوا، وصارت بولونيا (بولندا) فعلًا تحت حماية العثمانيين وتابعة للدولة العثمانية عام (٩٨٣هـ / ١٥٧٥م). واعترفت النمسا بذلك في معاهدة الصلح التي أبرمتها مع الدولة العثمانية عام (٩٨٤هـ / ١٥٧٦م) ومدتها ثماني سنوات، وأغار التتار على حدود بولونيا عام (٩٨٤هـ / ١٥٧٦) فاستنجدت بالسلطان العثماني فأعلن حمايتها بمعاهدة رسمية[٢].

وفي عام (٩٨٥هـ / ١٥٧٧م) قامت ثورة في مراكش، واستعان زعيمها الشريف محمد المتوكل السعدي بالبرتغاليين، واستمد سلطان مراكش عبد الملك بالسلطان مراد فأنجده، وأرسلت قوة من طرابلس اشتبكت مع البرتغاليين في معركة القصر الكبير جنوب طنجة انتصر فيها العثمانيون وحلفاؤهم على البرتغاليين وأنصارهم، وأعيد السلطان الشرعي إلى حكمه وشكر السلطان العثماني ودعا له بالنصر والتأييد[٣].

وفي عام (٩٨٥هـ / ١٥٧٧م) وإثر حدوث اضطرابات في بلاد فارس في أعقاب وفاة طهماسب، أرسل العثمانيون حملة عسكرية تمكنت من اجتياز بلاد القوقاز وفتحت مدينة تفليس وكرجستان

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٢٢، ص ١٢٨.

(٢) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥٠٤.

(٣) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٢٤.

(الكرج). ودخل العثمانيون بعدها تبريز عام (٩٩٣هـ / ١٥٨٥م) تمكنت فيها جيوش مراد من السيطرة على أذربيجان والكرج (جورجيا) وشيروان ولوزستان. فلما تولى الشاه عباس الكبير حكم فارس، سعى إلى إقامة صلح مع العثمانيين، تنازل بمقتضاه عن تلك الأماكن التي أصبحت بيد العثمانيين، كما تعهد بعدم سب الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول ـ أبو بكر وعمر وعثمان ـ في أرض مملكته، وبعث بابن عم له يدعى حيدر ميرزا رهينة إلى استانبول لضمان تنفيذ ما اتفقا عليه[١].

وجدد السلطان مراد الامتيازات القنصلية مع فرنسا والبندقية، وكلف الوزير صوقللي باشا بتنفيذ ذلك وزاد على بنود هذه الاتفاقيات ما يهم البلدين (فرنسا والبندقية) ومنها حصول السفير الفرنسي على الأولوية في الاحتفالات والسماح للسفن الأوربية بدخول الموانئ العثمانية تحت ظل العلم الفرنسي باستثناء البندقية. وحصلت انجلترا بعد ذلك على امتيازات تجارية كفرنسا تماماً[٢].

وقد قامت حركات تمرد وعصيان في الولايات العثمانية على أيدي الانكشارية بعد توقف الحروب، وكان السلطان قد كلفهم بحرب المجر غير أنهم هزموا أمام النمسا التي ساندت المجر، واحتلت عدة قلاع حصينة استردها سنان باشا بعد ذلك. كما أعلن أمراء الأفلاق والبغدان وترانسلفانيا التمرد وانضموا إلى النمسا في حربها مع العثمانيين. فسار إليهم سنان باشا عام ١٠٠٣ هـ/١٥٩٤ م غير أنه لم يحرز النصر وخسر عدة مدن[٣].

---

(١) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥٠٣ - ٥٠٤.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٣٥، وانظر كذلك محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٢٧.

(٣) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٢٧ - ١٢٨.

وأعقب ذلك ضعف البندقية من كثرة الحروب البحرية، ولهذا سارت في طريق السلام مع الدولة العثمانية، كما ضعفت إسبانيا بعد هزيمة أسطولها في معركة الأرمادا البحرية الشهيرة وتوقفت عن الحركات العدوانية في البحر المتوسط. أما إيطاليا والبابا فكانا منشغلين بالحروب الداخلية. وهكذا فإن الأسطول العثماني كان حرّاً في البحر المتوسط بحيث أصبح سيد البحار وابتعدت القوة البحرية الأجنبية عن منطقة البحر المتوسط.

وخلال فترة حكم السلطان مراد تعرض الصدر الأعظم صوقللي محمد باشا لطعنة قاتلة عام (٩٨٦هـ / ١٥٨٩م) وخلفه سنان باشا. غير أن صوقللي باشا تمكن بمهارته العسكرية من قهر أعداء الدولة وحافظ على هيبتها وقوتها ونفوذها. كما قوى الأسطول العثماني، وأصلح أمور الإدارة بكفاءة حتى أصبحت الدولة مهيبة الجانب. وأبرم الصلح مع عدد من دول أوربا المعادية للدولة العثمانية. وبموته ضعفت الدولة وقامت المشاحنات بين الصدور العظام، وارتبكت أحوال البلاد، وتمردت بعض فرق الجيش ولم تتمكن الحكومة من ردعهم، كما كثر عزل الصدور العظام، وتمردت الانكشارية مما أدى إلى خروج بولونيا عن الدولة العثمانية وحربهم لها(١).

السلطان محمد الثالث (١٠٠٣ ـ ١٠١٢ هـ/١٥٩٤ ـ ١٦٠٣ م)

تـولى السلطـة وعمـره ٢٩ سنـة، وكـان واليـاً على مغنيسيـا، قتل(٢)

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) يقال إن السلطان محمد الفاتح أصدر قانوناً يناشد فيه خلفاءه أن يبدأوا ولايتهم العرش بقتل إخوتهم. انظر د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١١٠. نقلًا عن المجتمع الإسلامي والغرب، تأليف جب وبوون، وترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، حـ ١، ص ٥٤.

جميع إخوته الذكور وعددهم ١٩ أميراً، وإن كان هذا العمل يتنافى مع جميع أحكام الشريعة الإسلامية، كما قضى على أتباع السراي السلطانية وعين فرهاد باشا قائداً للبحرية وصدراً أعظم بدلًا من سنان باشا. وكان السلطان تقيّاً محباً للعدل والإنصاف يميل إلى العلماء والمصلحة، محباً للعلوم والصناعة، عادلًا مستقيماً. ولكن طول زمن الحروب مع دولة النمسا شغلته عن كل شيء[1].

أعماله الحربية والحرب مع النمسا:

واجه السلطان قبل توليه الحكم الحروب مع دولة النمسا والمجر، كما شهد عصيان أمير الأفلاق ملك الأردل، وتحركات النمسا، فصدت الدولة العثمانية هجومهم الذي قاموا به لاحتلال المجر، غير أن جيوش النمسا نجحت في احتلال قلعتي بكرش وترغوشتة، بعد مقتل الحاميتين. وكان العثمانيون قد اهتموا بتحصينها تحصيناً جيداً غير أنهم، فشلوا في المحافظة عليها وهزم الجيش العثماني ولكن الوزراء وشيخ الإسلام شجعوا السلطان على مواجهة النمسا، فزحف الجيش العثماني إلى بلغراد واستولى عليها عام (١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م)، فوقعت معركة كبيرة بين الطرفين هزم فيها العثمانيون، غير أن العثمانيين استطاعوا تحويل الهزيمة إلى النصر بفضل إيمانهم وتشجيع شيخ الإسلام سعد الدين أفندي للمقاتلين المسلمين. وقتل من الفرنجة مئة ألف وغنموا غنائم كثيرة. وقد أعاد ذلك سمعة كبيرة وهيبة للدولة بعد عصر السلطان سليمان القانوني.

وتولى الصدارة إبراهيم باشا في أعقاب وفاة سنان باشا، وفشل قادة الجيوش العثمانية في محاربة الجيوش الأجنبية، غير أن السلطان محمد الثالث أعدم ساطورجي باشا قائد الحملة العثمانية في المجر، وعهد إلى الصدر الأعظم إبراهيم باشا بقيادة الجيش وفتح قلعة قنيثرة أشهر حصون

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٢٩ ــ ١٣٠.

بلاد النمسا، وهزمت جيوش ميخائيل بك في المجر بعد تمرده على الدولة. وحاولت النمسا استرداد القلعة غير أن الدولة العثمانية تمكنت من المحافظة عليها بقيادة ترياكي حسن باشا وهزم جيش النمسا وعدده خمسون ألفاً وغنم ذخائر ومدافع، وكافأه السلطان على هذا النصر[1]. وتوفي إبراهيم باشا وخلفه يمشجي حسن باشا صدراً أعظم.

العثمانيون والفرس:

استغل الشاه عباس ملك إيران انشغال الدولة العثمانية بحرب النمسا، فنقض الصلح المعقود مع الدولة العثمانية واسترد أذربيجان وشيروان وتبريز وروان[2]. وقضى السلطان محمد الثالث على ثورات الجنود والخيالة في الأناضول واستانبول، واستعانت عليهم بالجنود الانكشارية، وتوفي السلطان محمد عام (١٠١٢هـ / ١٦٠٣) وعمره ٣٧ سنة.

السلطان أحمد الأول (١٠١٢ ـ ١٠٢٦ هـ/١٦٠٣ ـ ١٦١٧ م)

تولى الحكم بعد وفاة والده وعمره ١٤ سنة ولم يجلس أحد قبله من سلاطين آل عثمان. على العرش في هذا السن، وكانت أحوال الدولة مرتبكة جداً لانشغالها بحروب النمسا في أوروبا وحروب إيران والثورات الداخلية في آسيا. فأتم ما بدأ به أبوه من تجهيزات حربية[3].

وقد اتصف بحب الخير، فأقام لأهل الحرمين الشريفين عمارة العين وكسوة البيت الحرام والحجرة النبوية الشريفة، وأصلح مآثر كثيرة بمكة، كما أنشأ وقفاً من قرى مصر على خدام الحرمين الشريفين[4].

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٣١ ـ ١٣٢.
(٢) نفس المرجع، ص ١٣٢.
(٣) نفس المرجع، ص ١٣٣.
(٤) محمد فريد بك، المرجع السابق، ص ٣٧٢، بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥١١.

الحرب مع النمسا عام ١٠١٥ هـ/١٦٠٩ م

عين السلطان أحمد لالا محمد باشا صدراً أعظم خليفة للصدر الأعظم يمشجي حسن باشا، حيث كان سرداراً عاماً للجيوش التي حاربت في النمسا وهو من أعظم قواد الجيوش. فاهتم بتقوية الجيوش العثمانية. وحاصر قلعة استراغون واحتلها. كما حارب أمارات الأفلاق والبغدان والأردل وعقد صلحاً معهم. ولما مات لالا باشا خلفه قبوجي مراد باشا صدراً أعظم وكان قائداً لإحدى فرق الجيش، وقد نجحت الجيوش العثمانية في هزيمة النمسا واسترداد القلاع الحصينة في مدن يانق واستراغون وبلغراد وغيرها كما نجحت الجيوش العثمانية في حربها بالمجر وهزيمة النمسا هناك. ونجم عن ذلك، قبول النمسا بطلب الصلح ودفع جزية للدولة العثمانية مقدارها مائتا ألف دوكة من الذهب، وبقيت بلاد المجر بموجب هذه المعاهدة تابعة للدولة العثمانية[1].

وجرت حروب بحرية بين السفن العثمانية وسفن إسبانيا، ورهبان القديس يوحنا في مالطة، والإمارات الإيطالية، وتراوح النصر بين الجانبين.

وجددت الدولة امتيازات فرنسا، وانجلترا، وحصلت هولندا على مثلها، كما جددت الاتفاقية مع بولونيا بحيث تمنع الدولة تتار القرم من التعدي على بولونيا، وتمنع بولونيا القازاق من التعدي على الدولة العثمانية[2].

الحرب مع فارس:

استغل الشاه عباس ملك الصفويين في إيران هذه الحروب

(١) بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥١١.
(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٣١.

والثورات الداخلية، فاسترجع شمال العراق، ومدن تبريز ووان، وضعفت جيوش الدولة العثمانية، عن المقاومة، فاضطرت الدولة العثمانية إلى عقد الصلح مع الصفويين سنة ١٠٢١ هـ/١٦١٢ م فقدت بموجبه الدولة العثمانية كل ما ضمه سليمان القانوني من أراض في تلك الجهات بما في ذلك بغداد، وكان هذا بداية التراجع[١].

وأثناء انشغال الدولة بحروبها مع النمسا وفارس شهدت الدولة اضطرابات، وحركات داخلية في الأناضول (حركة جان بولاد الكردي، وحركة والي أنقرة، قلندر أوغلي) وحركة فخر الدين المعني الثاني في لبنان ـ ونجحت الدولة العثمانية في القضاء على هذه الحركات[٢].

وتوفي السلطان أحمد الأول عام ١٠٢٦ هـ/١٦١٧ م، وعمره ثمان وعشرون سنة، أمضى نصفها في الحكم. وخلفه أخوه مصطفى لأن ابنه عثمان كان صغيراً، وكان مصطفى محجوزاً بين الجواري والخدم، لذا فإنه لم يعرف شيئاً من أمور الحكم عندما آلت إليه السلطنة. ولم يلبث سوى ثلاثة شهور حتى عزل. ونصب ابن أخيه عثمان ابن الخليفة أحمد الأول رغم صغره[٣].

السلطان عثمان الثاني ١٠٢٦ ـ ١٠٣١ هـ/١٦١٧ ـ ١٦٢١م

تولى الحكم بعد عزل عمه مصطفى الأول، وكان صغيراً لم يزد عمره على الثالثة عشرة، أعلن الحرب على بولونيا لتدخلها بشؤون إمارة البغدان، وتم الصلح بين الطرفين عام ١٠٢٩ هـ/١٦٢٠ م بناء على طلب بولونيا، وطلب الانكشارية الذين تعبوا من مواصلة القتال، فغضب الخليفة

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٣٦.
(٢) محمد فريد بك، المرجع السابق، ص ٢٧٣.
(٣) بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥١١.

عليهم. ودبر السلطان لهم مكيدة، فلما عرفوا بذلك، ثاروا عليه، وقبضوا عليه ثم قتل بعد أن عزلوه، وأعادوا مكانه عمه مصطفى الأول عام (١٠٣١هـ / ١٦٢١م)[1].

تولى السلطان مصطفى الحكم للمرة الثانية عام ١٠٣١ هـ/١٦٢١ م إثر فتنة الانكشارية ولكنه لم يكن موفقاً في سياسته نحو اختياره للصدر الأعظم، فقد تغير الوزراء الصدور في مدته هذه سبع مرات خلال عام واحد وأربعة شهور، وكان الخلاف قد دب بين أمراء الأناضول وفرقة السباهية على استمرار الوزراء الصدور، حتى أن بعضهم لم يكمل شهراً واحداً. ونظراً لضعف السلطان وعجزه عن إدارة شؤون البلاد، تم عزله وتنصيب الأمير مراد الرابع ابن السلطان أحمد الأول سلطاناً للدولة، وبذلك تكون مدة ولايته عاماً واحداً وسبعة أشهر[2].

السلطان مراد الرابع ١٠٣٢ ـ ١٠٤٩ هـ/١٦٢٢ ـ ١٦٣٩ م)

تولى أمر السلطنة بعد عزل عمه مصطفى عام ١٠٣٢ هـ/١٦٢٢ م، وهو أخو عثمان الثاني، ولصغر سنه فقد سيطر الانكشارية عليه. وكانت أحوال الدولة سيئة للغاية، فكان عليه إصلاح الأحوال الداخلية أولًا حتى يتسنى له التفرغ للأحوال الخارجية، لذا بدأ باستئصال الطغاة من العسكر الذين قتلوا أخاه السلطان عثمان ثم تتبع الانكشارية حتى تخلص من زعمائهم، كما أنقص عددهم، واتخذ لنفسه جيشاً جديداً يستطيع الاعتماد عليه[3].

وكان الأمير فخر الدين المعني الدرزي قد قام بثورة في لبنان، زمن السلطان أحمد الأول، ولكن الدولة لم تتعرض له، بل تركت له

---

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٢) محمد بن فضل الله المحبي، خلاصة الأثر حـ ٤، القاهرة ١٢٤ ص ٣٣٧.

(٣) نفس المرجع.

حكم البلاد مقابل جزية يدفعها للسلطان، وثار فخر الدين المعني الثاني في جبل لبنان واتصل مع دوق تسكانيا والبابا وإسبانيا واتفقوا على فتح فلسطين، وتحرك فخر الدين في محاولة للاستيلاء على بلاد الشام، غير أن الدولة العثمانية أجهضت محاولته فهرب إلى فلورنسا، وقاد ابنه الحرب ضد العثمانيين مستغلًا انشغال الدولة بالحرب مع فارس. فأرسلت الدولة العثمانية حملة بحرية استولت على السواحل السورية وحملة برية تمكنت من القضاء على علي بن فخر الدين ونقل هو ووالده فخر الدين إلى استانبول وقتل هناك عام ١٠٤٥ هـ/١٦٣٥ م[(١)].

أما في العراق، فإن الحرب قد اندلعت مع فارس من جديد عام ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤ م، فقاد السلطان مراد الجيوش بنفسه متجهاً إلى بغداد، وكان عباس شاه فارس قد استولى عليها وقتل واليها العثماني، فحاصر مراد بغداد وهدم جزءاً كبيراً من سورها ودخلها عام ١٠٤٨هـ، وقتل من جنود فارس عشرين ألفاً، ثم أقام بها مدة جدد عمارتها، وأصلح ما تهدم من سورها، وعين لها وزيراً، ثم رحل السلطان عنها إلى دار السلطنة، وتوفي بعد ذلك[(٢)].

السلطان إبراهيم بن أحمد (١٠٤٩ ـ ١٠٥٨ هـ/١٦٣٩ ـ ١٦٤٨ م)

تولى الحكم بعد أخيه مراد، وكانت الأحوال الداخلية شبه مستقرة بسبب إصلاحات أخيه نحو الانكشارية، وتجديد الجيش، فاتجه إلى الاقتصاد في نفقات الجيش والأسطول وإصلاح النقد وإقامة النظام الضرائبي على أسس جديدة[(٣)].

---

(١) محمد فريد بك، المرجع السابق، ص ٢٨٣.
(٢) بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥١٤.
(٣) المحبي، المرجع السابق، حـ ٣٤٠/٢.

استطاع الصدر الأعظم قره مصطفى باشا أن يوقف تدخل النساء في شؤون السلطنة وتمكن من القضاء على محاولات رجال البلاط السلطاني لإفساد الدولة. وقضى على العابثين والمفسدين وقاطعي الطريق في مختلف الولايات[1].

الحرب ضد البنادقة:

كان البنادقة لا يزالون يسيطرون على جزيرة كريت وعلى حركة التجارة في بحر إيجة مستغلين الصلح مع الدولة العثمانية، فوطد العثمانيون عزمهم على القضاء على نفوذ البنادقة في الشرق، فجهز السلطان جيشه وأسطوله، وأعلن الحرب على البندقية، وأمر باعتقال جميع البنادقة في طول البلاد وعرضها ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم. ثم سير حملة إلى جزيرة كريت عام ١٠٥٥ هـ/١٦٤٥ م واستولت على أجزاء منها وظلت موحدة حتى فتحت زمن السلطان محمد الرابع مما أثار السخط ضد السلطان إبراهيم فخلع عام ١٠٥٨ هـ/١٦٤٨، وتولى ابنه محمد الرابع أمور الدولة، ثم قتل السلطان إبراهيم بعد ذلك خنقاً حتى لا يعود إلى الحكم مرة أخرى. كما استرد مدينة أزوف من القازاق[2].

السلطان محمد الرابع (١٠٥٨ ــ ١٠٩٩/١٦٤٨ ــ ١٦٨٧ م)

تولى السلطان محمد الرابع والحرب ما زالت مستعرة في جزيرة كريت مع البنادقة الذين صمدوا أمام الهجمات العثمانية، حتى استطاعوا أن يوقفوا هجماتهم عند قندية في الوقت الذي كان فيه البنادقة يعملون على حمل المجتمع الأوربي ودوله على مساعدتهم في حربهم ضد

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٥٠.
(٢) علي حسون، المرجع السابق، ص ١٠٤.

العثمانيين، من أجل الحفاظ على مراكزهم ووجودهم في الشرق، هذا بالإضافة إلى اندلاع الحرب في المجر من جديد[(١)].

ولم تمض ثلاث سنوات على تولية السلطان محمد الرابع حتى استطاع البنادقة بالتعاون مع فرسان القديس يوحنا إنزال هزيمة كبيرة بالأسطول العثماني في مياه باروس عام ١٠٦١ هـ/١٦٥١ م، واحتلت جزيرتين عند مدخل مضيق الدردنيل تتحكمان فيه وتحميانه، وهما جزيرتا (تنيدوس) و (لمنوس)، وبذلك فقد تحكمت البندقية في هذا المضيق، وحالت دون وصول المواد الغذائية إلى استانبول من هذا المضيق فارتفعت الأسعار[(٢)].

وقامت ثورة في الأناضول بزعامة رجل يعرف قاطرجي أوغلي ودعمه كورجي وقد انتصرا على والي الأناضول أحمد باشا، ثم توجها نحو استانبول، ولكن اختلفا، ففشلا في ثورتهما وقضى عليهما الخليفة[(٣)].

وفي عام ١٠٦٧ هـ/١٦٥٧ تولى الصدارة العظمى محمد كوبريلي، فقتل كثيراً من الانكشارية حتى خضعوا، وقام بعدة إصلاحات داخلية ومالية بثت في الدولة روحاً جديدة اتسمت بالحزم والقوة ضد جيرانها في الشمال، عندما حاول أمير ترانسلفانيا جورج راغوجكي عدم الوفاء بالتزاماته المالية تجاه السلطان، فعزله السلطان محمد وولى مكانه ميخائيل أبافي مما كان سبباً في قيام حرب تزعمها المجريون، ثم انضمت إليهم القوى الأوربية المتمثلة في عصبة أوجزبرج (اتحاد الرين)، فظهرت بذلك الحرب الصليبية في أوروبا من جديد ضد العثمانيين

---

(١) بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥١٦.

(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٣٧ .

(٣) نفس المرجع.

ودفع خطرهم، وما كان على العثمانيين إلا أن هبوا للدفاع عن كيانهم في أوروبا فاجتاحت جيوشهم المجر عام ١٠٣٧ هـ/١٦٦٣ م، ثم انطلقت هذه الجيوش في زحفها تهدد فينا نفسها فتجمعت الجيوش الصليبية، وخاض العثمانيون معهم معارك ضارية كتب لهم فيها النصر عند جبل غوتارد على نهر الزاب عام ١٠٧٥ هـ/١٦٦٥ م، وبرغم هذا النصر الكبير فقد عقد السلطان محمد صلحاً معهم ليتفرغ لمناوأة السياسة الفرنسية التي أخذت في معاداته تحت وطأة البابوية ورجال الكنيسة[١]، وعندما تولى أحمد باشا الصدارة العظمى خلفاً لوالده محمد كوبريلي، قاد جيوش العثمانيين بنفسه واستطاع أن يحرز نصراً باهراً في موقعة إيوار عام ١٠٧٤ هـ/١٦٦٤ م، وهدم قلاعها وحصونها، ثم تقدم أحمد باشا نفسه إلى حصار قندية آخر معاقل البنادقة في جزيرة كريت، وأحكم الحصار حولها حتى فتحها عام ١٠٨٠ هـ/١٦٧٠ م[٢].

وقد خاض العثمانيون من أجل انتزاع كريت من البنادقة حرباً دامية استطال أمدها خمسة وعشرين عاماً[٣] (١٠٥٥ ـ ١٠٨٠ هـ)، رغم كثرة المساعدات التي قدمتها فرنسا لهم بأسطولها الكبير، وكذلك الامبراطور الألماني، وبعض دوقيات أوربا طوال مدة الحرب فسقطت كريت في أيدي العثمانيين وطرد منها البنادقة رغم طول مدة الدفاع عنها والتحصن بها[٤]. وهكذا سيطر العثمانيون على شرق البحر المتوسط سيطرة كاملة بعد أن طردوا البنادقة من مراكزهم هناك.

ووقعت الحرب بين السويد وبولونيا فطلب ملك السويد من

---

(١) محمد فريد بك، المرجع السابق، ص ٢٩٥.
(٢) بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥١٧.
(٣) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٨٧٥.
(٤) بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥١٨ ــ ٥١٩.

العثمانيين أن يعاونوه ضد بولندا (بولونيا)، وتكون تحت حماية الدولة العثمانية، فاتجه العثمانيون إلى بولندا لإخضاعها، فقامت بينهما معارك ضارية عام ١٠٨٢ هـ/١٦٧٢ م، فقد البولنديون قلعة فامنج القائمة على الحدود المشتركة بينهما بعد حصار قصير الأمد، واضطر ملك بولندا ميخائيل إلى عقد صلح تخلى فيه عن جزء من بودوليا وأوكرانيا، ولم تلبث الحرب تبعاً لذلك أن أصبحت سجالًا بين الفريقين، وامتد لهيبها واستعر أوارها حتى عصر يوحنا الثالث الذي خلف ميخائيل فقاد الحروب ضد العثمانيين، ولكن الهزائم توالت عليه، فاضطر أيضاً إلى عقد صلح تنازل بموجبه عن الجزء الباقي من أوكرانيا وبودوليا[1].

توفي أحمد كوبريلي عام ١٠٨٧ هـ/١٦٧٧ م، وخلفه في الصدارة العظمى صهره قره مصطفى، ولم يكن كسابقه من حيث الخبرة والقدرة على إدارة شؤون البلاد، فعملت تصرفاته على إثارة القوزاق وثورتهم ضد العثمانيين، وأنجدتهم روسيا، فوقفت الحرب بين الطرفين ذلك أن الروس عملوا على توسيع نفوذهم في بلاد القوقاز وتكبد الطرفان خسائر فادحة، واستولى الروس على كييف والمناطق المحيطة بها وتم عقد الصلح بينهما عام ١٠٩٢ هـ/١٦٨١ م، ثم اتجهوا بعد ذلك لإخضاع ما بقي من المجر[2].

وسار الصدر الأعظم قره مصطفى عام ١٠٩٢ هـ/١٦٨١ لمهاجمة النمسا، وانتصر الصدر الأعظم في عدة معارك، ثم سار نحو فينا وحاصرها مدة شهرين، وكادت تسقط أمام العثمانيين لولا تكاتف الدول الأوربية ضد العثمانيين بفضل نداءات البابا إلى الدول النصرانية[3]،

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٣٨.
(٢) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٧٤ ــ ١٧٥.
(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٥٥.

وإثارة الهمم الصليبية، فوصلت قوات ملك بولونيا وأمراء صوفيا وبافاريا الألمان إلى العاصمة النمساوية، واستطاعت هذه الفرق أن تقف في وجه العثمانيين وتجبرهم على رفع الحصار عن فينا، ولم يقف الحال عند هذا الحد بل تدخل البابا وعقد حلفاً مع الألمان والبنادقة وروسيا وبولندا لطرد العثمانيين من المجر. فعملت كل دولة على الاشتباك مع العثمانيين لتوزيع جهودها في جهات متعددة[1]. فاستطاع الألمان أن يستولوا على مدينة بودا عام ١٠٩٦ هـ/١٦٨٦ م، أما البنادقة فقد تمكنوا من الاستيلاء على أثينا عام ١٠٩٧ هـ/١٦٨٧ م، ولكنهم اضطروا إلى إخلائها مرة أخرى والانسحاب منها أمام العثمانيين في العام التالي، أما البولنديون فلم يتمكنوا من إحراز أي تقدم حيال العثمانيين، وكذلك باءت محاولات الروس بالفشل في شبه جزيرة القرم والإخفاق والهزيمة[2] وأمام هذه الهزائم العسكرية أمر السلطان بقتل الصدر الأعظم قره مصطفى وإعطاء هذا المنصب إلى إبراهيم باشا عام ١٠٩٥ هـ/١٦٨٥.

وهكذا كانت خطة التحالف الصليبي الأوربي ترمي إلى توزيع جهود العثمانيين وعدم تجمعها في أرض واحدة، حتى أصبحت جيوش السلطنة موزعة في جميع الجهات دفاعاً عن كيانها أمام جيوش أوربا، وما لبثت أن قامت الثورة في استانبول على الصدر الأعظم الذي عزل ونفي إلى جزيرة رودس، ثم امتد أثرها إلى المناداة بخلع السلطان محمد الرابع، فخلع وتولى بعده أخوه السلطان سليمان الثاني، عام ١٠٩٩هـ/١٦٨٩م[3].

وهكذا بدأت الدولة العثمانية تضعف شيئاً فشيئاً وتقهقر أمام

(١) محمد فريد بك، المرجع السابق، ص ٣٠٠ ـ ٣١٥.
(٢) برو كلمان، المرجع السابق، ص ٥٢٠.
(٣) نفس المرجع.

القوى الصليبية، وأخذ نفوذها ينحسر عن كثير من ممتلكاتها، وبدأت تأخذ موقف الدفاع عن نفسها وإسلامها وكيانها أمام القوى الصليبية المحيطة بها من كل جانب. فخلال قرن ونصف من الحروب شبه المتصلة خسر العثمانيون أراض واسعة برغم المحاولات المستمرة التي بذلت للقيام بالإصلاح. ففي عام ١٠٩١/١٦٨١ هـ انتصر الروس على الدولة وانتزعوا منها أوكرانيا. وفي عام ١٠٩٢/١٦٨٢ بدأت حرب طويلة مع النمسا ومعها حليفاتها البندقية وبولندا وروسيا، وهزم العثمانيون أمام فينا. وأعقب ذلك تقهقر العثمانيين عبر سهول المجر، وفي خلال ذلك انتزع بطرس الأكبر أزوف شرق البحر الأسود[١].

السلطان سليمان الثاني ١٠٩٩ ـ ١١٠٢/١٦٨٧ ـ ١٦٩٠

تولى الحكم بعد أخيه محمد الرابع عام ١٠٩٩/١٦٨٧، وقد أكثر من عطايا الجند ولم يعاقبهم على ما فعلوه بأخيه، بل أراد أن يهدىء من ثائرتهم. وقد كانت أحوال الدول مضطربة بسبب كثرة حروبها الخارجية والثورات الداخلية وخاصة الانكشارية، الذين تمردوا على السلطان وقتلوا قادتهم، وقتلوا الصدر الأعظم سياوس باشا، وسبوا نساءه، فعين الخليفة صدراً أعظم هو مصطفى باشا[٢].

انتهز الأعداء هذه الفوضى والثورات وأخذوا يهاجمون الدولة ويغيرون عليها، فاحتلت النمسا بلغراد عام ١٠٩٩ و ١١٠٠ هـ/١٦٨٧ و ١٦٨٨، كما استولت البندقية على السواحل الشرقية لبحر الأدرياتيك (دلماسيا) وبعض مناطق اليونان. وتوالت الهزائم. فعزل السلطان الصدر الأعظم وعين مكانه مصطفى باشا ابنه محمد كوبريلي المعروف، فسار

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٥٥.
(٢) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

على نهج أبيه وأخيه، فحمى الأهالي من تصرفات الجند، وأعطى الجند حقهم، فأحبه الناس وكذلك النصارى لأنه سمح لهم ببناء ما تهدم من كنائسهم، وأحسن إليهم. واستعاد بعض المواقع من النمسا ومنها بلغراد عام ١١٠١/١٦٨٩، كما أخضع خان القرم سليم كراي ثوار الصرب، وفي الوقت نفسه أعاد ثيكلي المجري إقليم ترانسلفانيا إلى الدولة العثمانية[١]. وتوفي السلطان سليمان في عام ١١٠٢ هـ/١٦٩٠ إثر مرض ألم به. وقد أعاد للدولة العثمانية هيبتها في أعين أوروبا بعد أن اعتراها الضعف لجهل الوزراء بأمور السياسة والإدارة.

السلطان أحمد الثاني ١١٠٢ ــ ١١٠٦ هـ/١٦٩٠ ــ ١٦٩٤م

تولى الحكم عام ١١٠٢ هـ بعد وفاة أخيه سليمان الثاني، وفقدت الدولة في أيامه الصدر الأعظم مصطفى كوبريلي الذي كان أملها، حيث استشهد في ميدان القتال ضد النمسا، غير أن الصدر الأعظم الذي تولى مكانه جي علي باشا (عربجي) كان ضعيفاً، واحتلت البندقية بعض جزر بحر إيجة، ولم تطل أيام السلطان فقد توفي عام ١١٠٦/١٦٩٤ وكان القتال في أيامه القصيرة عبارة عن مناوشات، وتولى الحكم بعده ابن أخيه وهو مصطفى الثاني ابن محمد الرابع[٢].

السلطان مصطفى الثاني ١١٠٦ ــ ١١١٥ هـ/١٦٩٤ ــ ١٧٠٣م

تولى الحكم عام ١١٠٦ بعد وفاة عمه أحمد الثاني، وكان شجاعاً، قاد الجيوش بنفسه، فسار إلى بولونيا وانتصر عليها في عدة معارك بمساعدة القوزاق. ثم انطلق إلى مدينة أزوف التي يحاصرها بطرس الأكبر

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٤١.
(٢) نفس المرجع، ص ١٤٢.

القيصر الروسي فأجبره على فك الحصار عام ١١٠٧ هـ/١٦٩٥. غير أن بطرس عاد فاحتلها عام ١١٠٧ هـ/١٦٩٦ م. ثم توجه السلطان إلى بلاد المجر فهزم جيوشها أمامه، غير أنه هزم أمام القائد النمساوي (أوجين دي سافوا) وقتل يومذاك الصدر الأعظم محمد باشا، وغرقت أعداد من العثمانيين في نهر تيس، ودخل القائد النمسوي بلاد البوسنة[١].

تولى الصدارة العظمى حسين كوبريلي، فسار نحو النمسا فتقهقرت أمامه جيوشها ودفعهم إلى ما بعد نهر السافا، وفي الوقت نفسه انتصر الأسطول العثماني على البندقية، واسترد بعض الجزر في بحر إيجة، ثم عقدت معاهدة بين الدولة العثمانية والنمسا، والبندقية، وروسيا، وبولندا بجهود فرنسا، وذلك عام ١١١٠ هـ/١٦٩٨، وعرفت تلك المعاهدة باسم معاهدة كارلوفيتس (فارلوفجة)[٢].

وبموجب هذه المعاهدة تنازلت الدولة العثمانية عن مدينة آزوف لروسيا، وتنازلت عن بودوليا وأوكرانيا لبولندا، وللنمسا عن المجر وترنسلفانيا، وللبندقية عن المورة وعقدت هدنة مع النمسا لمدة خمس وعشرين سنة، ولم تبق أية دولة تدفع أي مبلغ كجزية للدولة العثمانية[٣]. وبذا كانت الدول النصرانية كلها تقف في وجه العثمانيين، وكانت متفقة فيما بينها على الوقوف في وجه التقدم للدولة العثمانية، والعمل على تقسيمها وذلك خوفاً من انتشار الإسلام[٤].

وكان تنازل العثمانيين عن أراض تشكل جزءاً لا يتجزأ من أملاكهم بداية الانسحاب العثماني من أوروبا، كما أنه يسجل الانتقال إلى عصر

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ١٨٥ ــ ١٨٨.
(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٤٢.
(٣) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٤٦.
(٤) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٤٢.

التفكك والاضمحلال السريع. وهذا الاتفاق يعتبر اعترافاً ضمنياً من قبل كل من السلطان وقيصر روسيا ضمنياً بمبدأ تدخل الدول الأروبية في نزاعاتهما من أجل مصلحة أوروبا[1]. وعلى أثر تدخل الانكشارية ومطالبتهم بعزل الصدور ورفض السلطان لذلك، فقد قرروا عزله.

السلطان أحمد الثالث (١١١٥ هـ/١١٤٣ هـ ـ ١٧٠٣ ـ ١٧٣٠م)

تولى الحكم عام ١١١٥، وهادن الانكشارية وأعطاهم الهبات والعطايا، ووافقهم على قتل المفتي فيض الله حتى إذا تمكن من الحكم اقتص من قادتهم، وعزل الصدر الأعظم نشانجي أحمد باشا الذي اختاروه، وعين صهره حسن باشا، ثم لم يلبث أن عزله، وتوالى على الصدارة العظمى الكثير، وشغل الناس بذلك، وأعداء الدولة يخططون لقوتهم وحربهم لها، وفي مقدمتهم قيصر روسيا بطرس الأكبر الذي انتصر على السويد، وقويت دولته ولم يوافق الصدر الأعظم نعمان كوبريلي دعم السويد ضد روسيا وقاد الصدر الأعظم الجيوش ضدهم، وأعلن الحرب على روسيا وتمكن من حصار القيصر وكاد أن يفتك به. ووقعت معاهدة بين الطرفين تعهد فيها القيصر بعدم التدخل بشؤون القوزاق والتخلي عن ميناء آزوف ولكن عزل الصدر الأعظم السابق وحل محله يوسف باشا وعقد مع روسيا معاهدة جديدة تنص على عقد هدنة بين الطرفين مدتها خمس وعشرون سنة. غير أن الحرب كادت تتجدد لإخلال القيصر بالشروط، وتدخلت الدول، وعقدت معاهدة أدرنة عام ١١٢٥/١٧١٣، تنازلت فيها روسيا عن كل ما استولت عليه على سواحل البحر الأسود، ولكنها تخلت في الوقت نفسه عما كانت تدفعه إلى حكام القرم[2].

(١) Creasy, Edwards., Op.cit, P.319.

(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٤٣.

ومن ناحية الغرب انتصر العثمانيون على البنادقة، واستولوا على كريت وبعض الجزر الأخرى، فاستنجد البنادقة بالنمسا، فطلب امبراطور النمسا من الدولة العثمانية إعادة ما أخذ من البنادقة إليهم فرفضت الدولة، وقامت الحرب بين الطرفين وانتصرت النمسا، وسقطت بلغراد عام ١١٢٩ هـ/١٧١٧م ثم جرى الصلح بعد ذلك في عام ١١٣٠ هـ/١٧١٨م، وتوسطت بريطانيا وهولندا في الصلح. وعقد صلح بساروفتز، وبموجبه انتزع النمسويون بلغراد، وأكثر بلاد الصرب، وجزءاً من الأفلاق، وتبقى سواحل دالماسيا (شرق الأدرياتيك) للبندقية، وتعود بلاد المورة للعثمانيين كما أتاح الصلح لرجال الدين الكاثوليك في أن يستعيدوا مزاياهم القديمة في الأراضي العثمانية، مما أتاح للنمسا التدخل في شؤون الدولة العثمانية باسم حمايتهم. وقد نص اتفاق منفصل على حرية التجارة لصالح تجار الدول الموقعة على المعاهدة. وهكذا حصلت النمسا على حق حماية التجار الأجانب داخل الدولة العثمانية[1].

ولما رأى الروس ضعف العثمانيين طلبوا منهم السماح للتجار وزوار بيت المقدس بالمرور في أراضي الدولة العثمانية دون دفع أية رسوم فوافق العثمانيون على ذلك. واحتل العثمانيون بلاد أرمينيا وبلاد الكرج، بينما احتل بطرس الأكبر بلاد داغستان وسواحل بحر الخزر الغربية بسبب ضعف الدولة الصفوية. وكادت الحرب أن تقع بين الطرفين لولا وساطة فرنسا بناء على طلب روسيا، وبقي كل فريق في المناطق التي دخلها دون معارضة الفريق الآخر. غير أن الصفويين هبوا وقاتلوا العثمانيين، ولكنهم هزموا وفقدوا تبريز وهمدان وعدداً من القلاع، ثم جرى الصلح عام ١١٤٠ هـ/١٧٢٨ م. وخلال هذه الفترة ثار الانكشارية وعزلوا الخليفة ونصبوا مكانه ابن أخيه[2].

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٥٦ ــ ١٥٧.
(٢) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨.

وكان عدد قليل من العثمانيين قد نادى بالإصلاح للوصول إلى الوسائل التي حققت بها أوربا قوتها خاصة في التنظيم العسكري والأسلحة الحديثة. وكان الداماد إبراهيم باشا الذي تولى الصدارة العظمى في عهد السلطان أحمد الثالث هو أول مسؤول عثماني يعترف بأهمية التعرف على أوروبا، لذا فإنه أقام اتصالات منتظمة بالسفراء الأوروبيين المقيمين بالآستانة، وأرسل السفراء العثمانيين إلى العواصم الأوربية، وبخاصة فينا وباريس للمرة الأولى. وكانت مهمة هؤلاء السفراء لا تقتصر على توقيع الاتفاقيات التجارية والدبلوماسية الخاصة بالمعاهدات التي سبق توقيعها، بل إنه طلب منهم تزويد الدولة بمعلومات عن الدبلوماسية الأوربية وقوة أوربا العسكرية. وكان معنى ذلك فتح ثغرة في الستار الحديدي العثماني والاعتراف بالأمر الواقع الخاص بأنه لم يعد بإمكان العثمانيين تجاهل التطورات الداخلية التي كانت تحدث في أوروبا(١).

وقد بدأ التأثر بأوربا في مجال بناء القصور والإسراف والبذخ اللذين شارك فيهما السلطان أحمد ذاته بنصيب كبير، مما جعل الأغنياء وعلية القوم يسعون إلى اقتباس العادات الأوربية الخاصة بالأثاث وتزيين الدور وبناء القصور وإنشاء الحدائق. كما سجلت هذه الفترة بداية اليقظة الأدبية العثمانية فنشطت حركة الترجمة إلى اللغة التركية، كما أرسل السلطان أحمد مبعوثين إلى فرنسا للاطلاع على المصانع ومنجزات الحضارة الفرنسية. كما تم إنشاء مكتب للطباعة في استانبول(٢).

السلطان محمود الأول (١١٤٣ ـ ١١٦٨ هـ/١٧٣٠ ـ ١٧٥٨ م)

تولى الحكم بعد أن هدأت الأحوال بسبب اضطرابات الانكشارية،

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٥٩.
(٢) بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥٢٢.

فقرر السلطان محمود الأول استقدام مستشار أوروبي (فرنسي) للشؤون العسكرية واسمه الكسندر الكونت دي بونفال والذي أسلم وتسمى باسم أحمد. وقد عهد إليه بإحياء فرقة المدفعية، كما أدخلت أنظمة جديدة للخدمة العسكرية على أسس فرنسية ونمسوية بهدف جعل الخدمة العسكرية من جديد مهنة حقيقية وذلك بتوفير المرتبات والمعونات. واقترح تقسيم فرق الانكشارية إلى وحدات صغيرة يقودها ضباط شباب، غير أن الانكشارية عارضوا تنفيذ هذه الخطة وأوقفوها، مما أدى إلى تركيز بونفال على فرقة المدفعية واهتم كذلك بصناعة المدافع والبارود والبنادق والألغام وعربات المدافع، وافتتح مدرسة للهندسة العسكرية، إلا أن الانكشارية عارضوا كل المشروعات، وعلاوة على ذلك أنشأ مصنع للورق، لكن هذه الإصلاحات سرعان ما اندثرت[1].

اتجهت الدولة العثمانية إلى قتال الصفويين فتغلبت على طهماسب الذي طلب الصلح عام ١١٤٤/١٧٣١ م، وتخلى للعثمانيين عن تبريز، وهمدان، ولورستان غير أن والي الشاه على خراسان وهو نادرشاه، لم يقبل بهذه المعاهدة. فسار إلى أصفهان، وعزل الشاه طهماسب وولى مكانه ابنه عباس وعين عليه مجلس وصاية، وسار لحرب العثمانيين فانتصر عليهم، وحاصر بغداد، وطلبت الدولة الصلح، وجرى الاتفاق عام ١١٤٩/١٧٣٦ م في مدينة تفليس حيث أعلن نادر خان نفسه ملكاً على الفرس، واتفقوا على أن يرد العثمانيون كل ما أخذوه إلى الفرس[2].

اختلفت الدول بشأن بولندا، فأعلنت روسيا والنمسا الحرب على بولندا، واحتلتها روسيا، ورغبت فرنسا التحالف مع الدولة العثمانية لإنقاذ بولندا. من كل من النمسا وروسيا. وأرضت النمسا فرنسا بمعاهدة

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٦٢ ــ ١٦٣.
(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٤٥.

فينا، واتفقت من جهة ثانية لقتال الدولة العثمانية، وبدأت روسيا القتال مع الدولة العثمانية، فتمكن العثمانيون من وقف تقدم الروس في إقليم البغدان. كما أوقفوا تقدم النمسا في البوسنة والصرب والأفلاق، وانتصرت على الصرب، وعلى جيوش النمسا التي انسحبت من الحرب، وطلبت الصلح عن طريق فرنسا، وتم توقيع معاهدة الصلح في بلغراد عام ١١٥٢ هـ/١٧٣٩ م، تنازلت فيه النمسا عن مدينة بلغراد وعن بلاد الصرب والأفلاق، وتعهدت روسيا بعدم بناء سفن في البحر الأسود وهدم قلاع ميناء آزوف. كما اتفقت الدولة العثمانية مع السويد ضد روسيا[١].

السلطان عثمان الثالث (١١٦٨ ـ ١١٧١ هـ/١٧٥٨ ـ ١٧٦١ م)

تولى الحكم وعمره ٥٨ سنة، وبويع في جامع أبي أيوب الأنصاري، وهنأه سفراء أوربا، وحكم ثلاث سنوات فقط لم يحدث فيها حروب ولا نزاعات خارجية واهتم بالإصلاحات الداخلية، وأصدر أوامر يمنع كل ما يخالف الشرع الشريف. وعين سعيد باشا صدراً أعظم وقد أسس مطبعة بعد عودته من باريس. وقضى على الثورات والانتفاضات التي قامت في أنحاء الدولة وخاصة ثورات الأكراد[٢].

السلطان مصطفى الثالث (١١٧١ ـ ١١٨٧ هـ/١٧٥٧ ـ ١٧٧٣)

تولى الحكم وعمره اثنتان وأربعون سنة، وكان على دراية واسعة بإدارة الدولة فعين الوزير قوجه راغب صدراً أعظم لسعة اطلاعه وخبرته بشؤون البلاد. وقد استطاع الصدر الأعظم محمد راغب باشا من إخماد ثورة عرب الشام الذين اعتدوا على قوافل الحجاج.

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٢٠٨ ـ ٢١٢.
(٢) علي حسون، المرجع السابق، ص ١١٠ ـ ١١٢.

أعد السلطان العدة لحرب روسيا، فبدأ يعد التنظيمات المزمع تنفيذها بالجيش العثماني حتى يصبح قادراً على مواجهة الجيوش الأوربية، لذا فقد تمكن الصدر الأعظم من عقد اتفاق مع حكومة بروسيا لمساعدة الدولة العثمانية عند الحاجة ضد النمسا وروسيا. وعملت على توسيع نطاق التجارة البحرية والبرية. وعمل على وضع مشروع فتح خليج لإيصال نهر دجلة بالآستانة وأن تستعمل الأنهار الطبيعية مجرى له ليسهل نقل الغلال من الولايات إلى دار الخلافة، ويساعد على نشر التجارة، إلا أن المنية عاجلته قبل البدء في مشروعه عام ١١٧٦ هـ/١٧٦٢ م. وخلفه في الصدارة حامد حمزة باشا ثم خلفه مصطفى باهر باشا ١١٧٧ هـ/١٧٦٣ م ثم بعد سنة تولى الصدارة محسن زاده محمد باشا ١١٧٨ هـ/١٧٦٤ م[١].

خاضت الدولة العثمانية حرباً مع روسيا بسبب اعتداءات القوزاق على مناطق الحدود، ونجح خان القرم في غارته وهدم عدداً من الضياع وذلك عام ١١٨٢ هـ/١٧٦٨ كما سار الصدر الأعظم بفك الحصار عن بعض المواقع التي يحاصرها الروس، ولكنه فشل فكان جزاؤه القتل، وهزم الصدر الذي أتى بعده، واحتل الروس إقليمي الأفلاق والبغدان. وأخذ الروس يثيرون النصارى من الروم الأرثوذكس للقيام بثورات ضد الدولة، فأثاروا نصارى شبه جزيرة المورة فقاموا بثورة، غير أن الثورة قد أخمدت. كما هاجم الروس مدينة طرابزون وفشلوا في احتلالها، ولكنها (روسيا) نجحت في اقتحام بلاد القرم والسيطرة عليها وذلك عام ١١٨٥ هـ/١٧٧١. ثم جرت مفاوضات الصلح ولكنها فشلت بسبب مطالب روسيا التعسفية، وعادت الحرب وانتصر العثمانيون[٢].

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٢١٦.
(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٥٢.

كما حاولت روسيا إثارة بعض الولاة العثمانيين مثل علي بك الكبير والي مصر لمحاربة العثمانيين ومد نفوذه في بلاد الشام، وتقوم روسيا بمده بالسلاح والذخائر وذلك من أجل إحداث الفوضى في داخل الدولة العثمانية وطعنها من الخلف، وإمكانية قهرها في الجبهة الروسية، وحرك علي بك الكبير الجيوش نحو بلاد الشام واحتلها ثم توجه إلى بلاد الأناضول لمقابلة الروس الزاحفين من الشمال[1]. غير أن نائب علي بك الكبير وهو محمد أبو الذهب قد قام بثورة ضده فعاد إلى مصر وقاتل أبو الذهب لكنه هزم أمامه. فالتجأ إلى ظاهر العمر وَالي صفد واتفقا على محاربة العثمانيين ودعمتهما روسيا وحاربا الدولة العثمانية بمساعدة الأسطول الروسي الذي خرب مدينة بيروت. ثم عاد إلى مصر لمحاربة محمد أبو الذهب غير أن علي بك وقع أسيراً بيد أبو الذهب وقتل هو وأعوانه[2]. وتوفي الخليفة عام ١١٨٧ هـ وتولى مكانه أخوه عبد الحميد الأول.

السلطان عبد الحميد الأول ١١٨٧ ـ ١٢٠٣/١٧٧٣ ـ ١٧٨٨

تولى الحكم عام ١١٨٧ هـ/١٧٧٣ م بعد وفاة أخيه مصطفى الثالث، وكان محجوزاً في قصره مدة حكم أخيه مصطفى الثالث.

أرسلت روسيا قوة كبيرة باتجاه مدينة فارنا في بلغاريا على البحر الأسود، وقد انتصرت على العثمانيين، فطلب الصدر الأعظم الصلح والمفاوضة، وتم ذلك في مدينة قينارجة في بلغاريا عام ١١٨٧/١٧٧٤ اعترفت فيها الدولة العثمانية باستقلال تتار القرم، وإقليم بسارابيا

(١) رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، ص ١٤٧ ـ ١٥٤.
(٢) أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في النهضة العربية الحديثة، بيروت ١٩٧٠، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(إقليم في رومانيا)، ومنطقة قوبان في (القفقاس). على أن تكون الدولة العثمانية المرجع في الشؤون الدينية. وتعطى للسفن حرية الملاحة في البحر الأسود، والمتوسط، وتدفع الدولة العثمانية لروسيا غرامة حربية، ويكون لروسيا حق حماية النصارى الأرثوذكس(١).

كانت المعاهدة التي وقفت مع روسيا وهي كوجوك قينارجه ٢١ يوليو ١٧٧٤م (١١٨٨هـ) من أقسى وثائق التاريخ العثماني، وهي في الواقع الأساس الذي بنيت عليه المعاهدات التي عقدتها الدولة مع روسيا. وقد اعترفت المعاهدة بمكانة السلطان من الناحية الدينية لدى المسلمين؛ فوصفت الخليفة (السلطان) بأنه يشغل في العالم الإسلامي المركز المخصص للبابا في الكنيسة الكاثوليكية(٢). وهكذا أعطت روسيا نفسها حق التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية خلال القرن التاسع عشر ونجم عن الحروب الروسية العثمانية أن البحر الأسود أصبح بحيرة عثمانية، وأن روسيا حصلت على حق الاتجار الحر في الموانئ الإسلامية(٣).

وقد حققت روسيا ما تريد، غير أنها كانت تطمع في المزيد، وتعمل على إثارة الفتن والثورات في البلقان ضد الدولة العثمانية، كما أشعلت الفتن في القرم وكانت روسيا تتحيّن الفرص للتحرش بالعثمانيين وإثارتهم، وإرسال الجواسيس في أنحاء الدولة. وإزاء ذلك أعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م وساندت النمسا روسيا غير أن الدولتين (روسيا والنمسا) قد هزمتا أمام العثمانيين(٤). وقد شجع ضعف الدولة العثمانية على أن تقوم فرنسا بغزو مصر في حملة نابليون بونابرت.

---

(١) بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥٢٥، د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، حـ ١، ص ١٩٦.

(٢) توماس أرنولد، الخلافة، ص ١٠٢.

(٣) Marriot, op.cit, P.151.

(٤) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٥٤.

ومهما يكن من أمر، فإن هزائم العثمانيين قد أثبتت أنهم لم يعودوا مرهوبي الجانب، فقد قل خوف أوربا منهم بالتدريج منذ تقهقرهم من فينا ثم جاء صلح قينارجة ليعلن صراحة أنهم فقدوا وحدتهم باعتبارهم دولة عظمى وتأكد ذلك من جديد في صلح ياسي[1].

السلطان سليم الثالث ١٢٠٣ ــ ١٢٢٢ هـ/١٧٨٨ ــ ١٨٠٧م

تولى السلطة بعد وفاة عمه عبد الحميد الأول عام ١٢٠٣ هـ/ ١٧٨٨، واهتم بالإصلاحات وتقوية الأسطول. وكانت الأحوال السياسية مضطربة والحروب قائمة بين الدولة وروسيا، فكرس وقته وجهده للقتال. غير أن ضعف معنويات الجنود من جهة، وتحالف روسيا والنمسا معاً ضد الدولة قد مكن هاتين الدولتين من السيطرة على بعض الأراضي، فاستولت روسيا على الأفلاق والبغدان وبساربيا، واستطاعت النمسا احتلال بلاد الصرب، ودخلت بلغراد غير أن قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ قد أنهى هذا التحالف وتركت النمسا حلفها مع روسيا وتصالحت مع الدولة العثمانية وأعادت للدولة بلاد الصرب وبلغراد[2].

أما روسيا فقد استمرت بالحرب، واستولت على بعض المدن، وتم في النهاية عقد صلح بين الطرفين بوساطة انجلترا وهولندا وبروسيا، فعقدت معاهدة (ياسي) عام ١٢٠٦ هـ/١٧٩١م احتفظت روسيا بموجبها ببلاد القرم نهائياً، وبسارابيا وجزءاً من بلاد الشراكسة. وأصبح نهر الدنيستر فاصلًا بين الدولتين[3].

وبعد هدوء القتال انصرف سليم للإصلاحات الداخلية فبدأ بتنظيم

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٧٤.

الجيش للتخلص من الانكشارية الذين غدوا سبب كل فتنة، واتجه نحو تقليد أوربا التي تجاوزتهم كثيراً فاهتم بصناعة السفن والأسلحة وخاصة المدافع على الطريقة الفرنسية. وشهد عهده بدايات التعليم العسكري الغربي، وفي عهده نشبت الثورة الفرنسية والتي أحدثت تغييرات كثيرة على خريطة أوروبا وهي التعديلات التي مس بعضها الدولة العثمانية ومن أهمها احتلال نابليون بونابرت لمصر[1].

وفي عهده جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت، وانتصرت على المماليك في مصر، فتصدت الدولة العثمانية للحملة وساندتها بريطانيا كما استطاع العثمانيون هزيمة الحملة الفرنسية في عكا، واضطر الفرنسيون أخيراً إلى الانسحاب من مصر بعد اتفاق العريش عام ١٢١٦/١٨٠١. ورغم موقف فرنسا المعادي للدولة العثمانية فقد استطاعت فرنسا الحصول على امتيازاتها القديمة، كما اتفقت فرنسا وانجلترا في معاهدة اميان عام ١٢١٧/١٨٠٢ وخرجت انجلترا من مصر، وأصبح لفرنسا حق الملاحة في البحر الأسود، وأقيم في اليونان جمهورية مستقلة تحت حماية الدولة العثمانية[2].

وقد حاولت انجلترا استغلال الخلاف بين روسيا والدولة العثمانية لتحقق ما تصبو إليه من أطماع في السيطرة على مضيق الدردنيل، فرفضت الدولة العثمانية طلبات انجلترا، وذلك بعد دعم فرنسا للدولة العثمانية وأجبر الانجليز على الخروج من مياه الدردنيل غير أن هذه الهزيمة قد جعلت الانجليز يرسلون حملة إلى مصر بقيادة فريزر عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م لكنها هزمت وخرج الانجليز من مصر بفضل كفاح

---

(١) نفس المرجع، ص ١٧٥.

(٢) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥.

وصمود الشعب المصري ومساندة العثمانيين لهم. وقد ساهم محمد علي في الدفاع عن مصر وإخراج الفرنسيين والانجليز من مصر واستطاع محمد علي بدعم من الأهالي الوصول إلى الحكم في ولاية مصر(١).

ونظراً لإقدام السلطان سليم على الإصلاحات وإنشاء فرقة النظام الجديد، فقد ثار الجنود والانكشارية ويساندهم الأعيان ضد النظام الجديد، ورغم أن السلطان أصدر أمراً بإلغاء النظام العسكري الجديد، إلا أن الثوار قرروا عزل الخليفة وخلعه من الحكم(٢).

تولى بعده ابن عمه مصطفى الرابع الحكم مرشح المحافظين الذي سرعان ما أصبح ألعوبة في أيدي من وضعوه في مركز السلطة. ولم يمض وقت طويل حتى صدرت مراسيم تقضي بإلغاء النظام الجديد وكل المدارس والمؤسسات والإصلاحات المرتبطة به. ورغم ذلك فقد حصلت اضطرابات في عهده أدت إلى الإطاحة به(٣).

السلطان محمود الثاني ١٢٢٣ ـ ١٨٠٨/١٢٥٥ ـ ١٨٣٩ م

تولى الحكم وعمره أربع وعشرون سنة، أفاد من إقامته الجبرية مع سليم الثالث حيث أطلعه الأخير على خطط الإصلاح. إلا أن السلطان الجديد أرغم في البداية على الانحناء أمام رغبات الانكشارية، فأمر بإلغاء كل الإصلاحات حتى يرضيهم إلى أن تحين الفرصة لتطبيق وتنفيذ خطط الإصلاح. وأخيراً فإن محموداً ذاته كان يتذرع بالصبر انتظاراً لساعة الخلاص من الانكشارية الذين هددوا كيان الدولة العثمانية.

(١) د/محمد أنيس ود/السيد رجب حراز، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ص ٩١.
(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٦٠.
(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٨٦.

ولكن الفرصة لم تتح له قبل مرور عدة سنوات، خاصة وأن عهده قد امتلأ بالحروب والتطورات الهامة التي استنزفت معظم جهوده وكافة إمكانياته[1].

وعين السلطان محمود مصطفى باشا البيرقدار لمنصب الصدر الأعظم غير أنه قتل، وعين مكانه يوسف باشا ثم أحمد باشا بسبب اضطراب الأحوال الداخلية. غير أن الحروب التي واجهت الدولة كانت تحظى بالاهتمام الأكبر.

الحرب مع روسيا:

عقد السلطان محمود الثاني صلحاً مع انجلترا عام ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م وحاول أيضاً عقد اتفاق مماثل مع روسيا ولكنه فشل، واشتعلت نار الحرب بينهما، وهزم العثمانيون واستولى الروس على بعض المواقع وعزل الصدر الأعظم ضياء يوسف باشا وتولى مكانه أحمد باشا الذي انتصر على الروس، وأجلاهم عن المواقع التي دخلوها وساءت العلاقات بين فرنسا وروسيا، وكادت تقع الحرب بينهما، فطلبت روسيا الصلح مع الدولة العثمانية، وعقدت بين الطرفين معاهدة بخارست ١٢٣٧هـ/١٨١٢م والتي نصت على بقاء الأفلاق والبغدان وبلاد الصرب تابعة للدولة العثمانية. وقد مكن الصلح السلطان محمود من القيام ببعض الإصلاحات والقضاء على الثورات والتمردات في الدولة[2].

ولما علم الصربيون بمعاهدة بخارست، وإعادة خضوعهم للدولة العثمانية، قاموا بالثورة غير أن القوات العثمانية أخضعتهم بالقوة،وفر زعماء الحركة إلى النمسا، لكن أحدهم وهو ثيودورفتش أظهر الولاء للعثمانيين وخضع للسلطة العثمانية. وحصل على امتيازات خاصة من الدولة[3].

(١) أحمد عبد الرحيم المرجع السابق، ص ١٨٨.
(٢) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٨.
(٣) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٦١ ــ ١٦٢.

الدولة العثمانية والدولة السعودية الأولى في الجزيرة العربية:

كان العالم الإسلامي بصفة عامة ونجد بصفة خاصة قد سيطرت عليها البدع والخرافات التي علقت بالدين وأصبحت جزءاً من عقيدة الإسلام، والدين منها براء، وكثر الأدعياء والجهلاء والدجالين الذين يحملون التمائم والتعاويذ، وانصرف الناس إلى التبرك بالقبور والأشجار وغيرها من الأساطير. وفي ظل هذه الأحوال ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونادى بالعودة إلى تطبيق الإسلام الصحيح، واتباع العقيدة بشكل صحيح[1]. والعودة إلى سنة السلف الصالح واتباع منهج أهل السنّة والجماعة. وقد عارضها الجهلاء للإبقاء على نفوذهم.

وتحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع أمير الدرعية محمد ابن سعود الذي أيد الشيخ وسانده ونصره، وحارب البدع والمنكرات وكل مظاهر الشرك، فتم الاتفاق بينهما على أن تكون الأمور الدينية للشيخ وآله، وأن تكون الأمور السياسية ومظاهر الحكم للإمام محمد بن سعود وآله وأتباعه من بعده، فقامت الدولة السعودية الأولى وسيطرت على الجزيرة العربية كلها بما فيها الحجاز، وبذلك دخلت الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والحجاز في حوزة آل سعود، الأمر الذي أثار العثمانيين وكلفت الدولة العثمانية واليها محمد علي باشا بالقضاء على الدولة السعودية الأولى، ونجح محمد علي في القضاء على الدولة التي استمرت أربع وسبعين سنة (١١٥٧-١٢٣٤هـ/١٧٤٤-١٨١٨م) وبذلك تكون الدولة العثمانية قد أعادت الجزيرة العربية إلى حظيرة الدولة العثمانية[2].

---

(١) انظر د/عبد الله العثيمين، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الرياض ١٩٨٤. د/عبد الله الشبل، الشيخ محمد بن عبد الوهاب الرياض ١٩٨١.

(٢) انظر د/عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، القاهرة د/عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض ١٩٨٤.

ثورة اليونان:

وقد قام أهل اليونان (ومعظمهم نصارى أرثوذكس) بثورة ضد الدولة العثمانية بتحريض من روسيا والنمسا وبتشجيع من الجمعيات السرية. فكلف السلطان محمود الثاني محمد علي باشا والي مصر بإخضاع اليونان، وأصدر السلطان أمراً بتعيين محمد علي باشا والياً على شبه جزيرة المورة من بلاد اليونان، وجزيرة كريت، وهاتان المنطقتان مركز الثورة اليونانية[1].

سارت جيوش محمد علي باشا بحراً من الإسكندرية بقيادة ابنه إبراهيم باشا وانطلق إلى شبه الجزيرة (المورة) وسيطر عليها واستطاع إبراهيم باشا أن يحرز النصر وأن يفتح مدينة نافارين عام ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م وأن يدخل العثمانيون أثينا عام ١٢٤١هـ/١٨٢٦م. ثم تدخلت الدول الأوربية بحجة حماية اليونان بشكل ظاهر وحقد صليبي واضح. وعقد صلح مع الدولة العثمانية عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م. غير أن القتال ما لبث أن تجدد بسبب رفض الدولة العثمانية تدخل هذه الدول في شؤونها الداخلية، وطلبت الدول الأوربية من إبراهيم باشا التوقف عن القتال فرفض طلبها. فاجتمعت أساطيل الدول الأوربية في ميناء نافارين وقضت على الأسطول العثماني والأسطول المصري، وقتل ما يزيد على ثلاثين ألف جندي مصري، فأمر محمد علي ابنه إبراهيم باشا بالانسحاب من اليونان بجنده ورفضت الدولة كل قرارات الدول الأجنبية والخاص بمنح اليونان استقلاله الذاتي ثم الاستقلال التام[2].

وقد واجهت الدولة العثمانية تحدياً كبيراً من الدول الأجنبية ويخاصة روسيا التي أعلنت الحرب عليها واحتلت البغدان والأفلاق

---

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٨٨.

وعينت حكاماً من قبلها، ثم احتلت فارنا في بلغاريا، وكذلك احتلت قارص وأدرنة في الأناضول. وقد خشيت دول أوروبا من أن تحتل روسيا استانبول لما في ذلك من تهديد لمصالحها الخاصة، فتصدتا لروسيا ووقفتا أمامها وعقدت معاهدة أدرنة عام ١٢٤٥ هـ/١٨٢٩. ومن أهم موادها إعادة الأفلاق والبغدان والبلغار والبلقان وقارص وأرضروم إلى الدولة العثمانية. ويعد نهر بروث الحد الفاصل بين الدولتين، وتكون الملاحة في نهر الدانوب من حق الدولتين. وكذلك حرية الملاحة الروسية في البحر الأسود، وعودة الامتيازات القنصلية لروسيا[١].

كما واجه السلطان محمود الحركات الانفصالية في داخل الدولة: حركة علي باشا والي يازما وحركة باسفان أوغلو والأعيان (الدره بكوات) في الأناضول، والمماليك في العراق والقرمنلية في ليبيا ومختلف عصبيات وزعامات الشام. وقد أمكنه القضاء على كل هذه الحركات وأن يخضع أعيان الأقاليم الذين طردوا من أراضيهم وأرغموا على الإقامة في المدن. واستطاع السلطان محمود إلغاء نظام الانكشارية والقضاء على ثورتهم[٢] أما فيما يتعلق بأملاك الدولة في إفريقيا فقد عمدت فرنسا إلى احتلال الجزائر في عام (١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م) وتطلعت إلى إقامة امبراطورية إفريقية[٣].

وخلال حكم السلطان محمود، قام محمد علي بتكليف ابنه

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٢٧٥ ـــ ٢٨٠.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ ـــ ١٨٣٩، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٨٢. قتل من الانكشارية ما يقرب من ٣٠٠٠ انكشاري في العاصمة، وفي الأيام التالية شنق منهم ٧٠٠٠ وطرد من العاصمة ٢٠,٠٠٠ شخص.

(٣) عرضت فرنسا على محمد علي أن يخضع الجزائر ولكنه اعتذر عن ذلك حتى لا يثير الرأي العام الإسلامي ويغضب بريطانيا، ولأن أطماعه قد انصبت على المشرق. انظر : احمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٨٩.

ابراهيم باحتلال بلاد الشام، ولم يتمكن السلطان العثماني من رده، فانتصر ابراهيم باشا على القوات العثمانية وزحف إلى الأناضول واحتل جبال طوروس وأضنة ودخل الأراضي التركية، وأصبحت أبواب استانبول مفتوحة أمامه، فخشيت الدول الأوربية من توسع محمد علي وبخاصة روسيا، فعرضت على الخليفة العثمانية دعمه، وأرسلت الجنود (١٥ ألف جندي) لحماية استانبول، وطلبت انجلترا وفرنسا من السلطان العثماني ضرورة التفاهم مع محمد علي باشا. واتفقت الدولة العثمانية ومحمد علي باشا في معاهدة كوتاهيه عام ١٢٤٨/١٨٣٣ وتنص على عودة محمد علي عن إقليم الأناضول ويعطى محمد علي ولاية مصر مدة حياته، ويعين محمد علي ولاة على ولاية الشام وجزيرة كريت وتعيين إبراهيم باشا والياً على إقليم أضنة المشهور بأخشابه[1].

غير أن اتفاق كوتاهيه كان خطوة مرحلية خوفاً من تدخل الدول الأوربية، كما عقدت معاهدة خونكار أسكلاسي مع روسيا تعهدت فيها روسيا بالدفاع عن الدولة العثمانية. كذلك قامت ثورات في بلاد الشام ضد حكم إبراهيم باشا فأخضعها بالقوة، وكان محمد علي يرغب في أن تكون الولاية على مصر وبلاد الشام وجزيرة العرب له ولأولاده من بعده. ولكن مندوب السلطان وافق على أن تكون مصر وجزيرة العرب ملكاً وراثياً لأسرة محمد علي، وبلاد الشام لمحمد علي مدة حياته غير أن السلطان لم يوافق على ذلك. فجرت حرب بين محمد علي والدولة العثمانية بقيادة إبراهيم باشا واستطاع أن يهزم الجيش العثماني في معركة نزيب ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م وتوفي الخليفة محمود الثاني قبل أن تصل إليه أنباء المعركة[2].

---

(١) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، جـ ١، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠.

(٢) نفس المرجع.

اهتم السلطان محمود بالإصلاحات، فأنشأ مكتباً للترجمة وأعاد افتتاح السفارات في العواصم الأوربية، وحاول إصلاح أجهزة الدولة المركزية، كما وضع الأوقاف تحت إشرافه، ووجه ضربة شديدة إلى نفوذ رجال الدين، وأنشأ مجلس الأحكام العدلية، وقلد الأوربيين في ملبسه وشكله فقص لحيته وارتدى الطربوش والبنطلون(١).

السلطان عبد المجيد الأول (١٢٥٥ ــ ١٨٣٩/١٢٧٧ ــ ١٨٦٠ م)

تولى الخليفة الحكم بعد وفاة أبيه، وقد واجه مشكلة هزيمة القوات العثمانية في معركة نصيبين (نزيب) وتدخل الدول الأوربية بشأن وقف محمد علي من التوسع، وإرجاعه إلى مصر وتم الاتفاق بين انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا في لندن عام ١٨٥٦/١٨٤٠ بضرورة انسحاب محمد علي من جميع الأراضي التي احتلها وعودتها للدولة العثمانية وإعطائه مصر ولاية وراثية له ولأولاده من بعده. وأجبر محمد علي على تنفيذ الاتفاق(٢).

وتم كذلك في عهده إلغاء معاهدة خونكار اسكلاسي التي عقدت مع روسيا عام ١٨٣٣ وتنص المعاهدة على أن تبقى المضائق مقفلة أمام جميع الدول بدون استثناء وقد عرفت المعاهدة بمعاهدة المضائق ١٢٥٧هـ/١٨٤١م(٣).

وخلال حكم السلطان عبد المجيد جرت حرب طائفية بين الدروز والموارنة، فقد دعمت انجلترا الدروز، في حين دعمت فرنسا الموارنة، واعتدى الدروز على الموارنة عام ١٨٤١/١٢٥٧ وقتل فيها عدد

(١) Shaw, Sranforad, op.cit P.61.
(٢) Hurewitz, J.C, Diplomacy in the Near and Middle East, 2 vols. Newyork 1956, vol 1 116 - 119.
(٣) Ibid, P.123.

كبير من الموارنة، وحصلت خلافات حول أوضاع جبل لبنان ومن سيحكمه، وأصر الدروز أن يكون الموارنة تحت حكمهم غير أنهم رفضوا ثم احتلت الدولة العثمانية منطقة جبل لبنان، وشكل مجلس يضم المجموعتين غير أن الاعتداءات[1] ظلت مستمرة. حتى عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م وتدخلت فرنسا وأجبرت السلطان على تعيين قائمقام ماروني.

كما انتفض سكان وأهالي الأفلاق والبغدان لتكوين دولة واحدة، فأرسلت الدولة العثمانية جيشاً لإعادة الوضع إلى ما كان عليه، غير أن روسيا تدخلت واحتلت منطقتي الأفلاق والبغدان، وكادت تقع الحرب بين الطرفين، غير أن اتفاقاً قد عقد بين الجانبين في بلطة ليمان قرب استانبول عام ١٢٦٥ هـ/١٨٤٩ ينص على أن يبقى تعيين أمراء الإقليمين من حق الدولة العثمانية، وأن يبقى فيهما جيش عثماني روسي لمدة سبع سنوات حتى يستقر الوضع[2].

حرب القرم:

كانت فرنسا بحكم الامتيازات القنصلية تملك الإشراف على الكنائس في القدس وقد حصلت روسيا على هذا الإشراف أثناء حروب نابليون، فلما انتهت فرنسا من حروبها أرادت العودة إلى الإشراف على الكنائس، وحصل خلاف بين رجال الكنائس الكاثوليك والأرثوذكس، فشكلت الدولة العثمانية لجنة من رجال الكنائس من مختلف المذاهب، فأقروا بحق فرنسا، وهددت روسيا بالحرب، وحاولت روسيا إعادة معاهدة خونكار اسكلاسي فلم يوافق السلطان على ذلك. وحاولت روسيا الاستعانة بانجلترا وفرنسا فلم يوافقا على العرض الروسي.

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٢٩٠ ــ ٢٩٥.
(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٧٦ ــ ١٧٧.

كما رفض السلطان العثماني حق حماية روسيا للنصارى المقيمين في الدولة العثمانية. وأعاد السلطان رشيد باشا إلى الصدارة العظمى وهو من المعادين لروسيا[1].

هددت روسيا باحتلال الأفلاق والبغدان، وحركت الجيوش الروسية، واحتلت الإقليمين المذكورين، وتدخلت الدول الأوربية (النمسا وبروسيا وانجلترا وفرنسا) غير أن وساطة هذه الدول باءت بالفشل. واستمرت المعارك الحربية بين روسيا والدولة العثمانية ولم تجد محاولات الصلح. وكان موقف فرنسا وانجلترا ضد روسيا خوفاً على مصالحها لا حباً بالمسلمين. وجرى اتفاق بين فرنسا وانجلترا من جهة والدولة العثمانية من جهة أخرى بمساعدة الدولة العثمانية ضد روسيا وعدم تمكين الأخيرة من ضم أي جزء من الدولة العثمانية إليها. واستمرت روسيا في حربها إلا أن المساعدات والإمدادات التي وصلت للعثمانيين جعلت روسيا تنسحب من المناطق التي احتلتها ونقلت الدول المتحالفة إلى أرض روسيا. وأخيراً تم عقد معاهدة باريس عام ١٢٧٢هـ/١٨٥٦م.

وتنص المعاهدة على ما يلي:

١ ـ تخلى المناطق التي احتلت أثناء الحرب من كلا الطرفين، ويطلق سراح الأسرى ويصدر عفو عام عن جميع الذين تعاونوا مع خصوم دولهم.

٢ ـ تطلق حرية الملاحة في البحر الأسود للدول جميعاً، ولا تنشأ فيه قواعد بحرية.

٣ ـ تطلق حرية الملاحة في نهر الدانوب.

٤ ـ تبقى الأفلاق والبغدان تحت حماية الدولة العثمانية.

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

٥ ـ تبقى الصرب مرتبطة بالدولة العثمانية، ولها استقلال ذاتي.

وأوجدت الدول الأوربية مشكلات في الصرب والجبل الأسود والبوسنة والهرسك لتفصلها عن الدولة العثمانية، فبدأت تقوم الثورات بدعم من الدول الأوربية، بل إن الدول الأوربية كانت تمنع الدولة العثمانية من قمع هذه الثورات[١].

وقد حدث في أواخر أيام السلطان عبد المجيد اعتداء الدروز على الموارنة وقيام الفتنة الطائفية في الشام والتي أدت إلى مقتل عدد كبير من الموارنة الذين ابتدؤوا بالعدوان، وربما كان بتحريك من الدول الكبرى، واستطاعت الدولة العثمانية القضاء على الفتنة، غير أن الدول الكبرى وخاصة فرنسا أرسلت جيوشها واحتلت بيروت وأجبرت السلطان العثماني على منح جبل لبنان الاستقلال الذاتي ويرأسه رجل نصراني لمدة ثلاث سنوات ولا يحق عزله إلا بموافقة الدول الأوروبية[٢].

وفي عهده تم إصدار مرسوم كلخانة ١٨٣٩ ويقضي بإحداث تغييرات في نظام الدولة من حيث القيام بالإصلاحات وأهم ما جاء فيه:

١ ـ ضرورة إيجاد ضمانات لأمن جميع رعايا الدولة على حياتهم وشرفهم وأملاكهم.

٢ ـ ضرورة إيجاد نظام ثابت للضرائب.

٣ ـ ضرورة توفير نظام ثابت للجندية بحيث لا تستمر مدى الحياة، بل تحدد مدتها بفترة تتراوح بين أربع أو خمس سنوات.

فقد أكد المرسوم لأول مرة المساواة بين جميع رعايا السلطان

---

(١) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، حـ ١، ص ٢٢٨.

(٢) د/محمد أنيس و د/السيد رجب حراز، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ص ١١٦.

أمام القانون(١). ولذا فقد رفض المسلمون والمحافظون هذا المرسوم.

كما تمخضت حرب القرم عن صدور المرسوم الهمايوني ١٨٥٦ إثر أزمة القرم وقد تكررت فيه الضمانات السابقة، وأضيف إليه بعدم تطبيق عقوبة الإعدام على المرتدين عن الإسلام ومساواة جميع رعايا الدولة في الحقوق والواجبات(٢).

وقد نصت الوثيقتان (خطي شريف كلخانة ١٨٣٩) وخطي همايوني (١٨٥٦) واللتان صدرتا عن السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩ ـ ٨٦١) بأن الدولة كانت تراعي الأحكام الشرعية فبلغت قمة المجد. ومنذ مائة وخمسين سنة أهملت الإدارة الأحكام الشرعية بسبب ما طرأ من الحوادث. لهذا تحولت قوة الدول إلى ضعف، وأية دولة لا تقوم بحفظ القوانين الشرعية تؤول إلى الاضمحلال. ومن هنا يتضح لنا أن المجد الذي حققته الدولة العثمانية كان مرده التزامها بمبادئ الشريعة الإسلامية، وأن الضعف والاضمحلال الذي أصابها نشأ من إهمالها تطبيق مبادئ الشريعة(٣).

توفي الخليفة العثماني عبد المجيد في ١٧ ذي الحجة عام ١٢٧٧هـ/١٨٦١م وتولى بعده أخوه عبد العزيز في أواخر عام ١٢٧٧هـ.

السلطان عبد العزيز ١٢٧٧ ـ ١٢٩٣/١٨٦١ ـ ١٨٧٦

تولى الحكم بعد أخيه في أواخر عام ١٢٧٧هـ. وفي عهده قامت ثورة في جزيرة كريت وأخمدت عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٣م. وتم فتح

(١) Marriot, op.cit. P.251.

(٢) Miller, wilham, The ottoman Empire and its Successons 1800 - 1927 London 1966 P.204 - 207.

(٣) د/عبد الكريم غرايبة، سوريا في القرن التاسع عشر، القاهرة ١٩٦١، ص ٢٧ ـ ٣١.
د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، جـ١. ص ٢٣٠.

قناة السويس عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٩م، وصدرت مجلة الأحكام العدلية وقانون التجارة البحرية في أوائل عهده، وزار أوربا وفكر في الاستفادة من خلاف الدول الأوربية فيما بينها، لكنه وجد أنها تتفق جميعاً ضد الدولة لأنها دولة إسلامية، ولم يستطع الأوربيون أن ينسوا الحقد الصليبي المغروس في نفوسهم، غير أنهم كانوا يختلفون فيما بينهم حسب مصالحهم الخاصة. وتعرض السلطان للشائعات بالتبذير والإسراف، فعزلوه عام ١٢٩٣ هـ/١٨٧٦م وقتل بعد ذلك. وتولى أمر الخلافة بعده ابن أخيه عبد المجيد وهو مراد الخامس والذي لم يعمر طويلًا فقد حكم مدة ثلاثة أشهر وعزل بسبب اختلال عقله كما أشيع في حينه، وبويع بعده أخوه عبد الحميد الثاني. وسنفرد للسلطان عبد الحميد فصلًا خاصاً يتناول عصره والتحديات التي واجهها[1].

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٣٣٠ ـ ٣٥٠.

الفصل السادس

الدولة العثمانية والمسألة الشرقية

بداية اضمحلال الدولة العثمانية:

يتفق المؤرخون على أن عظمة الدولة العثمانية قد انتهت بوفاة السلطان سليمان القانوني عام (٩٧٤هـ / ١٥٦٦م)، فقد خلف على العرش سلسلة من السلاطين الضعاف[1]، الذين هيؤوا الطريق للاضمحلال ظهرت آثاره في القرن الثامن عشر. فمنذ وفاة سليمان القانوني عام (٩٧٤هـ / ١٥٦٦م) إلى اعتلاء سليم الثالث العرش عام (١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م) وافتتاحه عهد الإصلاحات والمقتبس انماطها من مصادر فرنسية والتي انصبت على التدريب العسكري والأساليب والتنظيمات والأسلحة الحربية[2]، اعتلى عرش العثمانيين سبعة عشر سلطاناً، لم يوفق من بينهم سوى ثلاثة فقط،

---

(١) يعزى ضعف الدولة إلى انغماس السلاطين في الملذات والترف، وضعف الكفاءة، والمقدرة والخبرة بشؤون الحكم، وإهمال قيادة الجيوش، وسيطرة الحريم السلطاني والصدور العظام على شؤون الدولة، وكذلك فساد الانكشارية، والتحالف النصراني الصليبي ضد الدولة. انظر د/رجب حراز، المرجع السابق، ص ٨٨ ــ ٨٩.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٧٢.

هم: محمد الثالث (١٠٠٥-١٠١٢هـ / ١٥٩٦-١٦٠٣م) ومراد الرابع (١٠٣٣-١٠٥٠هـ /١٦٢٣ - ١٦٤٠م) ومصطفى الثالث (١١٧١-١١٨٧هـ / ١٧٥٧ - ١٧٧٣م).

والواقع أن كل شيء كان يؤذن باضمحلال الدولة، فالسلاطين الذين يتوقع لهم التوفيق كانوا يموتون سريعاً. وفضلًا عن ذلك، فقد تولى العرش في تلك الفترة سلاطين في سن الطفولة، فأحمد الأول (١٠١٢-١٠٢٦هـ / ١٦٠٣-١٦١٧م) وعثمان الثاني (١٠٣٣-١٠٥٠هـ / ١٦٢٣-١٦٤٠م) كانا في الرابعة عشرة من عمرهما، ومراد الرابع كان في الثانية عشرة، ومحمد الرابع (١٠٥٨-١٠٩٩هـ / ١٦٤٨-١٦٨٧م) كان ابن سبع سنين. وكانت عهود هؤلاء القصر فرصة لحكم النساء والمحظيات (الحريم السلطاني) كما كانت فرصة لفقدان النظام في القوات العسكرية.

ولأول مرة في تاريخ العثمانيين، يعزل سلطان ويقتل، ذلك أن عثمان الثاني أغضب الانكشارية والسباهية بقسوته وبخله، فثاروا عليه وسجنوه ثم قتلوه. وقد قتل بعد ذلك عدد من السلاطين.

وفي هذه الفترة وحدها عزل أربعة سلاطين، هم مصطفى الأول وإبراهيم الأول ومحمد الرابع وأحمد الثالث. (ويلاحظ أن إبراهيم الأول قد عزل وشنق). وكان مصطفى الأول أول سلطان يعزل بفتوى من مفتي السلطنة. ومع أن حكم أحمد الثالث الذي أدخل المطبعة إلى البلاد، ولم تعدل الدولة عن استعمالها إلا لأن العلماء الأتراك اعتبروها «بدعة»، ولم تعد المطبعة إلى الدولة العثمانية إلا في عهد السلطان عبد الحميد الأول عام (١١٩٩هـ / ١٧٨٤م). ورغم ذلك، فقد استتب النظام لمدة محدودة، وأحرز العثمانيون بعض الانتصارات بفضل الصدور العظام[1].

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٧٢.

المسألة الشرقية:

ومنذ أن بدأت الدولة العثمانية تضعف وتتدهور، أي من أواخر القرن الثامن عشر شغل أذهان الساسة في أوروبا التفكير في مصير هذه الدولة ووراثة أملاكها. ومن ذلك الوقت المبكر، وخلال القرن التاسع عشر، كانت الدول الأكثر اهتماماً بمصير الدولة العثمانية ومصير أملاكها، هي:

١ ـ بريطانيا التي أرادت تأمين طرق مواصلاتها إلى الشرق الأقصى والهند خصوصاً، وتأمين تجارتها معها، سواء عن طريق السويس والبحر الأحمر، أو عن طريق الخليج العربي ونهري دجلة والفرات.

٢ ـ روسيا القيصرية التي أرادت أن تجد لها منفذاً من البحر الأسود إلى المياه الدافئة بالبحر المتوسط، وذلك بالاستيلاء على القسطنطينية ومضايق البسفور والدردنيل، والتي أرادت كذلك أن يكون لها النفوذ الأكبر في شبه جزيرة البلقان لتؤسس بها دولة سلافية كبرى.

٣ ـ فرنسا التي أخذت على عاتقها من زمن مبكر حماية مصالح رعايا الدولة النصارى الكاثوليك في بلاد الشام بصفة عامة والمارونيين على الأخص في لبنان، والتي أرادت رعاية مصالحها في هذه المنطقة، ثم استعلاء نفوذها في أملاك الدولة الأخرى في الساحل الشمالي الإفريقي، وبالتحديد في تونس والجزائر.

٤ ـ وفيما عدا الدول الثلاث الرئيسية التي ذكرناها، فإن دولًا أخرى مثل النمسا وبروسيا، اهتمت بمصير الدولة العثمانية، التي بات من المتوقع هلاكها وزوالها، فسميت لذلك برجل أوروبا المريض(١).

وعلى العموم، فقد أخذت الدول الأوروبية عند النظر في مصير الدولة العثمانية بعين الاعتبار دائماً ضرورة المحافظة على توازن القوى،

---

(١) Marriot, Sir J.R., The Easern Question, oxford 1958, P.189.

أي عدم الإخلال بالتوازن الدولي في أوروبا. وترتب على محاولة التوصل إلى حل لمشكلة مصير الدولة العثمانية وأملاكها في القرن التاسع عشر ـ وحتى أوائل القرن العشرين ـ أن برز إلى عالم الوجود ما صار يعرف باسم «المسألة الشرقية»[1] والتي تضافرت على خلقها عوامل معينة: مبعثها:

١ ـ أن الطريق الذي تستطيع روسيا بواسطته الوصول إلى المياه الدافئة، هو الطريق الذي يصل البحر الأسود ببحر مرمرة، ثم ببحر إيجة، وأخيراً بالبحر المتوسط، أي بالمرور من مضيقي البسفور والدردنيل، وهما في حوزة الإمبراطورية العثمانية.

٢ ـ إن الدولة العظمى التي يكون لها قواعد قوية في البحر الأسود، ويتسنى لها السيطرة على المضايق، تصبح ذات مركز ممتاز تتمكن بفضله من بسط سلطانها على بلاد الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وعلى طرق المواصلات والتجارة من البحر المتوسط إلى الهند والشرق الأقصى.

٣ ـ إن الدولة التي تمد نفوذها إلى البلقان، تفرض سيطرتها على الشعوب البلقانية بعد تقلص سلطان العثمانيين عن هذه المنطقة، وتصبح كذلك ذات مركز ممتاز يمكنها من الاستيلاء على القسطنطينية نفسها، ويهدد باختلال التوازن الدولي في أوروبا[2].

وفي خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر، كانت سياسة الدول ـ باستثناء روسيا وفرنسا ـ تدور حول المحافظة على كيان الإمبراطورية العثمانية لأسباب ناشئة من وجود العوامل التي ذكرناها.

---

(١) Ibid.

(٢) انظر الفصل الثامن من كتاب الدولة العثمانية للدكتور عبد العزيز الشناوي، حـ ١، ص ١٩٤ ـ ٢٣٢.

وكانت بريطانيا في مقدمة الدول المتمسكة بمبدأ المحافظة على كيان الإمبراطورية العثمانية وقتئذ. ووضع الساسة الأوربيون هذا المبدأ في صورته النهائية أثناء الثلاثينات من القرن التاسع عشر، حين كانت روسيا تهدد بوضع الدولة العثمانية. ومضايق البسفور والدردنيل تحت حمايتها، إذا ثبت أنها عاجزة عن تسديد ضربة قاضية إليها. وحين كانت فرنسا تتوهم أن في مقدورها الفصل بين مسألة القسطنطينية بمحاولة منع روسيا من تنفيذ مآربها، وبين مسألة الإسكندرية وذلك بمعاونة محمد علي والي مصر على الانفصال عن تركيا[1].

ولقد كان من أقطاب سياسة المحافظة على كيان الدولة العثمانية كل من بلمرستون (Palmerstone) وزير الخارجية البريطانية (١٢٤٦-١٢٥٧هـ / ١٨٣٠-١٨٤١م) والسفير البريطاني في القسطنطينية (استانبول) لورد بونسونبي (Ponsonby) (١٢٤٨-١٢٥٨هـ / ١٨٣٢ ـ ١٨٤٢م). فقد كان عليهما أن يتخذا قراراً حاسماً فيما يجب اتباعه إزاء مشروعات روسيا وفرنسا التي تهدد الدولة العثمانية في الثلاثينات من القرن التاسع عشر، فكان أن نشأ من ذلك المبدأ الذي نادى باستقلال الدولة والمحافظة على كيانها[2].

ويرى بلمرستون في هذا المبدأ: تأمين مصالح انجلترا، وتأييد مركزها في البحر المتوسط، وسلامة مواصلاتها مع الهند، وإيجاد الأداة أو الوسيلة المناسبة لوقف مطامع روسيا وفرنسا. وإلى جانب هذا كله، فقد كان من مزايا أو منافع هذا المبدأ وقف المنازعات المتوقع حصولها بين الدول حين زوال الدولة وانهيارها والنظر في توزيع أملاكها فيما بينهم.

(١) د/محمد فؤاد شكري، الصراع بين البورجوازية والاقطاع ١٧٨٩ ـ ١٨٤٨ الجلد الثاني، ص ٤٥١ ـ ٤٨٢ نقلاً عن الدولة العثمانية وشبه جزرة العرب للدكتور السيد رجب حراز، ص ١١.

(٢) Kedourie, E., England the Middle East, London 1956 P. 10.

ولقد كان من أثر الرغبة في تجنب هذه المنازعات خصوصاً، أن بقيت الحكومة البريطانية متمسكة بمبدإ المحافظة على كيان الدولة حتى في الوقت الذي كانت تعتقد فيه أن من الخير حقيقة زوالها، أو من المتيسر التوصل إلى اتفاق أو تفاهم بشأنها مع روسيا وفرنسا[١].

تلك إذن كانت أصول مبدأ المحافظة على كيان الإمبراطورية العثمانية، وهو مبدأ ظلت بريطانيا متمسكة به طوال القرن التاسع عشر تقريباً.

كذلك انحاز لهذا المبدأ في فترات متفاوتة عدد من الدول الأخرى، طالما كان التمسك به سارياً على الدولة وأملاكها في البلقان، حتى إذا تخلت بريطانيا وسائر الدول عن هذا المبدأ، وبات ممكناً ملء الفراغ الذي ينجم من تقلص النفوذ العثماني عن البلقان بصورة لا تخل بالتوازن الدولي، استطاعت الدولة بالفعل تصفية القسم الأكبر من هذه المسألة باستقلال دول البلقان. وكان من بين الدول البلقانية المستقلة حتى نهاية القرن التاسع عشر: اليونان ورومانيا وبلغاريا والصرب[٢].

حركة الإصلاح والتجديد العثمانية

النظام الجديد:

غير أنه كان واضحاً أن مجرد التمسك بمبدأ المحافظة على كيان الدولة العثمانية لا يعني نجاتها وسلامتها أو ضمان حياتها وبقائها. ولذلك فقد واجه الساسة البريطانيون أصحاب هذا المبدأ مشكلة مستعصية، مبعثها عجز الدولة العثمانية عن الدفاع عن نفسها ضد أوروبا، التي ازدادت قوتها بسبب تقدم العلوم والمعارف وحدثت بها

(١) Kedourie,E., OP.cit.,P.10.

(٢) Marriott, J.A., OP.cit., PP. 341 - 345.

الثورة الصناعية (أي استخدام الآلات في الصناعة نتيجة لاكتشاف البخار). واعتقد الساسة البريطانيون أن من الممكن حل هذه المشكلة بإنشاء جيش عثماني على النظام الأوروبي الحديث، وهو اعتقاد كان يشاركهم إياه رجال الإصلاح في الدولة العثمانية ذاتها.

وكان طبيعياً أن تتجه الرغبة في إصلاح الدولة العثمانية نحو الجيش أولًا، فالحكم العثماني في طبيعته حكم عسكري، والجيش هو أداة للحكم والحرب معاً، إذ كانت الحكومة العثمانية جيشاً قبل أي شيء آخر، وكان كبار موظفي الدولة هم في نفس الوقت قادة الجيش، (ومن هنا جاء القول الذائع بأن الحكومة العثمانية والجيش العثماني وجهان لعملة واحدة. وفضلًا عن ذلك، فإن مظهر الضعف العثماني كان حربياً، كما أن الأخطار التي أحاطت بالدولة والهزائم المتتالية التي نزلت بها كانت تتطلب البدء بإصلاح الجيش)[1].

وكان طبيعياً كذلك أن يتضمن إصلاح الجيش تغيير نظام الانكشارية[1] حقيقة الأمر أن الانكشارية لم يلعبوا دوراً كبيراً في عصر الإمبراطورية الذهبي، وهو عصر بناء الدولة وتوسعها، إلا أنه قدر لهم أن يلعبوا دور المحافظة على الدولة والإبقاء عليها وقت ضعفها وتدهورها، أي خلال القرن الثامن عشر. ولذا فقد أخذ عدد الانكشارية الذين أخذ عددهم يزداد شيئاً فشيئاً حتى أصبحوا في مطلع القرن التاسع عشر وبالذات في عهد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ / ١٨٠٨-١٨٣٩م) قوة حربية ذات وزن[2].

---

(١) الدكتور السيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، القاهرة ١٩٧٠، ص ٧١٤ وانظر كذلك Gibb M.and Bowen, H., Islamic Society and the west, vol.1 oxford 1953, PP. 56 - 103.

(٢) الدكتور محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة ١٩٦٢، ص٢٩ ــ ٣٠.

على أنه في الوقت الذي كان يزداد فيه عدد الانكشارية، كان الفساد يدب بين صفوفهم. وكان من العوامل التي ساعدت على هذا الفساد، أن الدولة سمحت لأفراد الانكشارية بالزواج، وهي خطوة ترتب عليها أن أصبح الانتماء إلى الانكشارية وراثياً بصرف النظر عن المقدرة العسكرية، كما تلا هذه الخطوة خطوة أخرى، هي السماح لأفراد الانكشارية بالاشتغال بالتجارة. وكان من نتيجة ذلك أن أخذ ارتباط الانكشارية بثكناتهم يتضاءل، فصار عديدون منهم لا يذهبون إلى الثكنات إلا لتسلم المرتبات. وكان مما زاد الطين بلة أن الانكشارية ما كانوا يعترفون بضرورة التعليم العسكري، بل كانوا ينكرون فائدته قائلين: «أن ولي الله» الحاج بكتاش كان قد بارك جماعة الانكشارية عند تأسيسها ودعا لها بالنصر الدائم»[1].

وعلى كل حال، فإن حركة إصلاح الجيش على النظام الأوروبي الحديث بدأت في عهد السلطان مصطفى الثالث (١١٧١-١١٨٧هـ / ١٧٥٧-١٧٧٣م). ولكن هذا السلطان تجنب الانكشارية واتجه إلى تنظيم وتنسيق أمور البحرية والمدفعية. واستعان في هذا الصدد بطائفة من الضباط والخبراء الأوروبيين، وخصوصاً الفرنسيين. ولم تثمر إصلاحات مصطفى الثالث الثمرة المرجوة، لأنها لم تتناول القوى الرئيسية في الجيش وهي الانكشارية[2].

ومع أن محاولات إصلاح الجيش سارت سيراً بطيئاً في عهد السلطان عبد الحميد الأول (١١٨٧-١٢٠٤هـ / ١٧٧٣-١٧٨٩م) إلا أنها لم تلبث أن دخلت في طور جديد في عهد خليفته السلطان سليم الثالث (١٢٠٤-١٢٢٢هـ / ١٧٨٩-١٨٠٧م) الذي كان يؤمن منذ حداثته بضرورة

---

(١) Marriott, J.A. op. cit., PP.102 - 103.

(٢) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٠، ص ٧٦ ــ ٧٨.

إصلاح الجيش على أساس النظام الأوروبي الحديث. وعلى ذلك، فما كاد يعتلي سليم الثالث عرش السلطنة حتى راح يعمل في هذا الاتجاه، إلا أنه عندما أدرك صعوبات إصلاح الانكشارية، عمد إلى إنشاء فرق جديدة من المشاة دون أن يمس الانكشارية، وسمح لهؤلاء الأخيرين بأن ينضموا إلى الفرق الجديدة إذا شاؤوا[1].

والواقع أن سليم الثالث قد اهتم بالجيش الجديد كل الاهتمام، فاتخذ له الزي الأوروبي، وشيد ثكنة خاصة به، واستقدم من أجل تدريبه وتعليمه بعض الضباط والمعلمين الأوروبيين. ولم يكتف السلطان ورجاله بإنشاء **«النظام الجديد»** في عاصمة السلطنة وحدها، بل سعى إلى إدخاله في الولايات العربية. فيذكر المؤرخون أن والي بغداد سليمان باشا الكبير أخذ بفكرة السلطان، فاستقدم ضابطاً انجليزياً من الهند وعهد إليه بتعليم وتنظيم الجيش الجديد، كما يذكرون أن والي مصر خسرو باشا أخذ أيضاً بفكرة السلطان، وشرع في إنشاء ثكنة خاصة بجيش **«النظام الجديد»** وأخذ كذلك بهذه الفكرة أحمد باشا الجزار والي عكا[2].

غير أن سليم الثالث لم يلبث أن صادف متاعب وعقبات كثيرة في بلاده، إذ انضم العلماء ورجال الدين الأتراك إلى جماعة الانكشارية في معارضة النظام الجديد. وكان العلماء الأتراك يرون أن كل ما يرد من النصارى مضاد للإسلام. وكانوا يرددون الحديث الشريف: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» كما أنهم أخذوا يقولون: «إن من مبادئ الإسلام أن من تشبه بقوم، فهو منهم»[3].

وأثرت هذه الأقوال وغيرها على عقول الناس، وانفسح المجال

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص ١٧٣ ــ ١٨١.
(٢) نفس المرجع.
(٣) ساطع الحصري، المرجع السابق ص ٧٨ ــ ٨٠.

لدسائس ومؤامرات الوصوليين من رجال الدولة، وانتهى الأمر بأن ثار الانكشارية عام (١٢٢١هـ / ١٨٠٦م) وحاصروا قصر السلطان وأرغموه على إلغاء «النظام الجديد» وإعدام مؤيديه من رجال الدولة، كما أرغموا الفرق الجديدة على الانسحاب إلى آسيا الصغرى. ولم يكتف الانكشارية بذلك، بل استصدروا فتوى من شيخ الإسلام بوجوب عزل السلطان، وعزلوه بالفعل في عام (١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م) حتى لا يتركوا له فرصة إحياء النظام الجديد[١].

وكان من الطبيعي أن تعود الفوضى أدراجها إلى الجيش في عهد السلطان مصطفى الرابع (١٢٢٢-١٢٢٣هـ / ١٨٠٧-١٨٠٨م) الذي نصبه الانكشارية محل السلطان سليم الثالث المخلوع. وكان من الطبيعي أن تتوالى هزائم الدولة أمام أعدائها. فلما تولى السلطان محمود الثاني عرش السلطنة عام (١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م)، أدرك أنه لن يتمكن من إصلاح الجيش إلا بالتخلص من الانكشارية، ولكن تريث في الأمر وراح يستعد لهذه المهمة الخطيرة، خصوصاً وأن الانكشارية كانوا يستمدون نفوذهم وسطوتهم من البكتاشية، وهم من أكبر فرق الطرق الصوفية في البلاد[٢].

وفي بادئ الأمر، حاول محمود الثاني إقناع الانكشارية بقبول التعليم العسكري على النظام الأوروبي والانضمام إلى فرقة «العسكر الجديد» التي أنشأها، وعرض معاشاً على كل من يرفض منهم الانضمام إلى هذه الفرق، ولكن دون جدوى. وفيما بين عامي (١٢٣٠ و ١٢٣٢هـ / ١٨١٤ و ١٨١٦م) استطاع السلطان أن يتخلص سراً من جماعات صغيرة من الانكشارية. وسرعان ما هيأت المقادير للسلطان محمود الثاني الفرصة للتخلص من الانكشارية حيث اندلعت ثورة في بلاد

(١) د/السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ١٧.

(٢) د/ محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني: ١٨٠٨ ــ ١٨٣٩، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٨٢.

اليونان ضد الحكم العثماني، فأرسل السلطان إلى بلاد اليونان قوات كبيرة من الانكشارية بقيادة خورشيد باشا، إلا أنها فشلت في إخضاع الثوار، مما جعل السلطان يستعين بمحمد علي والي مصر لإخضاع اليونانيين. ولبى محمد علي طلب السلطان وأرسل ابنه إبراهيم على رأس حملة تمكنت من إخماد الثورة اليونانية[1].

وفي هذه الظروف التي أصبح فيها الانكشارية موضع احتقار وكراهية الشعب نتيجة لفشلهم في إخماد ثورة اليونانيين، انتهز السلطان فرصة تمرد الانكشارية، وحاصر ثكناتهم، ودكها بالمدفعية، وتمكن من إبادة أكثرهم وتشتيت فلولهم وإنهاء هذه الفئة كلية. ويسمي الأتراك هذه الحادثة «بالواقعة الخيرية» لأنهم تفاؤلوا بها جداً[2].

وبعد القضاء على الانكشارية، سار السلطان محمود الثاني في طريق الإصلاح العسكري بخطى ثابتة، فاستعان بالضباط الإنجليز لتدريب القوات البحرية وبالضباط الألمان لتدريب القوات البرية. وإلى جانب ذلك، أنشأ السلطان أكاديمية للعلوم العسكرية وعدداً من المدارس العسكرية العالية والثانوية والإعدادية[3].

ولم تقتصر إصلاحات محمود الثاني على الجانب العسكري فحسب، بل أنشأ كذلك مدرسة للطب في إستانبول، وأرسل البعثات العلمية إلى أوروبا، وأوجد نظاماً جديداً للبريد، ووسع نطاق الشرطة الوطنية، ووزع على الأهالي نشرات ومطبوعات، تحوي معلومات عن الأمراض المعدية وطرق الوقاية منها، وأمر بإبطال العادة القديمة في سد

---

(١) د./ محمد عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٢) يبلغ عدد القتلى منهم حوالي أربعة آلاف في القاهرة، وشنق منهم بعد ذلك ٧٠٠٠ نسمة وطرد من العاصمة حوالي عشرين ألفاً. انظر محمد البحراوي، المرجع السابق ص ١٨٢.

(٣) Lewis, Sernard, The Emergence of modern Turkey, Oxford, 1961, PP. 75 - 101.

عجز الخزانة بمصادرة أموال الموظفين وأملاكهم. كذلك عمل محمود الثاني في سبيل صبغ الدولة العثمانية بالصبغة المدنية وفرض الزي الأوروبي على رعاياه. غير أن أوامر السلطان بارتداء الزي الأوروبي قوبلت بمعارضة شديدة من جانب الشعب، ولم يستطع السلطان فرض هذا الزي إلا على رجال البلاط والحكومة فحسب. ورغم ذلك، فإن نجاح محمود الثاني في القضاء على الانكشارية وإنشاء «النظام الجديد»، كان كافياً وحده لاعتباره من أعلام الإصلاح في الدولة العثمانية[1].

التنظيمات العثمانية:

وسرعان ما تبين أن من المتعذر إنشاء جيش على النظام الحديث في دولة تفتقر إلى الإدارات المنظمة لإعداد هذا الجيش بحاجاته، كما تبين أن الدفاع عن الدولة وإبعاد خطر الانحلال عنها، أمران متعذران طالما بقيت هذه الدولة مقسمة إلى ولايات يحكمها حكام شبه إقطاعيين، يكتفون بإرسال الجزية السنوية، وإرسال الفرق العسكرية عند الطوارئ. ولذا فقد كان ضرورياً إذا أريد إنقاذ الدولة العثمانية، ألا يقتصر الإصلاح على الجيش وحده، بل يجب أن يشمل الدولة بأجمعها، وأن يبدأ هذا الإصلاح الشامل في التو والساعة، وأن يجري على قواعد أوروبية[2].

تلك عقيدة سترانفورد كاننج دي ردكليف السفير الإنجليزي في إستانبول والذي عهد إليه من بريطانيا ببذل قصارى جهده لتأييد الإصلاحات التي درست دراسة كافية، وذلك حتى تجد حكومة السلطان

---

(١) عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، جـ ١، ص ٥٤٥ ــ ٥٥٨، ساطع الحصري، المرجع السابق، ص ٨١.

(٢) د/حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة ١٩٣٨، ص ٢٥١.

عبد المجيد (١٢٥٥-١٢٧٨هـ / ١٨٣٩-١٨٦١م) الاستقرار والثبات اللازمين لها[١].

وكان معنى الإصلاح المطلوب إقامة الحكومة الرشيدة التي تحترم القانون والتي تعامل رعاياها على قدم المساواة. وكان معنى الإصلاح المنشود من إزالة الفوارق والمزايا التي تميز فريقاً من رعايا الدولة على فريق آخر، ثم في نهاية الأمر إنشاء الحكومة الذاتية المسؤولية التي يشترك فيها كل القوميات المختلفة في أنحاء الامبراطورية[٢]. والقصد من الإصلاح المساواة بين أهل الذمة والمسلمين وإعطاؤهم كافة الحقوق التي للمسلمين وهذا يناقض أحكام الشريعة الإسلامية.

ولقد عمدت الحكومة البريطانية، من خلال سفيرها في إستانبول، إلى الإصرار على ضرورة هذا الإصلاح، وهو إصلاح كان متعارضاً، في أساسه مع نظم الحكم والإدارة التي درجت عليها الدولة منذ نشأتها وقيامها، واستندت عليها الإمبراطورية العثمانية في فرض سيطرتها على الشعوب التي دانت لها بعد أن أخضعتها بحد السيف وحده. وتلك نظم للحكم والإدارة كفلت لرعايا الدولة المسلمين من الحقوق والامتيازات ما جعلهم متفوقين على غيرهم من الشعوب غير الإسلامية، أي أهل الذمة[٣].

وكان مرد الضغط على الدولة العثمانية لتأخذ بأسباب الإصلاح على المبادئ الأوروبية، أن الأوروبيين كانوا يرون أن الدولة العثمانية دولة ضعيفة هزيلة، ويجب استبدالها بدولة قوية، وذلك عن طريق الإصلاح لتبلغ مرتبة الدول الأوربية، بمعنى أن يكون لها إدارة مركزية، لا

---

(١) Kedourie, E., England and the Middle East, P. 11.

(٢) د/السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٢١.

(٣) ساطع الحصري، المرجع السابق، ص ٨٦.

تنفرد بسلطة استبدادية، بل يجب أن يشارك الشعب بجميع طوائفه وفئاته وقومياته في هذه السلطة حتى تمارس الحكومة الحكم بالعدل مع جميع أفراد الشعب دون تمييز في العنصر والجنس واللغة والدين(١).

وعلى كل حال، فإن المعالم الرئيسية لحركة الإصلاح والتجديد العثمانية تدور حول نقاط ثلاث هامة:

١ ـ الاقتباس من الغرب فيما يتعلق بتنظيم الجيش وتسليمه في نظم الحكم والإدارة.

٢ ـ الاتجاه بالمجتمع العثماني نحو التشكيل العلماني.

٣ ـ الاتجاه نحو مركزية السلطة في إستانبول والولايات(٢).

وعلى العموم، فقد استندت حركة الإصلاح والتجديد العثمانية أو حركة «التنظيمات» إلى مرسومين سلطانيين أساسيين، كان لهما الفضل في إنقاذ الدولة العثمانية من أزمتين تعرضت لهما، بعد أن اشتد بها الضعف وتوقع الكثيرون هلاكها وزوالها. وقد صدر المرسوم الأول في ٣ نوفمبر عام (١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م) في بداية عهد السلطان عبد المجيد، وصدر المرسوم الثاني في ١٨ فبراير عام (١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م)، أي في عهد السلطان عبد المجيد كذلك.

مرسوم كلخانة:

أما المرسوم الأول، فقد صدر في شكل **خط شريف همايوني**، وقرئ في حفل رسمي كبير في قصر الكلخانة، فعرف لذلك **بمنشور الكلخانة**. وقد حضر هذا الحفل السلطان والوزراء وكبار رجال الدين والإدارة والجيش، كما حضره بطاركة النصارى وحاخام اليهود ورؤساء

(١) ساطع الحصري، المرجع السابق، ص ٨٦.

(٢) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٩٢.

طوائف أرباب الحرف، وممثلو الدول الأجنبية. وقد أعلن السلطان صراحة أمام الحفل الكبير بأن الإمبراطورية بدأت تتداعى منذ مائة وخمسين عاماً لانصراف الناس عن تطبيق الشرع الشريف. وهذا يدل كما ذكر السلطان عبد المجيد الأول أن المجد الذي حققته الدولة العثمانية في عصورها الذهبية إنما مرده إلى التزامها بمبادئ الشريعة الإسلامية، وأنها ضعفت بسبب إهمالها تطبيق مبادئ الشريعة(١).

والواقع، أن منشور الكلخانة كان أول عهد دستوري في تاريخ الدولة العثمانية وضع قواعد الإصلاح على المبادئ الأوروبية، من حيث إنه كفل تأمين شعوب الإمبراطورية على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم مهما تنوعت دياناتهم وجنسياتهم، ومن حيث كذلك أنه قرر نظماً جديدة لتقدير الضرائب وجبايتها حسب الثروة والربح، كما قرر نظماً جديدة للخدمة العسكرية (التجنيد) وتحديد مدتها بخمس سنوات، وأنشأ إدارة مركزية قوية يكون لها إشراف وثيق على الإدارات الإقليمية في أنحاء الإمبراطورية(٢).

ولا شك أن التعهد بإعطاء أهل الذمة من رعايا الدولة نفس الحقوق التي كانت للمسلمين، كان ثورة خطيرة. من حيث إن هذا المبدأ قد كفل لأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية المساواة أمام القانون بين المسلمين والذميين في الدولة. ومع ذلك، فإن الحكومة العثمانية لم تستطع أن تطبق هذا المبدأ بحذافيره، فظلت الخدمة العسكرية مقصورة ـ فعلًا وقانوناً ـ على المسلمين وحدهم، مع تحديد مدة الخدمة بخمسة أعوام. أما أهل الذمة فقد ظلوا يدفعون ضريبة «البدل العسكري»، كما ظلت وظائف الدولة العامة ـ وخصوصاً الوظائف الإدارية

---

(١) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) Lewis, B., The Emergence of Modern Turkey, PP.103 - 105.

أو القضائية ـ شبه مقصورة على المسلمين فعلًا، وإن لم يكن قانوناً[1].

ومما يستلفت النظر أن استصدار خط شريف كلخانة كان «الثمن» الذي حصلت عليه بريطانيا والدول الأوروبية من السلطان العثماني في مقابل تسوية النزاع بينه وبين والي مصر (محمد علي باشا) الذي كان يريد الاستقلال والانفصال عن الدولة، أثناء أزمة العلاقات المصرية العثمانية المعروفة (١٢٥٥-١٢٥٧هـ / ١٨٣٩-١٨٤١م)، وهي تسوية تقوم على أساس المحافظة على كيان الدولة العثمانية[2].

وينبغي ألا يفهم من ذلك أن الضغط الأوروبي بوجه عام والبريطاني بوجه خاص، كان هو وحده منشأ حركة التنظيمات أو حركة التجديد والإصلاح العثمانية، خلال القرن التاسع عشر، فقد أسهم في هذه الحركة عامل آخر، هو اقتناع رجال الدولة المستنيرين والمتأثرين بالثقافة والحضارة الأوروبية بضرورة إصلاح جهاز الدولة وتجديده على أساس اقتباس النظم الأوروبية أو استلهامها من غير مساس بالأحكام الشرعية، ومن هؤلاء مصطفى رشيد باشا (١٢١٥-١٢٧٥هـ / ١٨٠٠-١٨٥٨م) الذي يعتبر المهندس الحقيقي لمنشور كلخانة، والذي عرف بسعة اطلاعه وبإجادته اللغة الفرنسية، كما أنه عمل كسفير لدولته في باريس، وبعد أن تولى عدة مناصب دبلوماسية أخرى، عين وزيراً للخارجية التركية عام (١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م)، فوضع مسودة منشور الكلخانة الذي سبقت الإشارة إليه، وكان أول منشورات الإصلاح الكبرى التي عرفت في التاريخ العثماني باسم التنظيمات[3].

---

(١) Shaw, Stanford, History of the oHoman Empire and Modern Turkey (London 1977) P.60.

يذكر المؤرخ ستانفورد شو إلى أن خط شريف كان قد احتوى على كثير من المبادىء العامة للاعلان الفرنسي لحقوق الإنسان الصادر في عام ١٧٨٩. كما اعتبر بعض الأوروبيين خط شريف كلخانه بمثابة العهد الأعظم بالنسبة إلى العثمانيين.

(٢) د/السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٢٥.

(٣) نفس المرجع.

وهكذا أدى صدور خط شريف كلخانة إلى ردود فعل قوية خاصة بين المسلمين حيث اعتبروا أن المرسوم مناف للقرآن وأن مساواة النصارى بالمسلمين من شأنها أن تثير القلاقل بين رعايا السلطان. وقد قامت تمردات وقضى السلطان عليها[1].

التنظيمات الخيرية:

وأما المرسوم الثاني الذي تستند إليه حركة التنظيمات العثمانية، فقد صدر عقب حرب القرم (١٢٧١-١٢٧٣هـ / ١٨٥٤-١٨٥٦م) التي بدأتها روسيا للقضاء على الدولة العثمانية. وقد وجدت بريطانيا أن سلامة إمبراطوريتها في الهند مرتبطة بسلامة الدولة العثمانية، فانحازت إلى جانب تركيا، ومعها فرنسا في هذه الحرب، ضد روسيا. وكان الثمن الذي حصلت عليه بريطانيا من الدولة في هذه الحرب كذلك، هو استصدار خط شريف همايوني بتاريخ ١٨ فبراير ١٨٥٦م (١٢٧٣هـ)، وهو الخط الذي عرف **«بمنشور التنظيمات الخيرية»**[2].

وقد أكد السلطان في هذا المنشور الأخير المبادئ الإصلاحية التي قام عليها منشور الكلخانة عام (١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م)، أي مجموعة القوانين والأنظمة التي تأسست على هذا المنشور، لتأمين رعايا الدولة على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم دون تفرقة طائفية أو دينية، وذلك بتقرير المساواة أمام القانون، واحترام حق التملك، وتقرير المساواة في دفع الضرائب، إلى غير ذلك من المبادئ والقواعد المستمدة من الأنظمة الأوروبية، والتي تكفل إصلاح شؤون الدولة على المبادئ الأوروبية. وكان من أهم ضروب الإصلاح التي وعد بها منشور التنظيمات الخيرية،

(١) Miller, OP.cit., P. 204, & P. 207.

(٢) Ibid.

تمثيل الطوائف غير الإسلامية في المجالس المحلية في القرى والأقاليم، وفي مجلس القضاء الأعلى، ثم التعهد بالقضاء على مساوئ الإدارة ومحاربة الرشوة وأسباب الفساد الأخرى(١).

وعلى ذلك، فإن معاهدة باريس عام (١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م) التي أنهت حرب القرم قد أقرت مبدأ المحافظة على كيان الدولة العثمانية. وبمقتضى المادة السابقة من هذه المعاهدة تعهدت الدول الأوروبية كل من فرنسا والنمسا وبريطانيا وبروسيا وروسيا باحترام استقلال السلطنة التركية والحفاظ على أراضيها(٢).

وعلى هذا النحو استطاعت بريطانيا أن تنقذ الدولة العثمانية من الأخطار المحيطة بها، ولكنها استمرت تضغط عليها لكي تواصل الإصلاح على المبادئ الأوروبية، ولا سيما فيما يتعلق بإنشاء الحكومة المسؤولة التي تشترك فيها كل القوميات المختلفة في أنحاء الإمبراطورية. ولا شك أن إنشاء مثل هذه الحكومة التي تفسح مجالاً لأهل الذمة حتى يمارسوا سلطات الحكم والإدارة، إنما كان معناه:

أولاً - إضعاف سلطة الحكومة بوضع عدد من القيود عليها، أي تقييدها، وذلك في نظام يقوم على طاعة المحكومين التامة للسلطات الحاكمة.

ثانياً- إشاعة الاضطرابات والفوضى التي تنجم من تصادم مختلف الطوائف في داخل الدولة، مع بعضها البعض، ثم من الحكومة المركزية في الآستانة، لدرجة أن استشراء هذه الفوضى، ونجاح مطالب القوميات المختلفة، سوف يؤديان حتماً إلى انحلال الإمبراطورية العثمانية.

---

(١) Miller, W., The Ottoman Empire and its Successors.1801 - 1927, Cambridge 1927, PP.298 - 299.

(٢) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

وهكذا فإن الإصلاح على المبادئ الأوروبية الحديثة، كان من العوامل الفعالة التي ساعدت على هلاك الدولة وانحلال امبراطوريتها. ولم يكن الفساد والرشوة وسوء الحكم هو سبب القضاء على الدولة، لأن كل تلك المثالب كانت قائمة وقت اتساع الإمبراطورية العثمانية وبلوغها أوج المجد والرفعة. ومع ذلك، فقد استمرت هذه الإمبراطورية قائمة. وكان في رأي كثيرين من المؤرخين أن السبب الحقيقي لزوال الدولة، هو الإصلاح على النمط الأوروبي من ناحية وأطماع الدول الأوروبية التي أرادت اقتسام أملاكها من ناحية أخرى[1]. وقد أكد السلطان عبد العزيز مرة أخرى أن ابتعاد الدولة عن أحكام الشريعة الإسلامية هو الذي أدى إلى ضعفها بدلاً من القوة والمجد.

وقد واجه المنشور ردود فعل قوية، فقد عارض شيخ الإسلام الخط الهمايوني، وانتقده رشيد وانتقده عثمانيون آخرون مما أدى إلى نشوب الاضطرابات. كما أن المسلمين جميعاً عارضوا ذلك، ورفض النصارى مساواتهم باليهود، كما لم يرحب رجال الدين النصارى بما نص عليه من تقاضيهم مرتبات ثابتة وتوقفهم عن فرض هبات ومساهمات على رعاياهم. كما أن المساواة القانونية بين المسلمين وأهل الذمة جاءت في وقت غير مناسب، حيث انتشرت القومية بين الأقليات الدينية التي اهتمت بلغاتها وآثرت الانفصال على الاندماج[2].

فشل التنظيمات:

وفي عهد السلطان عبد العزيز (١٢٧٨-١٢٩٣هـ / ١٨٦١-١٨٧٦م) اتخذت الدولة خطوات معينة لتنفيذ الإصلاح على المبادئ الأوروبية،

(١) Lewis, B., OP. cit., P.119.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢١٤.

إذ ما كاد السلطان عبد العزيز يعتلي العرش حتى أكد عزمه على مواصلة السير في الطريق الذي سلكه أبوه محمود الثاني وأخوه عبد المجيد، فأبقى على كل أصحاب المناصب من المتكفلين بتنفيذ الإصلاحات. وكان من أهم الإصلاحات الإدارية في عهده صدور قانون الولايات عام (١٢٨١هـ / ١٨٦٤م). وبموجبه قسمت الدولة العثمانية إلى ولايات، وكل ولاية إلى صناجق (ألوية) وكل صنجق (لواء) إلى أقضية (جمع قضاء)، وكل قضاء إلى مديريات. وكان يرأس الولاية الوالي، وهو يخضع مباشرة للباب العالي. وأما الصنجق أو اللواء فيحكمه متصرف، والقضاء يحكمه قائمقام، وهو نائب عن المتصرف. وأما المديرية فيحكمها المدير. وفي عاصمة الولاية، توجد إدارتان رئيسيتان: الإدارة المدنية برئاسة الوالي والإدارة المركزية القضائية برئاسة قاضي القضاة أو رئيس الهيئة القضائية. ويساعد الوالي مجلس إدارة مكون من رئيس الهيئة القضائية ورئيس المالية ورئيس لديوان الرسائل ورئيس الشؤون الخارجية، وأربعة أعضاء آخرين، اثنان منهم منتخبان من قبل المسلمين والآخران من قبل غير المسلمين[1].

وفي مجال الإدارة أيضاً، أنشئت محكمة عليا قضائية (ديوان الأحكام العدلية)، كما أنشئ عام (١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م) مجلس للدولة على النسق الفرنسي سمي «شوراي دولت» أي مجلس شورى الدولة، وكان من أهم اختصاصاته مناقشة الميزانية[2].

أما في مجال التعليم، فقد أسست مدرسة ثانوية عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م) هي مدرسة «غلطه سراي»، كان برنامج الدراسة فيها خيراً من برامج المدارس الثانوية الأخرى. وكانت كل المواد التي تدرس فيها

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧.
(٢) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٤٩٠ ــ ٤٩٢.

باللغة الفرنسية فيما عدا اللغة التركية. وكانت الغاية من إنشائها هي تخريج طائفة من الشباب القادر على حمل عبء الوظائف العامة - وكان هؤلاء الشباب من العثمانيين من مختلف الديانات، فالأغلبية من المسلمين، ولكن كان بها اليونان والأرمن، وهم نصارى، كما كان بها أيضاً أعداد من اليهود. والواقع أن الطلاب قد أقبلوا على هذه المدرسة حتى بلغ عددهم عام ١٨٦٩ ستمائة طالب مسلمين ونصارى ويهود[١].

ورغم هذه الخطوات الإصلاحية التي تمت في عهد السلطان عبد العزيز، إلا أن الدول الأوروبية لم تعتبرها كافية لتنهض دليلًا على أن الدولة العثمانية إنما تريد الإصلاح حقاً، وتعمل لتحسين أحوال رعاياها النصارى، ولإزالة المفاسد التي استشرت في نظام الإدارة والحكومة، وهي مفاسد كانت في نظر الكثير من المعاصرين الأوروبيين تهدد بانهيار الدولة في النهاية[٢].

واعتقد فريق كبير من البريطانيين وغيرهم من المعاصرين، أن زوال الدولة العثمانية قد بات ضرورياً، حيث إنها قد فشلت في الأخذ بأسباب الإصلاح الأوروبي، فقال لورد كلارندون Clarendon وزير الخارجية البريطانية في عام ١٨٦٥: «إن الطريقة الوحيدة لإصلاح أحوال العثمانيين هي بإزالتهم من على سطح الأرض كلية»[٣]. وهذا يؤكد حقد الغرب على الدولة العثمانية لأنها دولة إسلامية قهرتهم منذ فتح القسطنطينية.

ومهما كان الأمر، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا فشلت الدولة العثمانية في الأخذ بأسباب الإصلاح الأوروبي؟ إن السبب الرئيسي والحقيقي لذلك، إنما هو انعدام كل صلة بين المبادئ الأوروبية

---

(١) Lewis, B., The Emergence of Madern Turkey, P. 119.

(٢) د/السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣) Kedourie,E. England and the Middle East, P.15.

التي أريد أن يستند الإصلاح إليها، وبين المبادئ العثمانية الشرقية التي قامت عليها الإمبراطورية. وفضلًا عن ذلك، فهناك عوامل أخرى جانبية، لعل أهمها ما يلي:

١ ـ ندرة المتعلمين النابهين في الدولة، فلم يكن المصلحون يجدون من يعتمدون عليه في التنفيذ الذي هو أساس الإصلاح، لهذا كان السلطان يقرر ثم لا يجد من يفعل بل إن الشعب التركي لم يكتف بهذا الموقف السلبي، وإنما حرص على أن يأتي من الأمور ما يعارض أوامر الحكومة الجديدة، ظناً منه أن هذه «التنظيمات» رجس من عمل النصرانية فلا بد من اجتنابه[1].

٢ ـ افتقار الدولة للمال وللكفايات التي تستطيع الهيمنة على مواردها وتحسن التصرف فيها على نحو يهيئ لها المال اللازم للمشروعات الإصلاحية. هذا إلى جانب حيرة الدولة في أساليب جمع الضرائب وإعطائها للملتزمين تارة، وتكليف رؤساء العشاء والأقاليم بجمعها تارة أخرى، والاعتماد على القادة العسكريين في جبايتها تارة ثالثة، مما جعل الدولة تعاني أزمة مالية مستمرة، فلا هي واجدة المال، ولا هي قادرة على تصريفه إذا وجدته. وكان مما ساعد على استمرار الأزمة المالية: فساد ذمة الموظفين الأتراك وقبولهم الرشاوى وميلهم إلى اختلاس أموال الدولة[2].

٣ ـ لم تكن الدول الأوروبية بوجه عام خالصة النية فيما كانت تعلنه من العطف على مصلحة الدولة العثمانية والأخذ بيدها في طريق الإصلاح، إذ لم تزودها بمستشارين وخبراء من ذوي الكفاية والإخلاص. ولا شك أن سماح هؤلاء للدولة بإصدار أوراق مالية

(١) حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ص ٢٥٨.

(٢) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ٢٥٩.

دون رصيد، إنما يدل على كلا الأمرين، كما أن بخلهم على الدولة بالنصح في مسائل النظام المالي والميزانية يؤكد أنهم كانوا يخادعونه، لأن تلك الأمور من أوليات التنظيم الأوروبي المالي، يعرفها رجل الشارع لا المستشار الذي يندب لتنظيم أمور دولة بأسرها[1].

٤ ـ اتجاه بعض الدول الأوروبية إلى عرقلة حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وتعطيلها. فقد كان الوزير النمساوي مترنيخ لا ينظر بارتياح إلى هذه الحركة، ولم يتردد في إعلان استيائه منها وعودة تركيا إلى ما كانت عليه، كذلك لم تكف روسيا عن إقلاق تركيا والتدخل في شؤونها ومحاربة رجال الإصلاح صراحة والعمل على إفساد ما بينهم وبين السلطان. ويرى المؤرخ فيلكس فالي Felix valy في كتابه «أوروبا في آسيا الصغرى» أن هذا التدخل الأوروبي المربك كان من العوامل الرئيسية لفشل حركة التنظيمات العثمانية. ويقول إن روسيا عندما وجدت نفسها عاجزة عن القضاء بضربة واحدة على قوة الإسلام السياسية ممثلة في الدولة العثمانية، ابتدعت بعد مؤتمر باريس عام (١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م) وسيلة كانت تعني ببساطة التخلص من تركيا بالموت البطيء، أو حسب تعبيره بالانتحار عن طريق تقطيع أطرافها طرفاً طرفاً، وذلك بإثارة النصارى في ولايات الدولة الأوروبية عليها. مما نجم عنه قيام اضطرابات وثورات ضد الحكم العثماني في البلقان[2].

٥ ـ هناك عوامل أخرى يمكن أن يعزى إليها فشل حركة التنظيمات، وهي عوامل يتحمل مسؤوليتها قطاع المثقفين الأتراك، الذين

---

(١) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ٢٦٠ ــ ٢٦١.

(٢) Valyi, Felix, Europe in Asia Minor, PP.21 - 22.

نقلاً عن الدكتور حراز، المرجع السابق، ص ٣١.

حملوا لواء حركة الإصلاح والتجديد في القرن التاسع عشر. ويرى الدكتور أوريل هايد Heyd في كتابة «أسس القومية التركية» أن زعماء التنظيمات قد سلموا بأن إنقاذ الإمبراطورية العثمانية من أعدائها الخارجيين يستلزم إصلاح جهازها العسكري ونظامها القضائي وبنائها الاقتصادي ووسائل التعليم بها، ولكنهم لم يحاولوا أن يتبينوا ما يجب أن يقبل من أوروبا وما يجب أن يؤخذ من التقاليد والتراث الوطني. وكان من نقائص رجال التنظيمات الخطيرة أنهم لم يفهموا الحضارة الغربية فهماً صحيحاً وتاماً. إذ استقى معظمهم معلوماتهم عن تلك الحضارة من مخالطتهم بسكان حي الليفانت في الآستانة (استانبول) ولذلك قلدوا بصفة رئيسية المظاهر الخارجية أو الشكلية - والوطنية غالباً - للحضارة الغربية، دون أن يتعمقوا في فهم أسسها الفلسفية والعلمية ويمضي الدكتور أوريل هايد في رأيه فيقول: إن رجال التنظيمات بقبولهم الأفكار والقيم الأوروبية، ودون أن يراعوا حالة الشعب التركي، قد فشلوا في حل مشكلة الثقافة التركية. فقد ظلت الطبقة المثقفة التركية الجديدة تمثل الصفوة النابهة التي تفصلها عن جماهير الشعب وعن طبقة العلماء أو رجال الدين هوة سحيقة فبينما كانت طبقة العلماء تعيش على التراث العربي والفارسي، كانت جماهير الشعب التركي تعيش على أساليب وقيم تركية بدائية. وفي نفس الوقت كانت الطبقة المثقفة الجديدة، أي الطبقة الحاكمة من رجال الإصلاح تعيش على أفكار وقيم أوروبية باهتة[1].

---

(١) Heyd, Urel, Foundations of Turkish Nationalism, (London 1950) PP.74 - 77.
نقلاً عن حراز، المرجع السابق، ص ٣٤.

تعذر الاتفاق على حل المسألة الشرقية:

ولقد كان في الستينات من القرن التاسع عشر أن كادت تتفق كلمة السياسيين جميعهم على أن الدولة العثمانية صارت مريضة، وأن من الواجب أن تنتهي هذه الدولة. وكان بهذا المعنى المحدد، أن برزت في هذا الحين «المسألة الشرقية». وواضح أن مبعث هذا الحل الذي صار الاتفاق عليه لإنهاء هذه المسألة، كان اليأس الذي استبد برجال السياسة في أوروبا ـ وخصوصاً في بريطانيا ـ من إمكان نجاح الإصلاح في تركيا[1].

وكان ممن ناقشوا سياسة إرغام الدولة العثمانية على الأخذ بأسباب الإصلاح الأوروبي، السفير البريطاني في الآستانة (استانبول) لورد بونسونبي، الذي شغل منصب السفير بها في الفترة من (١٢٤٨ إلى ١٢٥٨هـ / ١٨٣٢ إلى ١٨٤٢م). فقد ركز على توزيع السلطة السياسية بحيث يجيز لرعايا الدولة النصارى نصيب فيها، مما يؤدي إلى الإطاحة بنفوذ المسلمين وسلطتهم[2].

وعلى العموم، فقد دارت المناقشات التي استمرت من أيام أزمة العلاقات العثمانية المصرية (١٢٥٥-١٢٥٧هـ / ١٨٣٩-١٨٤١م) إلى وقت انهيار الدولة العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، حول إمكان نجاح الإصلاح من عدمه. وفي بريطانيا، كان كل من سالسبوري وجلادستون من القائلين بأن الإصلاح لن يؤتي ثماره في تركيا. فقد اعتقد زعماء حزب المحافظين أن الدولة العثمانية تسير نحو الهاوية بسرعة كبيرة، وأن من الضروري وقف هذا التدهور، باستخدام كل وسائل الضغط والقوة، لمنع تنظيم الدولة خشية إثارة المنازعات الدولية. أما زعماء حزب الأحرار

---

(١) Kedourie, E., op. Cit., PP.15 - 16.

(٢) د/السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٣٥.

فكانوا يؤيدون الإصلاح والمحافظة على استمرار هذه الدولة وبقائها[1].

وهكذا كان من الواضح أن كلّاً من المحافظين والأحرار يتفقون جميعاً في الرأي، من حيث إن الدولة العثمانية «رجل أوروبا المريض» يحتاج إلى طبيب لا يقتصر واجبه على وصف العلاج اللازم، بل يشمل واجبه الإشراف على تطبيق هذا العلاج وتنفيذه.

وكان وزير خارجية بريطانيا لورد سالبوري من (١٢٩٣-١٢٩٨هـ / ١٨٧٦-١٨٨٠م) يرى هدم الإمبراطورية العثمانية، ثم تقسيم الأنقاض وتوزيعها على الدول التي يهمها الأمر. ومن هنا فقد كان تقسيم الدولة العثمانية هو الحل الذي ارتآه سالسبوري لإنهاء المسألة الشرقية. وكان أيضاً الحل الذي صار ينادي به عام (١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م) إبان انعقاد مؤتمر برلين، الذي حصلت فيه تصفية ممتلكات العثمانيين البلقانية، وكان الحل الذي نادى به سولسبوري لاحقاً بسبب حوادث مذابح الأرمن والثورة في جزيرة كريت ضد الدولة العثمانية والتي أدت إلى قيام الحرب بين تركيا واليونان عام (١٣١٥هـ / ١٨٩٧م)[2].

غير أن اقتراح سالسبوري لم يحظ بالموافقة وقتئذ، بسبب موقف ألمانيا ومساندتها لتركيا. فقد أخذ النفوذ الألماني يشتد ويقوى منذ عام (١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م)، وقد حصلت ألمانيا بعد عشر سنوات (١٣١٧هـ / ١٨٩٩م) على امتياز سكة حديد برلين بغداد. وأخذت ألمانيا تهدد ببسط السيطرة العثمانية الألمانية على الخليج العربي، وتهدد بزوال السيطرة الإنجليزية من تلك الجهات، علاوة على تهديد مواصلات الإمبراطورية البريطانية عن طريق قناة السويس والبحر الأحمر. فلم تكن ألمانيا تقبل بزوال الدولة العثمانية وتقسيم أملاكها[3].

---

(١) Kedourie, E. op. Cit., P.16.

(٢) Ibed, PP.20 - 21.

(٣) Miller, W. The Ottoman Empire and its Successors, PP.427 - 438.

وهكذا كان من المتعذر حتى نهاية القرن التاسع عشر الاتفاق على حل المسألة الشرقية، بإنهاء الإمبراطورية العثمانية وإزالتها من الوجود كلية عن طريق تقسيم أملاكها وفق تخطيط بريطانيا، وذلك لتناقض المصالح بين بريطانيا والدول الأوروبية ولصعوبة اتفاقها بشأن المسألة الشرقية آنذاك، وظل الوضع على ما هو عليه حتى قيام الحرب العالمية الأولى[1].

---

(١) Marriott, J.A., The Eastern Question, PP.395 - 404.

الفصل السابع

الحركة القومية التركية والإصلاح الدستوري

نشأت الدولة العثمانية نشأة إسلامية خالصة، مشبوبة بإيمان عميق، متوجهة إلى أهداف عقائدية صريحة، تخوض حروبها بحمية دينية شديدة، وكانوا ينادون بعبارة «إما غاز.. وإما شهيد». فمنذ بداية تأسيسها أطلق على زعيمها لقب الغازي ـ أي المجاهد في سبيل الله ـ وظل هذا اللقب يسبق كل الألقاب ويبعث كل أسماء السلاطين العظام، وكانت غايتها الدفاع عن الإسلام ورفع رايته على الأنام في جميع العهود[1].

لذلك صبغت الدولة شعباً وسلطاناً أو خليفة، حكومة وجيشاً وتشريعاً وثقافة ونهجاً وضميراً هدفاً ورسالة بصبغة إسلامية خالصة منذ النشأة وعلى مدى سبعة قرون. والفكرة الإسلامية كوطن وملة وجنسية وتاريخ كانت هي الكيان الأساسي للأمة والفرد، حية في الذات، فالسلاطين العثمانيون أنفسهم لا يدركون نسباً إلا نسبهم الإسلامي الصريح، وما كانوا ينتسبون إلى الأتراك بالمعنى العرقي أو القومي بل بالجد وأكد الأتراك أنهم لا ينتسبون إلا للإسلام وتراث الإسلام وحضارة

(١) محمود ثابت الشاذلي، المسألة الشرقية، القاهرة ١٩٨٩، ص ٥٤.

المسلمين، وأنهم مسلمون وبعيدون عن العرقية والقبلية والشعوبية. وجميع المسلمين كانوا يسجلون في سجلات المواليد وفي بطاقات الهوية كمسلمين فحسب دون أن يذكر الجنس. كما أن اللغة كانت تدعى العثمانية وليست التركية، وقد أسهمت في تكوينها لغات المسلمين الرئيسية كالعربية والفارسية والأوردية والتركية، وشكلت اللغة العربية أكثر من ستين بالمائة من اللغة العثمانية. وهكذا قطع الأتراك كل صلة لهم بماضيهم قبل الإسلام، وانتسبوا للإسلام وتباهوا به وبتاريخ الإسلام[1].

وقد حققت الدولة العثمانية آمالًا عظيمة تمثلت برفع راية الإسلام على قلاع كثيرة من عواصم أوروبا الكبرى وإخضاع كثير من الممالك والإمارات للحكومة الإسلامية، وأخذ ظل الإسلام يمتد حتى أوشكت جيوش المسلمين في شرق أوروبا وغربها أن تسيطر على العالم.

ومما يجدر ذكره أن الدولة العثمانية هي التي قاومت الاستعمار الغربي ممثلًا في الاستعمار الإسباني والبرتغالي وغيرهم، واستعادوا موانئ وشواطئ العرب لتكون عربية إسلامية. ويعلم الصليبيون واليهود أن الذي حفظ ديار العرب من السيطرة والاحتلال الأجنبي هم العثمانيون وليس غيرهم. فأخذ المستعمرون يعملون لتقويض الدولة العثمانية من خلال عملية الغزو الفكري والتغريب[2].

وكانت دعاوى القومية والوطنية من بين وسائل الغزو الفكري ذلك لأن العقيدة الإسلامية عقيدة جهاد. فنشر المستعمرون القومية لتحويل حركات الجهاد الإسلامي إلى حركات وطنية لأن الحركة الوطنية تنظر إلى العدو على أنه مستعمر وليس كافراً. كما أنها أرادت تحويل حركات

(١) محمود الشاذلي، المرجع السابق، ص ٥٤.
(٢) أمين شاكر، سعيد العريان، محمد عطا، تركيا والسياسة العربية، القاهرة ١٩٦٢، ص ٤٧.

الجهاد إلى حركات سياسية عن طريق تحويلها إلى حركات وطنية وتيسير عملية التغريب من خلالها حيث إن عملية التغريب أو الغزو الفكري تهدف إلى طمس شخصية المسلم وفقدان هويته الإسلامية لإضعافه والقضاء عليه لأنه يفقد إيمانه بالله وبالدين، وينظر إلى عدوه نظرة إكبار وإجلال وأي ضعف أكبر من فقدان المسلم لإيمانه بدينه وعقيدته.

وأدت عملية التغريب إلى فقدان المسلم لعقيدته وأخلاقياته ونقل عن الغرب الأوروبي ما يضر وما يفسد وعجز عن نقل ما ينفع، لذلك نقل المستغربون عن الغربيين وسائل اللهو والعبث والمجون، ولم ينقلوا عنهم التقدم العلمي والقدرة على الانضباط في العمل وغير ذلك، بل وصل بهم الأمر أنهم كانوا يتباهون بالانسلاخ عن دينهم ووطنهم وعقيدتهم وأخلاقهم. وكان ذلك تنفيذاً دقيقاً لوصية الملك لويس التاسع الذي سجن في المنصورة حينما أوصى الغرب بغزو المسلمين غزوا فكرياً بدلًا من الغزو العسكري غير المجدي[1].

ومما يجدر ذكره، أن الحركات القومية في العالم حركات علمانية، حيث إن القومية ألغت الدين من حسابها، وجعلت الاجتماع على الأرض واللغة هو الأصل، ورفضت كل ما يعارض ذلك من دين وخلق وفضيلة، فإذا قلت لهم إن الله كرم بني آدم وجعلهم قبائل وشعوباً ليتعارفوا، وجعل أكرمهم عند الله أتقاهم وأتبعهم لشريعته، وجعل الدين هو جنسية المسلم، فهو صاحب منهج وعقيدة قبل أن يكون عبداً للوطن والقومية، إذا قلت لهم ذلك لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون، وقال قائلهم كفرنا بما تدعونا إليه، وإذا حذرتهم من عذاب الله من جهنم أصروا على موقفهم من الكفر[2].

---

(١) محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، القاهرة ١٩٧٧، ص ٢٧٩ ــ ٢٨٠.

(٢) د/صالح العبود، القومية العربية على ضوء الإسلام، القاهرة ١٩٧٣، ص ٢٥.

ففي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، سنحت الفرصة لعدد من الأتراك بالسفر إلى الغرب لتلقي العلم، فوجدوا ضالتهم في الصناعة والعلوم (في المصانع والمدارس)، وقد تأثروا كثيراً بالنهضة الأوروبية. وعلى هذا الأساس انصبت إصلاحات محمد علي ومحمود الثاني ومن تلاهما بهدف الحصول على المال والقوة وإيجاد قوات مسلحة حديثة. ولكن ما أن أدخلت الإصلاحات على النمط الأوروبي حتى سحبت وراءها المؤثرات الأوروبية الأخرى، وبخاصة الأفكار ونظم الحكم وأساليب الحياة الأوروبية. وعملوا على إدخال مفاهيم القومية والوطنية في وعي العثمانيين[1].

حركة تركيا الفتاة:

حرص الغرب الأوروبي بزعامة بريطانيا على إنهاء الدولة العثمانية وتوزيع أملاكها، فعمل على إنشاء حركات قومية على أيدي المتنورين والمثقفين الأتراك الذين تعلموا في الغرب وفق الأساليب العلمانية. والحركة القومية التركية حركة علمانية تستند أساساً على وعي الطبقة المتوسطة وقطاع المثقفين منها، وهو القطاع المتأثر بالآراء والأفكار الليبرالية الأوروبية وهو الذي تولى أفراده مناصب الحكم والإدارة في الإمبراطورية، وكانت هذه الحركة تعمل من أجل تحقيق أربعة مبادئ، هي: الحرية الفردية، والنظام الدستوري، وهدم الإقطاع، والتحرر الوطني من السيطرة الأجنبية[2].

وعلى ذلك، فإن الطبقة الحاكمة أو الصفوة النابهة من قطاع المثقفين الأتراك، راحت تكافح في سبيل إقامة الحياة الدستورية ووقف

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥.

(٢) محمد أنيس، الدولة العثماني والشرق العربي، ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧.

استبداد السلاطين. ولا شك أن حركة التنظيمات قد ساعدت على ذلك كثيراً، أولًا بهدم الإقطاع في أشكاله القديمة، وثانياً باستخدام الأنظمة الغربية في كافة الإدارات العثمانية والجيش بالذات، وثالثاً الاتجاه نحو إقامة حكم مركزي في تركيا نفسها، وفي الولايات التابعة للدولة العثمانية(١).

ورغم أن تاريخ الحركة التركية ضد استبداد السلاطين بدأ عام (١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م)، عندما اكتشفت في هذا العام مؤامرة كانت تستهدف عزل السلطان عبد المجيد أو اغتياله إذا لزم الأمر، مما أدى إلى إلقاء القبض على زعمائهم وزج بهم في السجون، فقد كانت الآراء التحررية والدستورية معروفة من قبل في الدولة العثمانية. وقد ظهرت هذه الآراء في كتابات صادق رفعت باشا التي كان لها تأثيرها على إصلاحات السلطان عبد المجيد ومصطفى رشيد باشا. كما أن محمد علي باشا والي مصر قد أنشأ مجلس الشورى عام (١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م)، وكان يتألف من ١٥٦ عضواً من كبار موظفي الحكومة والعلماء والأعيان، وينعقد في السنة مرة واحدة قد تستمر بضعة أيام، لاستشارته في شؤون الإدارة والتعليم والأشغال العمومية(٢).

كذلك أنشأ السلطان عبد المجيد نفسه في عام (١٢٦٢هـ/١٨٤٥م) مجلساً في الآستانة يضم أعيان الولايات بواقع اثنين عن كل ولاية، وذلك بهدف التعرف على الولايات ومدى حاجتها إلى الإصلاح وفي عام (١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م) أصدر باي تونس (محمد باشا) دستوراً سمي عهد الأمان، وفي عهد الصادق باي وبفضل جهود الوزير خير الدين باشا تم تعديل هذا الدستور، وأسس مجلس تشريعي (٦٠ عضواً) له سلطات

---

(١) Ram Saur, E,E, The Young Turks. Prelude to The Revolution of 1908, P.4.
مقتبسة من كتاب الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ص ٤٢ ــ ٤٣.

(٢) السيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ص ٤٤.

واسعة، منها حق خلع الباي إذا خالف بتصرفاته أحكام الدستور[1].

وفي عام (١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م) قام إسماعيل باشا في مصر بأول تجربة لتأسيس مجلس نيابي منتخب، وهو مجلس شورى النواب (٧٥ عضواً)، وسلطته محدودة، ولم تكن قراراته تعدو أن تكون رغبات ترفع إلى الوالي وله فيها القول الفصل[2].

ومهما يكن من أمر، فقد ظهرت في الستينات من القرن التاسع عشر انتقادات لأعمال الحكومة وبرنامجاً للإصلاح الدستوري. وقد ظهر ذلك في دوائر الأدباء والشعراء والمستنيرين الأتراك بصفة عامة ومن أبرزهم نامق كمال وضياء باشا وإبراهيم شناسي. وقد وجدت هذه الآراء في صحافة هذه الحقبة[3] ومنها جريدة حوادث، وترجمان أحوال، ومرآة وعين وطن وغير ذلك.

والواقع أن نامق كمال وزملاءه من متنوري الأتراك كانوا من وراء الحركة المطالبة بالإصلاح الدستوري في عهد السلطان عبد العزيز (١٢٧٨-١٢٩٣هـ / ١٨٦١-١٨٧٦م). حقيقة أن السلطان عبد العزيز قد عمل على صبغ الدولة العثمانية بالصبغة العلمانية، وبدأ تنفيذ بعض المشروعات العامة النافعة. وأدخل بعض التحسينات على وسائل المواصلات، واهتم باستثمار الموارد الطبيعية في إمبراطوريته، وأوجد نظاماً تعليمياً علمانياً يتألف من المدارس الابتدائية والثانوية وهي مدارس كانت مفتوحة لكل التلاميذ على اختلاف دياناتهم. وفضلاً عن ذلك، فقد أصدر عام (١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م) محكمة عليا قضائية

(١) الحبيب ثامر، هذه تونس، تونس ١٩٦٣، ص ٢٣ وانظر كذلك Lewis, B. The Emergence of Modern Turkey, PP110 - 111.

(٢) أحمد عزت عبد الكريم، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، ص ٥٤٤ — ٥٤٥.

(٣) السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٤٥.

(ديوان الأحكام السلطانية) كانت تتكون من عدد متساو من الأعضاء المسلمين والنصارى، وأنشأ في العام نفسه مجلساً للدولة على الطراز الفرنسي، كانت له اختصاصات تشريعية وإدارية، ويتكون أعضاؤه من المسلمين والنصارى[1].

ومع ذلك، فقد كان السلطان عبد العزيز غير جاد في إصلاحاته، وكان يريد إقناع الدول الأوروبية بأن ثمة إصلاحاً على المبادئ الأوروبية يجري في الدولة العثمانية، لعل هذا يؤدي إلى اقتناع هذه الدول بصلاحية الدولة العثمانية في البقاء، فتكف يدها عن التدخل في شؤونها بحجة حماية العناصر المضطهدة داخل الدولة العثمانية[2].

ويقول ساطع الحصري: «قامت الدولة العثمانية بإجراء إصلاحات واسعة النطاق في عهد التنظيمات، على أساس الاقتداء بالغرب، واقتباس النظم والأساليب العصرية من الغرب، إلا أن الدولة العثمانية لم تتخل عن صفتها الإسلامية، وبقيت دولة عثمانية إسلامية بكل معنى الكلمة»[3]. ويقول أيضاً: «... إن كل شيء في السلطنة العثمانية كان ينعت تارة بالعثمانية وطوراً بالإسلامية. ولكنه ما كان ينسب إلى التركية أبداً. وأما فكرة القومية التركية، فما كانت تجول إلا في خواطر رجال الدولة ومتنوري الأمة ولا في أذهان سواد الشعب وعوام الناس».

ويظهر من كل ما تقدم أن الأتراك العثمانيين كانوا مرتبطين بفكرة الوطنية العثمانية الإسلامية ارتباطاً شديداً أو بعيداً عن الشعور بالقومية التركية حتى الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)[4].

(١) Marriott, Sir. J.A., The Eastern Question, PP.311 - 312.

(٢) محمد أنيس، المرجع السابق، ص ٢١٢.

(٣) ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، بيروت ١٩٦٢، ص ١٢٩ ــ ١٣٢.

(٤) ساطع الحصري، محاضرت في نشوء الفكر القومية ص ١٣٢ ــ ١٤٠.

وعلى العموم، فإن الحركة القومية التركية وبالتالي المطالبة بالإصلاح الدستوري، إنما ترتبط في مبدأ نشأتها بحركة تركيا الفتاة (تركيا الحرة أو الليبرالية). وقد عمد القائمون بهذه الحركة إلى تأسيس جمعية سرية لكي تضع دستور الحركة وبرنامجها. ففي يونيو عام (١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م) قامت مجموعة صغيرة من العناصر التركية الوطنية ذوي الميول الليبرالية، والتي كان يبلغ عددها ستة من أبرزهم نامق كمال والأمير مصطفى فاضل من أسرة محمد علي وشقيق الخديوي إسماعيل، بعقد اجتماع سري اتفق فيه على تأسيس جمعية سرية (جمعية شباب العثمانيين). ومما يستلفت النظر أن جمعية تركيا الفتاة أو جمعية شباب العثمانيين قد اتخذت لنفسها برنامجاً على غرار جمعية الكاربوناري الإيطالية، كما أنها نمت بسرعة، وأصبح عدد أعضائها في وقت من الأوقات ٢٤٥ عضواً[١].

ومن الجدير بالذكر أن قيام حركة تركيا الفتاة كان يعني أن الطبقة المثقفة التركية قد شعرت بأن الحاجة باتت ماسة لوجود قوة من العناصر الوطنية تتولى فرض الإصلاح فرضاً على السلاطين العثمانيين، بحيث لا يترك مصير حركة الإصلاح في أيديهم، كما أن قيام حركة تركيا الفتاة كان يشير إلى إحساس الطبقة المثقفة التركية بقوتها الذاتية وحاجتها إلى التعبير عن نفسها[٢].

وقد نشط أعضاء الحركة في النقد لبرامج الإصلاح من خلال كتاباتهم الأدبية، فظهرت في كتابات الأتراك تعبيرات جديدة على الفكر التركي، مثل «الحرية الفردية» و «الوطن» و «الدستور» والبرلمان وغيرها. ولما تحول دعاة الأفكار الجديدة من النقد إلى الثورة، ونظراً لسياسة السلطان عبد العزيز الاستبدادية وكراهيته لكافة الاتجاهات الجديدة،

---

(١) السيد رجب حراز، المرجع السابق: ص ٤٧.

(٢) Ramsaur, E - E. The Young Turks, P.3.

فقد هرب أعضاء الجمعية إلى الخارج وخاصة باريس وأقام بعضهم فيها في حين أقام آخرون في لندن[1]. وتتفق هجرة زعماء تركيا الفتاة إلى أوروبا الغربية مع بداية تحول الحركة القومية التركية من مجال الأدب إلى مجال السياسة. ففي عام (١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م) ظهرت في لندن أول جريدة تعبر عن اتحاد الأتراك الأحرار (جريدة الحرية)، وكان رئيس تحريرها رفعت بك وقد صدر العدد الأول منها وكان يحتوي على مقالين رئيسيين كتبهما نامق كمال. أحدهما بعنوان الوطنية والآخر الشورى ويركز في المقال الأول على الفكرة الوطنية والقومية، في حين يركز في المقال الثاني على ضرورة قيام حكومة عثمانية مسؤولة أمام الشعب. وظلت معظم المقالات تركز على الوطنية وتعرض أعضاء الجماعة للنفي والاعتقال والاضطهاد[2]. وذلك لأن أفكارهم كانت تلقى استجابة وصدى واسع النطاق لدى الناس الناقمين على الدولة.

عزل السلطان عبد العزيز:

وكان مدحت باشا قد برز كقائد لحركة تركيا الفتاة في تركيا نفسها، ولو أنه لم يكن له صلة مباشرة بالنشاط الدائر في لندن وباريس. ويعتبر مدحت باشا نموذجاً للطبقة التركية المثقفة الجديدة التي تولت المناصب الإدارية والحكومية في الدولة العثمانية فقد حصل على وظيفة في الصدارة العظمى، ثم ترقى سريعاً بعد ذلك في خدمة الباب العالي وقام بعدة زيارات إلى عواصم أوروبا. وبعد عودته شغل عدة وظائف حكومية. وعين حاكماً في عام (١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م) على ولاية الدانوب الجديدة، وأسندت إليه في عام (١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م) رئاسة

(١) سيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٤٨.

(٢) Lewis, B., op. Cit., PP.151 - 152.

مجلس الدولة، ثم عين حاكماً على ولاية بغداد (١٢٨٦-١٢٨٩هـ / ١٨٦٩-١٨٧٢م). وفي جميع هذه المناصب التي تولاها، أظهر مدحت باشا دراية ومقدرة وكفاءة، مما أدى إلى ازدياد شهرته[١].

وكان السلطان العثماني عبد العزيز قد عهد إلى محمود نديم باشا بمنصب الصدارة العظمى وهو من المحافظين وتربطه علاقات وطيدة بالسفير الروسي. وقد ظهر تياران رئيسان في الدولة العثمانية في عام (١٢٨٨هـ / ١٨٧١م)، وكلاهما يتصارعان حول مسألة الإصلاح ونظام الحكومة فهناك فريق الإصلاح ويقابله الفريق المحافظ الذي كان يرى عدم المساس لسلطة السلطان والعناصر الإسلامية للمحافظة على تماسك الدولة. وكان الصدر الأعظم محمود نديم باشا قد وفر للسلطان الفرصة بتعزيز رأي المحافظين وتأكيد ادعاءه بالخلافة لمساندة حكمه ضد فريق الإصلاحات والتنظيمات[٢].

واشتد سخط بعض الجماعات على ممارسات السلطان الاستبدادية، وازداد القلق بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية وإعلان إفلاس الحكومة العثمانية. وقد أدى ذلك الوضع إلى انتشار أفكار الدستور والبرلمان والعثمنة، وفي الأفكار التي روج لها مدحت باشا وغيره وجرت مناقشتها على صفحات الجرائد. أما المحافظون فقد عزوا متاعب الدولة إلى التنظيمات والعلمانية ونفوذ الأجانب، وتدخلهم في شؤون الدولة ومساواة غير المسلمين بالمسلمين، مما أدى إلى انتعاش إسلامي كان من نتيجته التضييق على المنصرين وطرد المعلمين والخبراء الأجانب، والتضييق على المدارس الأجنبية. وجرى الاعتداء على الأجانب في الشوارع لأول مرة منذ عهد سليم الثالث واشتدت

(١) انظر سيرة مدحت باشا بقلم ابنه علي حيدر في الكتاب التالي:
Midhat, Ali Haydar, The life of Midhat, London 1903.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٢٩.

المطالبة بإلغاء الامتيازات الأجنبية والوضع الذي كان يتمتع به الأجانب. وفي الوقت الذي اضمحلت فيه جملة التنظيمات جاءت أحداث البلقان لتذكي الاتجاه الإسلامي(١).

وإزاء تردي الأوضاع في البلاد، أقال السلطان الصدر الأعظم محمود نديم باشا، وعين بدلًا منه مدحت باشا في أغسطس عام (١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م) صدراً أعظم. ولكنه أعفي من منصبه بعد شهرين ونصف لاختلافه مع السلطان في الرأي والفكر. وأسندت إلى مدحت باشا عدة مناصب وزارية لم يكن يستمر فيها طويلًا(٢).

وفي أثناء ذلك كان مدحت باشا وزملاؤه من أحرار الأتراك قد أقر رأيهم على ضرورة وضع حد للأزمة الاقتصادية ووضع حد لسلطة السلطان عبد العزيز المطلقة، وذلك لوضع دستور يحد من سلطة السلطان، كما أن الدستور يعمل على منع انهيار الدولة وتدهورها.

ويبدو أن العمل في وضع الدستور قد بدأ على الفور بعد أن انضم مدحت باشا عام (١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م) إلى وزارة رشدي باشا. وقد جاء الدستور مشابهاً للدستور البلجيكي الصادر عام (١٢٤٧هـ / ١٨٣١م)، وكان مدحت باشا ومعه مجموعة من كبار موظفي الحكومة ويساعدهم ضباط الجيش قد قاموا في ٣٠ مايو ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ) بخلع السلطان عبد العزيز وعزله بانقلاب أبيض عززته فتوى شيخ الإسلام. وولى الثائرون السلطان مراد الخامس الذي كان على علاقة بأعضاء تركيا الفتاة ويميل إلى إعلان الدستور(٣).

وكان السلطان مراد الخامس على جانب كبير من الذكاء والثقافة

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٣٠.

(٢) السيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ص ٥٠.

(٣) Lewis, B., op. Cit., P.160.

التركية والغربية، كما أبدى اهتماماً بالأدب والعلوم والشؤون الأوروبية. وزار أوروبا والتقى ببعض الأوروبيين، وانخرط في سلك الماسونية، وكان على اتصال بنامق كمال أحد أعضاء الحركة وغيره. ويبدو أنه كان ميالًا إلى الدستور والليبرالية والعلمانية. وكانت هذه الاتصالات معروفة لدى أخيه عبد الحميد وعمه السلطان عبد العزيز الذي حدد حريته في أواخر عهده مما جعل مراد يسرف في شرب الخمر كما أن تأكيده على تساوي المسلمين بالنصارى قد نفر منه بعض العثمانيين المحافظين[١].

ويبدو أن هذه الأمور قد أثرت على السلطان مراد مما أدى إلى اختلال قواه العقلية بعد توليه الحكم، وخاصة بعد انتحار عمه السلطان عبد العزيز ومقتل عدد من الوزراء على يد الأمير يوسف عز الدين ابن عبد العزيز. وإزاء ذلك، قرر مدحت باشا والوزراء عزل السلطان مراد الخامس على أساس اختلال قواه العقلية. وفي ٣١ أغسطس عزل مراد وعين أخوه عبدالحميد سلطاناً باسم عبد الحميد الثاني، وذلك بعد أن قبل فكرة الحكم الدستوري[٢].

إعلان الدستور:

عين السلطان عبد الحميد الثاني مدحت باشا صدراً أعظم، ثم أعلن في ٢٣ ديسمبر (١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م) الدستور الذي يضمن الحريات المدنية وينص على مبدأ الحكومة البرلمانية. وبموجب هذا الدستور، كان البرلمان يتكون من مجلسين: مجلس النواب أو المبعوثان ثم مجلس الأعيان أو الشيوخ[٣].

غير أنه سرعان ما عزل السلطان عبد الحميد مدحت باشا في ٥

(١) Lewis, B, op. Cit., P.159.

(٢) Ibid.

(٣) Lenzowski, G., The Middle Eest in World Affairs, P.26.

فبراير عام ١٨٧٧م (١٢٩٤هـ)، وأمر بنفيه خارج البلاد. وقد برر السلطان عمله هذا استناداً إلى الدستور الجديد، وقد تم ذلك في وقت تعرض فيه مدحت لهجوم من المحافظين الأتراك ومن أحرار الأتراك المنادين بالدستور فلم تحدث ردود فعل إزاء عزله[1].

وقد نص الدستور على فصل السلطات من حيث الشكل لا المضمون، كما أن التغييرات التي طرأت على نظام الحكم طبقاً له كانت من قبيل التطور، فلم يفكر أحد في تقليص حق السلطان في السيادة، كما نص الدستور على أن شخص السلطان مصونة لا تمس، وأنه لا يسأل أمام أحد عن أعماله، ومن ثم كان الدستور مرتهناً بشخصه[2]. فله وحده حق تعيين وإقالة الوزراء، كما أنه هو الذي يعقد المعاهدات ويعلن الحرب ومعاهدات الصلح، وهو القائد العام للقوات المسلحة. ومن حقه كذلك إصدار كافة القوانين في شتى المجالات دون الرجوع إلى البرلمان. وهكذا ظل السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ / ١٨٧٦-١٩٠٩م) يتمتع بالسلطة التي سبق لأسلافه أن تمتعوا بها، بحيث إن مدحت ذاته كان أول الضحايا. كما أن الصلاحيات الواسعة التي منحها الدستور للسلطان حدت من سلطة رئيس الوزراء بحيث لم يتح له أن يلعب سوى دور ثانوي في تسيير دفة الحكم[3].

ونص الدستور على حرية أعضاء البرلمان في إبداء آرائهم وفي التصويت، وكان لا يمكن محاكمتهم إلا إذا تجاوزوا حدود قوانين المجلس. وحدد الدستور اللغة التركية العثمانية باعتبارها اللغة الرسمية

---

(١) Miller, W. op. Cit., P.368.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٣٤.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٣٤.

للدولة التي يجري بها الحديث في كل الجلسات، كما نص على أن يكون التصويت سرياً أو علنياً بحسب الظروف، وعلى أن يقر مجلس النواب الميزانية دون تدخل من جانب السلطان بعكس الحال فيما يتعلق بالقوانين العادية[١].

وأما بالنسبة لحقوق الأفراد فقد أعلن الدستور أن العثمنة هي السياسة الرسمية للدولة في إطار مبدأ المساواة الذي نصت عليه التنظيمات فقد خلع الدستور صفة العثمانيين على كل رعايا الدولة أيّاً كان دينهم، ونص على تمتعهم بالحرية الشخصية، وعلى تساوي كل العثمانيين أمام القانون وعلى منحهم نفس الحقوق مع إلزامهم بنفس الواجبات. ونص الدستور كذلك على استقلال القضاء وأبقى على المحاكم الشرعية على أن يلجأ غير المسلمين لمحاكم الملل في المسائل المتعلقة بشؤونهم الدينية[٢].

وقد أمر السلطان عبد الحميد بأن يوضع الدستور موضع التنفيذ، وبأن تجري انتخابات عامة، كانت الأولى من نوعها في التاريخ العثماني. وقد اشترك في هذه الانتخابات أهالي الولايات العربية.

ونظراً للصعوبات التي كانت تواجهها الدولة بسبب أحداث البلقان قرر مدحت ألا تكون الانتخابات مباشرة، بل أن يجري انتخاب النواب على أيدي مجالس الولايات والمحافظات، وعلى أن يقرر الباب العالي مبعوثي كل محافظة بحسب عدد السكان وأن يقرر حاكم كل ولاية نسبة المسلمين إلى غير المسلين. وحين تم ذلك جرى تمثيل المسلمين (٧١ مقعداً) والنصارى (٤٤ مقعداً) واليهود (٤ مقاعد)[٣].

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٣٥.

(٢) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص ٩٩.

(٣) نفس المرجع، ص ١٠٠.

اجتمع أول برلمان عثماني في ٢٩ مارس ١٨٧٧م (١٢٩٤هـ)، وكان مجلس الأعيان والشيوخ يتكون من ٢٦ عضواً بالتعيين من بينهم ٢١ مسلماً، في حين كان مجلس النواب يتكون من مائة وعشرين عضواً. وقد قام بعض النواب العرب بدور هام خلال المناقشات. غير أن مجلس المبعوثان لم يعمر طويلًا. فقبل أن يتم المجلس دورة انعقاده الثانية، طلب النواب في ١٣ فبراير عام ١٨٧٨م (١٢٩٦هـ) أن يمثل ثلاثة من الوزراء أمام المجلس للدفاع عن أنفسهم من الاتهامات الموجهة إليهم، فما كان من السلطان عبد الحميد إلا أن عطل المجس وأمر بعودة النواب إلى بلادهم، وقام بنفي وإبعاد البارزين منهم[١].

وبذلك بلغت مدة انعقاد المجلس خلال دورته الأولى والثانية عشرة شهور وخمسة وعشرين يوماً ولم يدع هذا المجلس للاجتماع ثانية لمدة ثلاثين عاماً، لم تفتح خلالها قاعة المجلس ولا مرة واحدة[٢].

ومن الجدير بالذكر أن بعض الدول الأوروبية قد ساهمت بطريق غير مباشر في تعطيل البرلمان. ففي ٢٤ إبريل عام ١٨٧٧م (١٢٩٥هـ) أعلنت روسيا الحرب على تركيا، ودخلت القوات الروسية في هذا اليوم نفسه حدود تركيا الأوروبية الآسيوية، وتوالت الهزائم بالقوات العثمانية حتى انتهت الحرب بتوقيع معاهدة سان استفانو في مارس ١٨٧٨م (١٢٩٦هـ). وقبل التوقيع على هذه المعاهدة، قام السلطان بتعطيل مجلس المبعوثان وايقاف الحياة الدستورية[٣]

وهكذا مهد السلطان عبد الحميد الطريق لكي يحكم البلاد حكماً

---

(١) Lewis, W. op. Cit., PP.164 - 165.

(٢) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) Miller, W. op. Cit., PP.373 - 377.

مطلقاً، فأبعد الكتاب والصحفيين عن العاصمة، وقاوم كافة الاتجاهات المتحررة في ولايات الدولة عن طريق بث عيون له في كل مكان، وعن طريق استغلال فكرة الجامعة الإسلامية، وإيجاد مجتمع ديني يعلو على القوميات عن طريق الاهتمام بالمؤسسات الدينية والعلمية وبذل الأموال الكثيرة لإصلاح الحرمين الشريفين وزخرفة المساجد(١).

وبدأت في التاريخ العثماني حقبة هامة هي فترة حكم السلطان عبد المجيد الذي اتهمه الغرب بالحاكم المستبد، والواقع أن الذي دفعه إلى ذلك هو رفض التنظيمات والعودة إلى نظام الحكم وفق التعاليم الإسلامية لمنع التدخل الأوروبي في شؤون الدولة والذي سبب كل الأزمات للدولة. وحقيقة أن السلطان عبد الحميد وافق على الدستور مضطراً لمواجهة الدبلوماسية الأوروبية، ثم ما لبث أن أوقف الحياة النيابية ليطبق الشريعة الإسلامية. ولما شعر بالتآمر عليه، أخذ يتعقب الشباب الأحرار ودعاة الدستور، ومنهم مدحت باشا ونامق كمال وغيرهم وشرّدهم(٢).

---

(١) ساطع الحصري، المرجع السابق، ص ١٠٠ ـــ ١٠٢.

(٢) Ramsaur, E.E., op. Cit., PP.24 - 25.

الفصل الثامن

عهد السلطان عبد الحميد
١٢٩٣ ـ ١٣٢٦ هـ (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م)

مولده ونشأته:

ولد السلطان عبد الحميد الثاني يوم الأربعاء في ٢١ سبتمبر (أيلول) عام ١٨٤٢ م، وهو ابن السلطان عبد المجيد من زوجته الثانية، فقد أمه ولم يتجاوز عمره سبع سنوات، تعلم اللغتين العربية والفارسية ودرس كثيراً من الكتب الأدبية على أساتذة متخصصين[1].

بويع بالخلافة بعد أخيه مراد، يوم الخميس ١١ شعبان ١٢٩٣ هـ/٣١ أغسطس ١٨٧٦ م. وكان عمره آنذاك أربعاً وثلاثين سنة، وحضر لمبايعته الوزراء والأعيان وكبار الموظفين من مدنيين وعسكريين في سراي طوبقبو. وهنأه بالخلافة كذلك رؤساء الطوائف المختلفة، وأطلقت المدافع بسائر أطراف السلطنة احتفالاً بهذه المناسبة، وأقيمت الزينات بجميع جهات استانبول ثلاثة أيام وأرسل الصدر الأعظم برقيات إلى دول العالم لإعلامها بذلك، وبعد أسبوع تقلد الخليفة السيف بجامع الصحابي أبي أيوب الأنصاري قلده إياه نقيب الأشراف بحضور شيخ الإسلام

(١) مذكرت السلطان عبد الحميد الثاني، حـ ١٢، بيروت ١٩٧٩، ص ١١.

والوكلاء كالمعتاد ثم عاد في موكب حافل مثلما جاء[1].

تولى الخلافة في وقت كانت الدولة غارقة في الديون التي بلغت أكثر من ٢,٥ مليار ليرة عثمانية، وكان عليه أن يقوم بعمل ما لمواجهة الموقف أمام تحديات الدول الأجنبية فاستقدم عدداً من الخبراء الماليين الأوروبيين لحل هذه الأزمة.

ويعتبر عبد الحميد أعظم سلاطين الدولة العثمانية في عصر الانحطاط، ولا شك أنه قام بأعمال وخدمات جليلة للدولة العثمانية في مجالات متعددة من أجل أن ينقذ الدولة من الانهيار والانحطاط، إلا أن الظروف والتآمر الدولي والصهيوني والقومي حالت دون ذلك، وأدت إلى الإطاحة بحكمه[2].

أعماله الداخلية والإصلاحات:

يطلق على القرن التاسع عشر الميلادي من تاريخ الدولة العثمانية، عهد الإصلاح العثماني، حيث إن الدولة قد سارت في طريق إصلاح مؤسساتها العسكرية والمدنية على النمط الأوروبي الحديث من أجل الحفاظ على تماسك الدولة وخوفاً من انهيارها، وفي محاولة من الدولة العثمانية لإقناع الدول الأوربية أن الدولة العثمانية تسير قدماً في طريق الإصلاح وتحسين أحوال الرعايا النصارى حتى تكف هذه الدول عن التدخل في شؤون الدولة بحجة حماية رعاياها[3].

وجاء في بيانات الإصلاح إقرار امتيازات الطوائف غير الإسلامية، وإعلان المساواة في المعاملة بين جميع الطوائف ومنع استعمال الألفاظ

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٣٥٦.
(٢) مذكرت السلطان عبد الحميد الثاني، ص ١١.
(٣) Miller, William, op.Cit., P.298.

التي تحط من قيمة أهل الذمة وتأمين الحرية الدينية لكل طائفة، وكذلك فتح المجال لكافة رعايا الدولة في الوظائف واستفادتهم من خدمات الدولة التعليمية، كما وعدت التنظيمات كذلك السماح للأجانب بالتملك في الدولة العثمانية، وتنظيم ميزانية الدولة عن طريق التقيد بتنظيم إيرادات ومصروفات الدولة وتسجيلها بدقة في سجلات خاصة(1).

ورغم استمرار الإصلاحات والتغييرات طيلة عهد عبد الحميد، فإنها اختلفت في نواح كثيرة عما كانت عليه في السابق. فهي من ناحية كانت ثمرة تغيير استمرت طيلة ما مضى من القرن التاسع عشر، كما كانت بمثابة رد فعل لهذه التغييرات. ورغم استمرار الإصلاحات إلا أن عهد عبد الحميد كان يتميز بعداء الغرب وبالحكم الاستبدادي. ولكن هذا الاستبداد وهذه المركزية كانا من مستلزمات المحافظة على وحدة الإمبراطورية وبقائها، كما أنهما لم يكونا بالشيء الجديد بعد أن أزاحت حركة التنظيمات الخيرية العوائق التي كانت تحد من استبداد السلاطين، ولكنهما يتميزان في عهد عبد الحميد بأنهما لقيا استجابة من جانب مسلمي الدولة الذين كانوا ينزعون إلى الحفاظ على الإمبراطورية وعلى الإسلام في وجه التحديات الأوروبية(2).

فرغم أن السلطان عبد الحميد وعد في بداية حكمه بإقامة الحياة الدستورية، فإن الظروف التي أحاطت بتوليه العرش، وعدم ثقته في نزاهة وكفاءة ساسة الباب العالي والأزمات الداخلية والخارجية التي ألمت بالدولة، مما دفعه إلى تركيز السلطة في يديه بالتدريج وطبع الإدارة بطابع الحكم المطلق(3).

---

(1) Miller, William, op. Cit., P.298.

(2) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٤٠ ــ ٢٤١.

(3) نفس المرجع، ص ٢٤٢.

على أن عبد الحميد لم يكن معادياً لأي إصلاح لا يهدد سلطته. وهو لا يريد من الغرب الحضارة لأنه كان يرى أن للشرق حضارته الإسلامية الخاصة، إنما كان يريد (ما يهم فقط) من العلوم الحديثة بالتدريج. فالإسلام - في رأيه - لم يكن ضد التقدم، ولكنه كان يعتقد أن الأمور القيمة يجب أن تكون طبيعية وأن تأتي من الداخل وحسب الحاجة إليها، ولا يمكن أن يكتب لها النجاح إذا كانت على شكل تطعيم من الخارج[1].

عمل السلطان عبد الحميد على تطبيق المركزية الإدارية على جميع ولايات الدولة المختلفة. وبموجب ذلك أصبح الوالي موظفاً من قبل السلطان مع تقييد صلاحيات الوالي العسكرية والمالية. وتم تقسيم الولايات إلى سنجقيات (متصرفيات) والمتصرفية إلى أقضية، والقضاء إلى نواحي، والناحية هي الوحدة الإدارية الصغرى. ويحكم الولاية والي يساعده مجلس الولاية المحلي، والمتصرفية (متصرف) والقضاء (مدير أو قائمقام) والناحية (مختار)[2].

وفي عام (١٢٩٩هـ / ١٨٨١م)، ونتيجة لازدياد أهمية بيت المقدس، أنشأ الباب العالي سنجقية منفصلة وهي سنجقية بيت المقدس تابعة للباب العالي مباشرة[3].

أما السلطة العسكرية فقد فصلت عن السلطة المدنية. وكان التجنيد يتم بطريق القرعة على المكلفين بالخدمة العسكرية، إلا أن المكلفين كانوا يثورون على السلطة عندما تحاول إجراء القرعة في بعض المناطق. كما استقدم السلطان عبد الحميد خبراء عسكريين ألمان

(١) د/ محمد حرب عبد الحميد، في تقديمه لمذكرات السلطان عبد الحميد، ص ١٠ .
(٢) يوسف الحكيم، سوريا والعهد العثماني، حـ ١، بيروت ١٩٦٤، ص ٢٧.
(٣) نفس المرجع.

لتدريب الجيش العثماني، وأرسل بعثات عسكرية إلى ألمانيا، كما افتتح المدارس الإعدادية والعسكرية وجهز الجيش بالأسلحة الحديثة[1] ولعل ذلك يدحض آراء المفترين والحاقدين من أعداء الإسلام ويبرئ ساحة السلطان عبد الحميد من التهم التي ألصقت به من أنه رجعي ولا يحب التطوير والإصلاح.

أما السلطة القضائية فقد امتدت إليها يد الإصلاح، وانفصلت أيضاً عن السلطة التنفيذية والسلطة العسكرية. وبموجب الإصلاح انتشرت المحاكم المدنية في عام (١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م)، وكانت المحاكم العدلية على ثلاث درجات ابتدائية واستئنائية ومحكمة التمييز (النقض) في العاصمة. وقد أخذت التنظيمات العدلية عن القوانين الفرنسية. وقد بقي قانون الأحوال الشخصية خاضعاً لأحكام الشريعة الإسلامية، وكذلك التنظيمات الروحانية بالنسبة للطوائف الدينية الأخرى. وبهذا يكون قد تم ربط السلطات السياسية والعسكرية والقضائية والتنفيذية، وهو ما كانت تهدف إليه حركة الإصلاح من مركزية الإدارة[2].

وهكذا أفاد عبد الحميد من الغرب بطريقته الخاصة وبحسب حاجات الدولة كما كان يراها فقد أنشأ كلية للعلوم وكليات الآداب والحقوق والعلوم السياسية وأكاديمية الفنون الجميلة ومدارس عليا للتجارة والزراعة والبيطرة والغابات والتعدين والتجارة البحرية والمعلمين العليا ومدارس متوسطة وابتدائية وثانوية عليا، ومدرسة الفنون النسوية وكذلك مدارس للصم والبكم والعمي، كما أقام مدارس عليا في دمشق وبغداد وبيروت وسالونيك وقونيه وغيرها وأوفد البعثات العلمية إلى كل من فرنسا وألمانيا. وإلى جانب التعليم العام أنشأ مؤسسة حديثة للمياه

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ص ١٤.
(٢) يوسف الحكيم، المرجع السابق، ص ٣٣ ــ ٣٥.

وغرفاً للصناعة والزراعة والتجارة، كما أقام البلديات ومد خطوط البرق وأنشأ إدارة للبريد ومد السكك الحديدية وأدخل الترام واهتم بتعزيز المواقع العسكرية في منطقة الدردنيل. وكذلك أنشأ مستشفى للأطباء ودار العجزة، ودار الفنون، ودار النفوس العامة ومعمل الخزف وكذلك سكة حديد الحجاز[1].

ورغم التطور الثقافي الذي شهده عصر عبد الحميد، فإنه أنشأ قسماً للرقابة في وزارة المعارف مهمته تطبيق قوانين الصحافة والمطبوعات على المدارس ومطبوعات الوزارة. وقد امتلأت مناهج المدارس بالفقه الإسلامي والتعاليم المدرسية وتفسير القرآن والأخلاق، اعتقاداً من عبد الحميد بأن المسلمين الحقيقيين لا يمكن أن يصبحوا ثوريين خطرين. ومع ذلك فإن سيل المطبوعات كان أقوى من الرقابة. فقد كان يعدل اسم الكتب والصحف التي تصادر بحيث كانت تصدر من جديد. كما أن صحف أخرى كانت تصدر في الخارج وترسل بالبريد الأجنبي إلى الداخل. وكانت النتيجة صدور سيل من القصص والمقالات والكتب، كانت من التنوع بحيث إن حكم عبد الحميد كان من أخصب الفترات الثقافية في التاريخ العثماني[2].

تمردات وثورات في البلقان:

كانت الثورة قد اشتعلت في بلاد الهرسك عام (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م) بتحريض من سكان الجبل الأسود والصرب غير أن الثورة قد أخمدت، ورغب السلطان في منع الدول الأوروبية من التدخل، فأصدر قراراً بفصل القضاء عن السلطة التنفيذية، وتعيين القضاة بالانتخاب عن طريق

(١) مذكرت السلطان عبد الحميد الثاني، ص ١٤.

(٢) نفس المرجع.

الأهالي، والمساواة في الضرائب بين المسلمين والنصارى... ولم يرض ذلك السكان، فعادوا إلى الثورة التي قمعت أيضاً، ولكن النمسا التي كانت وراء الثورة وترغب في ضم البوسنة والهرسك إليها استمرت في تحريض السكان ضد الدولة العثمانية، فعملت النمسا مع روسيا وألمانيا وفرنسا وانجلترا على الطلب من السلطان بالقيام بإصلاحات فوافق عليها السلطان، ولكن نصارى البوسنة لم يقبلوا بذلك. وهذا يدل على المطالبة بالإصلاحات ليست سوى مبررات واهية، وحقيقة الأمر أنهم يريدون التدخل في شؤون الدولة بشكل مباشر وغير مباشر لإضعافها والإطاحة بها[1].

وكما قامت ثورة البلغار في نفس الوقت الذي قام فيه نصارى البوسنة والهرسك بثورتهم بدعم من النمسا والدول الأوروبية وخاصة روسيا، فقد تأسست جمعيات في بلاد البلغار لنشر النفوذ الروسي بين النصارى الأرثوذكس والصقالبة، وكانت تدعمها روسيا وتمدها بالسلاح، وتبذل هذه الجمعيات بدورها جهدها لإثارة سكان الصرب والبوسنة والهرسك، وتحرضهم على الثورة ضد العثمانيين. وعندما أنزلت الدولة العثمانية بعض الأسر الشركسية احتج البلغار على ذلك، فقاموا بثورة وساعدتهم روسيا والنمسا بالسلاح والأموال. فتمكنت الدولة العثمانية من القضاء على الثورة، فأخذت الدول الأوروبية تثير الشائعات عن المجازر التي ارتكبها العثمانيون ضد النصارى والعكس هو الصحيح. وبهذه الشائعات أثير الرأي العام الأوروبي ضد الدولة العثمانية، وطالب الحكومات الأوروبية باتخاذ إجراءات صارمة ضد العثمانيين ومنها حصول البلغار على استقلال ذاتي وتعيين حاكم نصراني لهم[2].

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٣٥٦.

(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٨٩.

وكذلك شجعت روسيا والنمسا وألمانيا الصرب والجبل الأسود للقيام بحرب ضد العثمانيين، إذ كانت روسيا تريد توسعة حدودها من جهة بلغاريا، والنمسا تريد توسعة حدودها من جهة البوسنة والهرسك، ووعدت هذه الدولة أمير الصرب والجبل الأسود بالدعم. وبدأت الجنود الروسية تتدفق سراً على بلاد الصرب، والجبل الأسود، وتمكنت الدولة العثمانية من الانتصار على الصرب وحلفائهم، فتدخلت الدول الأوروبية وطلبت وقف القتال وإلا فالحرب الواسعة[١].

واجتمع مندوبو الدول الأوروبية في استانبول وقدموا اقتراحات للدولة من أهمها: تقسيم بلاد البلغار إلى ولايتين ويكون ولاتها من النصارى، وألا تحتل جنود الدولة العثمانية سوى القلاع وبعض المدن الكبرى، وأن تشكل الشرطة البلغارية من النصارى، وأن تشكل لجنة دولية لتنفيذ القرارات، وأن تعطى هذه الامتيازات لإمارتي البوسنة والهرسك أيضاً، وأن تتنازل الدولة عن بعض الأراضي للصرب والجبل الأسود. ولكن الدولة العثمانية رفضت هذه القرارات، وعقدت صلحاً منفرداً مع الصرب سحبت نتيجته جيوشها من بلاد الصرب، وأن يرفع العلم العثماني والصربي دليلًا على السيادة العثمانية[٢].

الحرب الروسية العثمانية:

كانت روسيا تطمع في السيطرة على بلغاريا، ولكنها كانت تخشى معارضة الدول الأوروبية لها، فحاولت بالاتفاق مع انجلترا تقديم طلبات للدولة العثمانية على غرار المطالب السابقة التي قدمت للدول عام ١٨٧٧ م/١٢٩٤ هـ، وهي تطالب بتحسين أحوال النصارى في الدولة

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٤٢.
(٢) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق حـ ١، ص ٢٣١.

العثمانية وغيرها، فرفضت الدولة العثمانية ذلك[1].

غير أن روسيا قد وقعت اتفاقاً سرياً مع رومانيا (الأفلاق والبغدان) وضعت رومانيا بموجبه جميع إمكاناتها تحت تصرف روسيا، ثم قطعت روسيا العلاقات السياسية مع الدولة العثمانية، وأعلنت الحرب عليها بناء على رفض الباب العالي للمطالب الأوروبية فقامت الجيوش الروسية باحتلال رومانيا واخترقت نهر الدانوب، وانتصرت على العثمانيين في عدة معارك، ثم توقفت بعد المقاومة، وانقلب وضع الجيوش العثمانية من الدفاع إلى الهجوم، ثم تمكن الروس بعد ذلك من تحقيق النصر، واضطر القائد العثماني عثمان باشا إلى الاستسلام[2].

أما في شرقي الأناضول فقد جرت عدة معارك بين الطرفين (روسيا وتركيا) وحقق العثمانيون انتصاراً في بادئ الأمر، غير أن مجيء إمدادات عسكرية إلى روسيا، قامت بهجوم عسكري ثاني فسقطت بعض المدن مثل قارص وغيرها بيد الروس، مما شجع الصرب على إعلان الحرب ضد الدولة العثمانية. وتمكنت روسيا من احتلال بلغاريا وأدرنة وانطلقوا نحو استانبول وانقض النصارى على المسلمين يفتكون بهم ذبحاً وقتلًا، وتوقف القتال في مطلع عام (١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)[3].

وإزاء هذه التطورات، تدخلت بريطانيا لمنع روسيا من احتلال استانبول حتى لا تصل روسيا إلى مياه البحر المتوسط الدافئة عبر مضيقي البسفور والدردنيل. وعقدت بين روسيا والدولة العثمانية معاهدة سان ستفانو (١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)[4].

---

(١) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٣٧٠.
(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٤٥.
(٣) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٤) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٥١٥.

معاهدة سان ستفانو ١٥ فبراير ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ)

التقى مندوبو الدولة العثمانية ومندوبو روسيا في بلدة قرب استانبول على بحر مرمرة تسمى سان استفانوس، وذلك بعد محادثات تقدم فيها الروس قليلًا عن خط وقف إطلاق النار الذي اتفق عليه ونقل أيضاً مركز المحادثات من أدرنة إلى هذه القرية.

قدم المندوب الروسي شروطاً مسبقة، وطلب التوقيع عليها مباشرة وإلا تتقدم الجيوش الروسية وتحتل استانبول، ولم يكن للعثمانيين من خيار سوى التوقيع. وتنص المعاهدة على:

١ ـ تعيين حدود للجبل الأسود لإنهاء النزاع، وتحصل هذه الإمارة على الاستقلال.

٢ ـ تستقل إمارة الصرب وتضاف إليها أراض جديدة.

٣ ـ تستقل بلغاريا استقلالًا ذاتياً إدارياً، وتدفع مبلغاً محدداً إلى الدولة العثمانية ويكون موظفو الدولة والجند من النصارى فقط. وتعيين الحدود بمعرفة العثمانيين والروس. وينتخب الأمير من قبل السكان. ويخلي العثمانيون جنودهم نهائياً من بلغاريا.

٤ ـ تحصل دولة رومانيا على استقلالها التام.

٥ ـ يتعهد الباب العالي بحماية الأرمن النصارى من الأكراد والشركس.

٦ ـ يقوم الباب العالي بإصلاح أوضاع النصارى في جزيرة كريت.

٧ ـ تدفع الدولة العثمانية غرامة حربية قدرها ٢٤٥ مليون ليرة ذهبية، ويمكن لروسيا أن تتسلم أراضي مقابل هذا المبلغ.

٨ ـ تبقى المضائق (البسفور والدردنيل) مفتوحة للسفن الروسية في السلم والحرب.

٩ ـ يمكن للمسلمين في بلغاريا أن يهاجروا إلى حيث يريدون من أجزاء الدولة العثمانية[١].

وهكذا جرى تفتيت أملاك الدولة في أوروبا، وإن يكن تكبير بلغاريا قد أثار سخط الدول البلقانية الأخرى: النمسا، اليونان، والصرب. كما استاءت بريطانيا لازدياد النفوذ الروسي في البلقان واستعدت لمحاربة روسيا وحصلت من الدولة العثمانية على حق احتلال جزيرة قبرص (يونيو ١٨٧٨) وإدارتها على أن تبقى تابعة للدولة العثمانية، وذلك في مقابل تعهدها بالدفاع عن أملاك الدولة في آسيا في وجه أي مزيد من التهديدات الروسية، بشرط أن يتعهد السلطان من جانبه بإدخال الإصلاحات اللازمة في أملاكه الآسيوية بالتشاور مع بريطانيا، وقد تعهدت بريطانيا بالجلاء عن قبرص في حالة جلاء الروس عن المناطق التي احتلوها في آسيا[٢].

ولعل إقدام بريطانيا على هذا الإجراء كان بدافع الحرص على مصالحها في الهند ومنع الدول الأوروبية وخاصة روسيا من تحقيق أطماعها في هذه القارة، علاوة على أن بريطانيا كانت تنظر بحذر إلى تحركات الدول الأوروبية وأطماعها. فروسيا كانت تريد احتلال المضائق (البسفور والدردنيل) والوصول إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط، أما النمسا فكانت تريد السيطرة على بلاد البوسنة والهرسك، وأما ألمانيا وإيطاليا فلم تكن لهما مصالح تذكر، وكذلك فرنسا وقفت على الحياد[٣].

---

(١) Monroe, E. Britains Moment in the Middle East, PP. 14 - 15.

(٢) Monroe, E. op. Cit., PP.14 - 15.

(٣) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٣٧١.

مؤتمر برلين (١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م):

دعت النمسا إلى عقد مؤتمر في برلين، ولبت الدعوة جميع الدول الأوربية الكبرى (انجلترا، فرنسا، روسيا، ألمانيا والنمسا)، وجرى البحث في هذا المؤتمر تعديل معاهدة سان ستفانو التي عقدت بين روسيا والدولة العثمانية، وذلك لمعارضة الدول المعنية لهذه المعاهدة لأنها لا تتفق مع مصالحها الاستراتيجية.. واتفق المؤتمرون على تعديل معاهدة سان استيفانو وعقدت معاهدة برلين والتي تناولت الشروط التالية:

١ ـ استقلال بلغاريا وتعديل في حدودها، وتتشكل في جنوب البلقان ولاية باسم الروملل الشرقي تكون تحت سيادة الدولة العثمانية سياسياً وعسكرياً، ويحكمها نصراني، يعين لمدة خمس سنوات باتفاق الدول. وتبقى قوة لروسيا في بلغاريا والروميللي الشرقي وتحدد بخمسين ألف جندي.

٢ ـ تقدمت حدود اليونان قليلًا إلى الشمال مع العلم بأن اليونان لم تدخل في موضوع القتال، ولم تشمل معاهدة سان استفانو أي جزء منها.

٣ ـ ضم البوسنة والهرسك للنمسا.

٤ ـ ضم بسارابيا إلى روسيا بعد اقتلاعها من رومانيا، وتضم مقاطعة دوبرجيه وبعض الجزر إلى رومانيا ومنحها الاستقلال التام.

٥ ـ استقلال الصرب والجبل الأسود.

٦ ـ ضم مدن قارص وردهان وباطوم لروسيا.

٧ ـ قرر المؤتمر الإبقاء على الغرامة الحربية التي قررتها معاهدة سان استفانو على الدولة العثمانية ومقدارها ٢,٥ مليار ليرة ذهبية.

٨ ـ تعهد الباب العالي بأن يقبل بلا تمييز في الدين شهادة جميع رعاياه أمام المحاكم.

٩ ـ الموافقة على تحسين أوضاع النصارى في جزيرة كريت[١].

وكان المستشار الألماني بسمارك هو الذي دعا إلى عقد المؤتمر خشية أن يؤدي تصدي بريطانيا لروسيا إلى نشوب حرب أوروبية عامة وتهديد الاتحاد الألماني الذي جاهد كثيراً من أجل قيامه، فإنه دعا الدول العظمى إلى المؤتمر في برلين لمراجعة صلح سان ستيفانو وتسوية نتائج الحرب التركية الروسية. واشتركت الدول العظمى في المؤتمر، وفي كواليس المؤتمر عرض بسمارك تقسيم الإمبراطورية العثمانية على مذبح السلام الأوروبي، فعرض على بريطانيا مصر وعلى فرنسا تونس والشام وعلى النمسا البوسنة والهرسك وعلى روسيا البوغازين (البسفور والدردنيل) وغير ذلك من أملاك السلطان. غير أن هذه العروض لم تدرج في مقررات المؤتمر[٢].

وهكذا فإن مؤتمر برلين من المعالم البارزة لتدهور الإمبراطورية العثمانية التي أرغمت على التنازل عن مساحات واسعة من أملاكها. كما أنه يسجل تعهد بريطانيا وفرنسا بالمحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية. غير أن بريطانيا وفرنسا قد كشفتا عن نواياهما الاستعمارية، فقد احتلت فرنسا تونس في عام (١٢٩٩هـ / ١٨٨١م) نظير احتلال بريطانيا لقبرص واحتلت بريطانيا مصر عام (١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م) معلنة أن احتلالها مؤقت. وفي عام (١٢٩٩هـ / ١٨٨١م) حصلت اليونان على

---

(١) عن مؤتمر برلين راجع Safwat. M.M. Tunis and the Great Power, Medticatt. W.N, The Berlin Congress and after وانظر كذلك أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦ ـ ١٨٨٢. القاهرة ١٩٧٢م إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ٣٧١.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٤٦.

بعض أراضي الدولة بما في ذلك تساليا، وفي عام (١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م) ضحت بلغاريا المحققة بالحكم الذاتي منطقة الروميللي. وأدرك السلطان عبد الحميد أنه لا يستطيع الوقوف بمفرده بل آثر الإفادة من التنافس الناشب بينها والإيقاع بين كل منها والأخرى. فهو شديد الخوف من تدخل الدول الأوروبية، حريص على الاحتفاظ بما في يديه من أملاك، قلق من أن يؤدي نشوب الثورة من جانب بعض الأقليات إلى ثورات أخرى قد تساندها الدول الأوروبية[١]. وهكذا حصلت كل دولة أوروبية على ما تريد من الدولة العثمانية في تلك المرحلة، وكان ذلك إيذاناً بتدهور الدولة العثمانية.

ولمواجهة هذه الأوضاع المتردية كان عليه أن يحكم حكماً مطلقاً، ويتخذ لقب الخلافة لمواجهة التحديات الجديدة، وعمل على إنشاء الجامعة الإسلامية لكي يعمل على تكتل كافة المسلمين من حوله في الداخل وفي الخارج[٢].

ولا شك أن حركة الجامعة الإسلامية قد لاقت استحساناً وقبولاً لدى المسلمين الذين اعتقدوا أن ضعف الدولة العثمانية مرجعه ضعف الشعور الديني عند المسلمين، الأمر الذي دفع فيه أعداء الإسلام للزحف على دار الإسلام ونهبها بلداً تلو الآخر. على أن حركة الجامعة الإسلامية قد امتدت لتشمل العالم الإسلامي غير العثماني. فقد تطلع المسلمون في كل مكان إلى أن يعلن الخليفة الجهاد ليقوموا بمحاربة الكفار، فالأتراك يتطلعون لمحاربة روسيا ومسلمو الهند يميلون إلى إعلان الجهاد ضد بريطانيا، وساهم العرب في هذه الحركة لمقاومة الزحف الاستعماري على بلادهم في تونس وشمال إفريقيا.

---

(١) مذكرت السلطان عبد الحميد الثاني، ص ٦٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٦٧.

وهكذا أصبحت الجامعة الإسلامية سلاحاً لمواجهة الاستعمار الغربي والحركات النصرانية والقومية التي تهدد الإمبراطورية العثمانية. وقد نجح السلطان عبد الحميد في كسب أنصار إلى جانبه من العالم العربي نتيجة لهذا الاتجاه الإسلامي، فاهتم بالمساجد في الأماكن المقدسة وعين بعضاً منهم (العرب) استشاريين لديه[1]. وقد نجحت الحركة في وقف الزحف الاستعماري بعض الوقت.

سياسة السلطان عبد الحميد الثاني الإسلامية (الجامعة الإسلامية):

لقد سار عبد الحميد الثاني على سياسة إسلامية إبان حكمه. وكان الدافع لهذه السياسة الإسلامية يرمي إلى تقوية مركز عبد الحميد في داخل الدولة العثمانية وخارجها، وذلك باستخدام الدين لمقاومة معارضيه في الداخل، ومواجهة أعدائه في الخارج، بإبراز السمات الدينية لمنصبه وإحياء الخلافة الإسلامية وتقويتها بشخصه كزعيم لكل المسلمين وبذلك يستغل الشعور الديني عند ملايين المسلمين في الإمبراطورية حتى يضمن ولاءهم في مواجهة التيار الفكري عند التقدميين من رعايا الإمبراطورية المتأثرين بالثقافة الغربية[2]، ثم إذابة جميع القضايا القومية العربية والكردية وغيرها وإغراق هذه القضايا في خضم العالم الإسلامي وسياسة الخلافة والجامعة الإسلامية في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية تفقد ممتلكاتها في البلقان الواحدة تلو الأخرى[3].

أما من الناحية الخارجية، فإن هذه السياسة الإسلامية تعتبر سلاحاً

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٥٠ ــ ٢٥٢.
(٢) محمود صالح منسي، حركة اليقظة في الشرق العربي الآسيوي، القاهرة ١٩٧٢، ص ٥٦.
(٣) استقلت الصرب عام ١٨١٣ ثم تبع ذلك اليونان في عام ١٨٣٢، ورومانيا عام ١٨٧٨ ثم الجبل الأسود عام ١٨٧٨. انظر محمد أنيس: الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ص ٧٦.

للضغط على الدول الأجنبية، بإثارة المسلمين الخاضعين لفرنسا في شمال إفريقيا ومسلمي الهند الخاضعين لبريطانيا، والتتر الخاضعين لروسيا القيصرية. وقد حظيت هذه السياسة بتأييد الامبراطور فلهلم الثاني[1] إمبراطور ألمانيا الذي أراد استغلال الأتراك في القتال ضد دول الوفاق[2].

والحقيقة أن العالم الإسلامي كان يموج منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي بحركات دينية قوية جاءت كرد فعل لحركة الاستغراب في الشرق، وكرد فعل لاعتداءات الدول الأوروبية على بعض أجزاء من العالم الإسلامي. ومن هذه الحركات الحركة السلفية (الوهابية) في شبه جزيرة العرب. والحركة السنوسية في شمال إفريقية والمهدية في السودان[3].

غير أن الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، شهد تياراً فكرياً إسلامياً وهو «الجامعة الإسلامية» على يد المصلح الديني والفيلسوف السياسي جمال الدين الأفغاني (١٢٥٥-١٣١٥هـ / ١٨٣٩-١٨٩٧م)، وتبعه في نفس الخط مجموعة من المفكرين منهم عبد الرحمن الكواكبي (١٢٦٦-١٣٢١هـ / ١٨٤٩-١٩٠٣م) ومحمد عبده (١٢٦٦-١٣٢٣هـ / ١٨٤٩-١٩٠٥م) ورشيد رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ / ١٨٦٥-١٩٣٥م) وغيرهم من المفكرين. ورغم أن هذه الحركة هي امتداد للحركات الدينية السابقة، إلا أنها تعتبر أقوى حركة فكرية عالجت المشكلات الدينية والدنيوية في الشرق وهي حركة إصلاح ديني وإصلاح سياسي في نفس الوقت.

---

(١) وقد عرف عند العرب باسم غليوم الثاني.

(٢) يقصد بدول الوفاق هنا فرنسا وروسيا اللتين عقدتا خلال عامي ١٨٩٣ و ١٨٩٤ تحالفاً ينص على أن تقدم كل دولة منهما المساعدة العسكرية إلى الأخرى في حالة تعرضها لهجوم من قبل ألمانيا. انظر Somervell. D.C: Modern Europe (1871 - 1939) London 1945, PP.50 - 51.

(٣) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي. ص ٢٣٨.

وكانت الدوافع التي دفعت جمال الدين الأفغاني للقيام بهذه الحركة هي الأخطار التي كانت تحيط بالعالم الإسلامي من الزحف الاستعماري الغربي في هذه الفترة الزمنية لذلك فإنه أخذ يدعو إلى تقوية الحكومات الإسلامية وتوحيدها في حكومة واحدة مع إدخال الأفكار والنظم الغربية التي هي سر قوة الغرب إلى الدولة الإسلامية، حتى تواجه هذه الأخطار بنفس السلاح من العلم والتقدم في النواحي الاجتماعية، والرد على دعاة الغرب الذين يرون الدين الإسلامي بأنه غير قابل لاستيعاب روح العصر(١). فالأفغاني يدعو جميع المسلمين إلى الالتفاف حول الخلافة الإسلامية التي تتمثل في آل عثمان(٢). لذلك فإن حركة الجامعة الإسلامية تختلف عن الحركات الدينية السابقة في دعوتها بالالتفاف حول الدولة العثمانية وتقويتها في مواجهة الاستعمار الغربي، على حين أن الحركات السابقة كانت تتجه إلى محاربة السيطرة العثمانية(٣).

وقد كون الأفغاني جمعية سرية دخل فيها مجموعة من الأعضاء المسلمين من الدول الإسلامية والغير إسلامية، سميت «جمعية العروة الوثقى»، وقد أصدرت الجمعية في باريس صحيفة بهذا الاسم، ولم يظهر منها سوى ثمانية عشر عدداً بين (١٣ مارس ١٨٨٤م - ١٣٠٢هـ و ١٧ أكتوبر من نفس العام)(٤).

ويبدو أن الأفغاني قد مر بمراحل فكرية: أولى هذه المراحل عندما كان يرفض إعطاء أي وزن للفكر القومي والخصائص القومية،

---

(١) محمد عوض حسن، جمال الدين الأفغاني وأثره في العالم الإسلامي الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية ١٩٥٥، ص ٥٤ ــ ٥٧.
(٢) محمد عمارة، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، القاهرة ١٩٦٨، ص ٥٢.
(٣) محمد أنيس، المرجع السابق، ص ٢٣٩.
(٤) محمد صالح منسي، المرجع السابق، ص ٥٨.

مكتفياً بوحدة العقيدة[1]. وفي هذه المرحلة نجد الكثير من عباراته التي ظهرت في مجلة «العروة الوثقى» مثل عبارات «غناء الإسلام عن القومية» و «لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم». وأن رابطة المسلمين الملية أقوى من الرابطة العنصرية واللغوية[2].

أما المرحلة الثانية لآراء الأفغاني، فهي المرحلة التي أخذ يقدر فيها الرابطة القومية فصار يعتبر اللغة المشتركة والرابطة الدينية، عنصرين جوهريين من عناصر الرابطة القومية. وقد اهتم باللغة العربية بصفتها لغة الدين الإسلامي واللغة التي نزل بها القرآن، ووجه نداء إلى الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني بأن يجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية، كما طلب من الأتراك أنفسهم أن يستعربوا فتتكون قومية واحدة من العرب والترك لها خصائص واحدة مشتركة، هي رابطة اللغة ورابطة الدين[3].

وعندما رأى الأفغاني صعوبة تكوين دولة إسلامية واحدة، لجأ إلى أسلوب جديد وهو «الحلف الإسلامي» ليتمشى مع الحركات التقدمية داخل المجتمع الإسلامي، وكان يدعو إلى هذا الحلف بزعامة أكبر وأقوى دولة إسلامية وهي الدولة العثمانية. فكانت خطته تتضمن تحويل الإمبراطورية إلى (مملكة الممالك) بتنظيمها على أساس لا مركزي وذلك بتحويل الولايات إلى (خديويات) أي على نمط الخديوية المصرية. وبمعنى آخر الاعتراف بالسيادة الاسمية للخلافة العثمانية[4] «فإذا قويت هذه الخديويات، فإنه سرعان ما تنضم إيران وأفغانستان والهند، ويصبح الإسلام قوة عنيدة يرهب الغرب جانبها

---

(١) محمد صالح منسي، المرجع السابق.
(٢) قتيبة أمين شموط، المرجع السابق، ص ٥٣.
(٣) محمد عمارة، المرجع السابق، ص ٧١.
(٤) مجلة المنار، المجلد ٢، جـ ٢٢، عام ١٨٩٨، ص ٣٣٨ ــ ٣٣٩.

وتهدأ ثائرته على الإسلام[1].

وكان الأفغاني معجباً بالنظام الدستوري، فكان يرغب بأن يكون الاتحاد الإسلامي اتحاداً دستورياً أي توعية الشعوب الإسلامية بمزايا النظام الدستوري حتى ترغم حكامها على وضع الدستور، حتى لا يكون منحة من حكامها، فإن الشرق لا يحيا بدوله وإماراته إلا إذا أتاح الله لكل منها رجلًا قوياً عادلًا، لا مستبداً عادلًا، لأن الاستبداد يتنافى مع العدالة[2].

ولكن هذه المفاهيم التي نادى بها جمال الدين الأفغاني لم تلق الاستجابة لدى السلطان عبد الحميد الثاني، فالاتفاق بينهما حول توحيد المسلمين أصبح أمراً متعذراً، ويبدو أن الأفغاني كان متأثراً بمبادئ الثورة الفرنسية فمزجها بمبادئ الإسلام[3] وهذا ما جعل السلطان عبد الحميد الثاني يختلف معه بشأن هذه التفصيلات.

أما السلطان عبد الحميد الثاني فقد أخذ يستغل دعوة الأفغاني في توحيد العالم الإسلامي والالتفاف حول الخلافة العثمانية من ناحية، والحج إلى بيت الله الحرام في مكة والمدينة من ناحية ثانية، لأن دعوة الأفغاني ترتكز على ثلاث دعائم هي: ١ ـ الرابطة الإسلامية ٢ ـ رابطة الحج ٣ ـ رابطة الخلافة[4].

وبخصوص الخلافة فقد أخذ السلطان عبد الحميد يعيد هيبة الخلافة في شخصه، وأخذ يضفي على حياته الخاصة الكثير من مظاهر التقوى والورع والتخلي عن كثير من الأعمال المنافية للدين والتي كان يعملها أسلافه، كما أحاط نفسه برجال الدين، واستصرخ المسلمين في

---

(١) محمود صالح منسي، المرجع السابق، ص ٦٤.

(٢) نفس المرجع.

(٣) رئيف خوري، الفكر العربي الحديث، بيروت ١٩٤٣، ص ١٠٣ ــ ١٠٤.

(٤) محمد حسن عوض، المرجع السابق، ص ٦٠.

كافة أنحاء العالم إلى الالتفاف حوله. كما أنشأ مدرسة للوعظ لتدريب المبعوثين الذين أخذ يوفدهم إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي للدعاية لفكرته الإسلامية، كما أخذ يبذل المساعدات المالية بسخاء للمدارس الدينية في داخل الدولة وخارجها، إلى جانب تسخير الصحافة للدعاية لهذه السياسة[١].

أما الركن الآخر من أركان سياسة عبد الحميد الثاني الإسلامية، وهو الحج فقد دفع شريف مكة لنشر الدعوة بين الحجاج، كما اهتم بإنشاء الخط الحديدي الحجازي بين دمشق والمدينة ومكة، وذلك لتسهيل طريق الحج. وقد عهد عبد الحميد إلى الخبراء الألمان في تنفيذ هذا المشروع الذي بدأ العمل به في عام (١٣١٩هـ / ١٩٠١م) وانتهى في عام (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) حيث احتفل بوصول هذا الخط إلى المدينة المنورة[٢] إلا أن سياسة السلطان عبد الحميد الثاني إزاء هذا المشروع كانت ذات شقين.

أولًا: الوقوف أمام الرأي العام الإسلامي بمظهر الخليفة الذي يرعى الشؤون، الإسلامية، فيجذب إليه القلوب، وقد نجح عبد الحميد في كسب عطف المسلمين بتأييد هذا المشروع والذين أخذوا يتسابقون في التبرع لإنشائه[٣].

ثانياً: أن تنفيذ هذا المشروع ذو قيمة استراتيجية في سياسة السلطان عبد الحميد الثاني عامة، فإن هذا المشروع يوطد حكمه في بلاد الشام والجزيرة العربية. إذ سوف يكون هذا الخط وسيلة سريعة لنقل الجيوش وتحركها لحماية ولايات الدولة العثمانية[٤].

(١) محمد أنيس، المرجع السابق، ص ٢٤١.
(٢) محمد رفعت، التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، القاهرة ١٩٦٤، ص ٩٠.
(٣) محمد بديع شريف، دراسات في تاريخ النهضة العربية الحديثة، القاهرة ١٩٦٣، ص ٣٧.
(٤) Atiyah, Edward, the Arab, Beirut 1968, P.89.

وفي إطار سياسته الإسلامية، اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بالعرب وذلك لأن بلاد العرب تضم أهم الأماكن المقدسة (مكة، المدينة، القدس) وهم أصحاب الرسالة وبلغتهم نزل القرآن[1]. لذلك قام بتزيين وإصلاح المساجد في مكة والمدينة والقدس، وأخذ يقرب منه بعض الشخصيات العربية، منهم أبو الهدى الصيادي، من الأشراف بحلب، وعزت باشا العابد من دمشق واللذين جعلهما مستشارين له، وكذلك الأخوين: نجيب وسليم ملحمة وهما مارونيان ومن أقرب الناس للسلطان[2].

ومما قاله جمال الدين الأفغاني في السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يجالسه كثيراً ما يلي: «إن السلطان عبد الحميد لو وزن بأربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم: ذكاء ودهاء وسياسة، خصوصاً في تسخير جليسه... ولا عجب إذا رأيناه يذلل ما يقام في ملكه من الصعاب من دول الغرب، ويخرج المناوئ له من حضرته راضياً عنه وعن سيرته مقتنعاً بحجته، سواء في ذلك الملك والأمير والوزير والسفير»[3].

تطور الدولة في عهد عبد الحميد:

شعر شباب الأتراك المعجبون بأوروبا أنهم قد وصلوا أهدافهم بعد تولية مدحت باشا الصدارة العظمى، والذي كان من كبار المعجبين بأوروبا، وكان أمل الدولة النصرانية في فرنجة التفكير العثماني، غير أن آمالهم قد ذهبت أدراج الرياح عدما خلع السلطان مدحت باشا من الصدارة، وعلق الدستور الذي أعلنه في بداية حكمه كما أشرنا، وأرجأ

(١) زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية، بيروت ١٩٦٨، ص ٥٧.
(٢) سليمان موسى: الحركة العربية بيروت ١٩٧٠، ص ٢٤.
(٣) أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط ٣. القاهرة ١٩٧١، ص ١٢٥.

اجتماع مجلس النواب إلى أجل غير مسمى عام ١٢٩٥ هـ/١٨٧٨ حيث لاحظ السلطان أن أكثر أنصار الدستور كانوا على صلة بالساسة الأوروبيين ومن الذين يعادون القانون الإسلامي، لذا بدأ يبطش بكل من يدعو إلى تبني الفكر الغربي، وفي الوقت نفسه كان يهتم بتدريب الجيش، ويقوي مركز الخلافة ويدعو إلى الجامعة الإسلامية. فخاب ظن هؤلاء المفتونين بأوروبا، وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم «الدستوريين» وانطلقوا في كل مكان يعملون على نشر أفكارهم ويؤلفون الجمعيات السرية سواء أكانت بين المدنيين أم العسكريين فتأسست جمعية الاتحاد والترقي في باريس عام ١٣١٦ هـ/١٨٩٩، وجمعية الحرية في سلانيك عام ١٣٢٣ هـ/١٩٠٥، ثم اندمجتا معاً. وأصبحت الجمعية العمومية للاتحاد والترقي في باريس، أما إدارة الحركة فكانت في سلانيك. وكان أقدم هذه الجمعيات الشعبية العثمانية التي تأسست في استانبول عام ١٢٨٢ هـ/١٨٦٥ م ولكنها كانت علنية. أما التنظيمات العسكرية فكان أولها تنظيم نيازي بك، وتنظيم أنور بك، وتنظيم رائف بك، وتنظيم حسن بك، وتنظيم صلاح الدين بك، وبدأت التنظيمات العسكرية تنمو وتتسع دائرتها بسرعة والحكومة منصرفة إلى تقوية الجيش وإلى مقاومة الخطر اليهودي الذي بدأ يبرز بشكل واضح سواء عن طريق يهود الدونمة، أم عن طريق الماسونية، أم عن طريق اليهود من خارج الدولة، إذ ساعدوا الجمعيات السرية[1].

وإزاء ذلك لجأ السلطان عبد الحميد إلى الرقابة والبوليس والجواسيس والنفي لإسكات المعارضة، فصادر الصحف وأخضع المدارس التبشيرية للرقابة، وحرم على المسلمين الالتحاق بها، كما أخضع المدارس العثمانية للرقابة، وكذلك الاجتماعات العامة، وفرض

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٩٩ ــ ٢٠٠.

رقابة مستمرة على المنفيين الأتراك بواسطة السفارات العثمانية في الخارج[1].

ورغم ذلك، فقد تسللت الأفكار الجديدة إلى داخل الدولة العثمانية، فازداد التعرف على الغرب والفكر الحديث وبخاصة في مجالات العلوم والآداب. وواصلت الصحف كتاباتها الأدبية وترجمة الأدب الفرنسي وقد أدى ذلك إلى ازدياد عدد القراء من المسلمين بفضل التوسع في إنشاء المدارس.

واهتمت الدولة في إنشاء المدارس العسكرية والفنية والطبية لتقوية الجيش، واستقدم الخبراء الألمان لتدريب الجيش. ولكن هذه المدارس كانت نواة لتأسيس خلايا ثورية حيث إن الطلاب كانوا يتلقون علومهم على النمط الغربي ذات المناهج العلمانية لا الدينية. وفي نفس الوقت كانت الدولة تنفتح بالتدريج على العالم الخارجي نتيجة للتوسع في دور البريد وبناء البواخر التجارية وإدخال الخطوط التلغرافية التي كان لها أثر مباشر على ربط اتحاد البلاد كلها من ناحية، ووفرت للمعارضين أداة لتهديد الحكومة من ناحية أخرى وحولت رؤوس الأموال الأجنبية خطوط الترام وأعمال المناجم والمرافق العامة، واستعانت الدولة بالخبرات الأوروبية وأدى تقدم المواصلات إلى ازدياد حجم التجارة والصناعة وعدد التجار الأجانب. كما ازدادت الخطوط الحديدية في داخل الدولة العثمانية، لهذا تعاقد مع مجموعات ألمانية لبناء سكك حديدية في داخل الأناضول، أولًا إلى أنقرة ثم إلى قونية. وفي عام (١٣٢١هـ / ١٩٠٣م) حصلت شركة سكة حديد برلين بغداد على امتياز لمد الخط إلى بغداد ومن ثم إلى الخليج العربي. وكانت هذه المشروعات تفتح الباب لألمانيا للحصول على نفوذ سياسي إلى جانب

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٥٤ ـــ ٢٥٥.

النفوذ الاقتصادي. وكانت هذه المشروعات أداة للتدخل الأجنبي للمساس بسيادة الدولة[1]، من خلال مجلس إدارة الدين العام العثماني الذي يمثل الدائنين الأجانب.

وهكذا يتضح أن المشروعات الاقتصادية التي تمت في الدولة العثمانية بقروض أجنبية كان هدفها إيجاد المبررات للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية بحجة مراقبة الدخل العام وتحصيل وإنفاق الأموال العامة وفرض الضرائب لسداد ديونها، مما أوجد ارتباكاً في ميزانية الدولة وعجزها عن القيام بتسديد ديونها المستحقة وذلك للعمل على انهيار الدولة والإطاحة بها.

ورغم التقدم المادي والثقافي الذي شهده عصر عبد الحميد فإن المعارضة انطلقت من مصدرين منفصلين هما الأحرار العثمانيون والروح القومية لدى المجموعات غير التركية. فقد أتاح التعليم الفرصة لظهور طبقة من المتعلمين والأطباء والضباط والكتاب، كما أتاح لبعض العثمانيين الاطلاع على الفكر السياسي الغربي. وكانت هذه الجماعة تضم مجموعات كثيرة ساخطة اتخذت لأنفسها أسماء مختلفة داخل الإمبراطورية وخارجها، وتكونت منها جماعة الاتحاد والترقي.

أما الروح القومية فقد انتشرت لدى بعض المثقفين العرب في بلاد الشام وفي ألبانيا، في حين تطلع اليونانيون والبلغار والأرمن إلى الاستقلال. وهذا ما أقض مضاجع عبد الحميد فشكل الفرق الحميدية لكبح جماح ثورات الأرمن واليونان وغيرهم. وقد أدت هذه المصاعب إلى ازدياد النقد الداخلي لحكم عبد الحميد مما أدى بالتالي إلى ازدياد عمليات القبض والسجن والنفي. وأدى ذلك إلى قيام جماعة الأتراك

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٧.

الشباب المنفيين في الخارج ـ ومعظمهم من الماسونيين ـ بإصدار صحف في فرنسا وسويسرا وبريطانيا ومصر تهاجم فيها السلطان عبد الحميد. وهكذا نمت بذور الثورة لدى الموظفين. وسرعان ما تكونت جمعيات ثورية هدفها العمل على خلع السلطان عبد الحميد(١).

ثورة (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) وإعلان الدستور:

في أواخر القرن التاسع عشر، أسهم المثقفون الأتراك بنشر الأفكار القومية التركية في أوساط الطلبة، وأسهموا في ظهور جمعية الاتحاد والترقي. وكانت هذه النزعة القومية تتعارض مع العثمنة وحركة الجامعة الإسلامية. ففي حالة تحول الإمبراطورية العثمانية إلى دولة قومية تركية لن يكون فيها مكان للمسلمين غير الأتراك الذين سبقت لهم مساندتهم للدولة بفعل الرابطة الدينية. وعلى أي حال، فإن نمو الروح القومية التركية جعل كلمة تركي تستعمل للمرة الأولى بنوع من الاعتزاز، كما بدأت صفة تركي تحل محل صفة عثماني كما شاع استعمال تركستان وانكمش مدلول مصطلح عثماني، وأصبح يشار إلى الأناضول باعتبارها وطن الأتراك. وللمرة الأولى تجري الإشادة بفلاحي الأناضول الأتراك ويلغتهم باعتبارهم القوة الحقيقية للدولة التركية(٢).

ومهما يكن من أمر، ففي عام (١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م) أسس عدد قليل من تلامذة مدارس الطب العسكري بوجه خاص الجمعية السرية التي تحولت فيما بعد إلى لجنة الاتحاد والترقي. وفيما بين عامي (١٣٢٠ و ١٣٢٤هـ / ١٩٠٢ و ١٩٠٦م) أخذت حركة تركيا الفتاة في الانتشار، فظهرت مجموعات جديدة للحركة في جنيف والقاهرة

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد، ص ٤٩.
(٢) Shaw, Stanford, Reform Revotution and Republic, London 1977, P.200.

وفي استانبول[1]. وفي عام (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م) أخذت تنتشر الخلايا الثورية في الجيش، ويحتمل أن أولها هي «جمعية الوطن والحرية» التي أسسها في دمشق عدد من الضباط منهم مصطفى كمال (أتاتورك فيما بعد) وأصبحت لها فروع في يافا والقدس وبيروت والعريش في صفوف الجيش الخامس. كما تألفت خلايا بين ضباط الجيش الثالث في سالونيك وتأسست «جمعية الحرية العثمانية» وامتد نشاط الجمعية إلى مقدونيا والأناضول[2].

وعلى العموم، فإن الدول الأوروبية ظلت تمارس ضغطها بشكل أو بآخر على السلطان بشأن إنشاء بوليس دولي بشأن مقدونيا والثورات التي قامت في البلقان مما أثار سخط الضباط الأتراك[3].

ويبدو أن الحركة الثورية في سلانيك قد عقدت اجتماعاتها في المحافل الماسونية وتلقت مساعدة مالية من الدونمة واليهود الذين كانوا يأملون أن يؤدي نجاح الحركة الثورية إلى تحسين وضعهم الاجتماعي في الدولة. وكان أغلب هؤلاء اليهود يتمتعون بجنسية إيطالية وبعضوية المحافل الماسونية. وقد أصبح كثير من ضباط مقدونيا ماسونيين، وكان بإمكانهم أن يعقدوا اجتماعاتهم ويضعوا مخططاتهم في منازل اليهود وهم آمنون، ويمكنهم الاتصال بأهم اللاجئين السياسيين في المنفى[4].

وهكذا عقدت جمعية الحرية العثمانية صلات مع منظمات مسلمي ألبانيا. ومع شباب الأتراك واندمج الجميع في جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٧م وكان هدفهم هو إعادة الدستور.

(١) د/السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ٦٢.
(٢) Lewis, B. Op.cit, PP.201 - 202.
(٣) Schaw, Stanford, op.cit PP.265.
(٤) Ibid.

وقد اتفق الجميع في أواخر عام (١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م) على خلع السلطان وإعادة الدستور ولو اضطروا إلى ذلك باستخدام القوة كما لجؤوا إلى الإضرابات وتوزيع المنشورات ضد الحكم من أجل تهيئة الناس للثورة.

وكانت الخطة المرسومة أن يقوم الضباط الأحرار في مقدونيا بالثورة في عيد جلوس السلطان في ٣١ أغسطس عام ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ). وكان يقود الضباط أنور بك وأحمد نيازي بك. ولكن وقعت بعض الأحداث الدولية التي عجلت القيام بالثورة ومنها اللقاء بين ملك بريطانيا أدوارد السابع ونيقولا الثاني قيصر روسيا لبحث المسألة الشرقية، مما جعل جماعة الاتحاد والترقي تسرع في القيام بالثورة قبل التدخل الدولي في الدولة العثمانية. هذا علاوة عن وقوع اضطرابات في ألبانيا(١).

وحاول السلطان أن يتدارك الموقف بعد أن علم بالمؤامرة من قبل جماعة الاتحاد والترقي، فعين سعيد باشا صدراً أعظم، وأصدر أمراً سلطانياً بإعادة الدستور وإجراء الانتخابات وإلغاء الرقابة على المطبوعات والصحف(٢).

وقوبل إعلان الدستور بابتهاج وسرور في جميع أرجاء الدولة، فأعلن أنور باشا قائد الثورة أن الحكومة الاستبدادية قد اختفت، وأصبحنا جميعاً إخواناً وعمت الفرحة جميع المدن في مختلف الولايات، وأطلق سراح المعتقلين السياسيين، ورفعت القيود على المبعدين، كما جرت الانتخابات لمجلس المبعوثان. وضم المجلس الجديد ٢٨٠ نائباً من الأتراك والعرب واليونانيين والبلغار والصرب واليهود والأرمن. وفي ١٠ ديسمبر ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) افتتح السلطان المجلس، وألقى خطبة

---

(١) Ramsaur, E.E. op.cit, PP.96 - 97.

(٢) Miller, W.,op.cit., P.475.

الافتتاح التي تعهد فيها بأن يحكم البلاد حكماً دستورياً(١).

وسيطرت جمعية الاتحاد والترقي على الموقف في مجلس المبعوثان، ولكنها واجهت حزباً معارضاً هو حزب الأحرار الذي نادى باللامركزية كما تأسست عدة أحزاب أخرى. وبدأت الصراعات السياسية بين الأحزاب من جهة وأنصار الجامعة الإسلامية من جهة أخرى. حيث قاد أنصار الجامعة الإسلامية معارضة واسعة لقيت استجابة من الجماهير، وطالبت بإلغاء الدستور وخاصة وقد صرح الكثيرون بأن الشريعة في خطر، وطالبوا بعودة أحكامها بعد أن خرق النظام العلماني الجديد الشريعة الإسلامية. وتحول السخط بعد ذلك إلى ثورة مسلحة مضادة قادها الاتحاد الإسلامي وهاجموا مجلس النواب والباب العالي وطالبوا بإعلان سيادة الشريعة الإسلامية. وانتشرت حركات مماثلة لحركة استانبول في الأناضول وشمالي الشام. وإزاء ذلك قامت جمعية الاتحاد والترقي بإرسال جيش من سلانيك بقيادة محمود شوكت باشا ويرافقه نيازي بك وأنور باشا. وقضى هذا الجيش على الجماعات الإسلامية التي تدعم السلطان عبد الحميد وتؤازره. وعقد اجتماع عام في المجلس النيابي تقرر فيه عزل السلطان عبد الحميد بمقتضى فتوى من شيخ الإسلام. وخلع السلطان عبد الحميد ونفي إلى سلانيك وخلفه السلطان محمد رشاد (الخامس) الذي أعلن أنه سيخدم الشريعة والدستور وإرادة الأمة التي اختارته ولكنه أصبح ألعوبة في يد الاتحاديين الذين أصبحوا بزعامة أنور باشا مسيطرين على الحكم في تركيا وهم أصحاب الكلمة العليا في البلاد(٢).

ومهما يكن من أمر، فإن السلطان عبد الحميد رغم ما قيل عنه

---

(١) Ibid, P.475 - 479.

(٢) Miller, W. op.cit, P.480 - 482.

من قبل الغرب. من حملات تشهير إلا أنه استطاع بسياسته الإسلامية أن يحمي فلسطين من براثن الصهيونية ولم يفرط فيها على الإطلاق رغم العروض المغرية التي عرضها هرتزل زعيم الصهيونية عليه. ولكنه لم يذعن لكل الضغوط الأوروبية والصهيونية والماسونية والقومية، وهذا الموقف نابع من إيمانه العميق بدينه وبأمته الإسلامية وضحى بعرشه من أجل القدس وفلسطين[1].

ومهما يكن من أمر، فقد كان التشهير العنيف الذي اقترن بسيرة السلطان عبدالحميد الثاني يستهدف تحقيق أربعة أهداف :

١ - الدفاع عن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، مبررين تصرفهم في إنهاء حكمه كي تسترد الدولة مكانتها.
٢ - تغطية فشلهم الذريع في حكم الدولة، فقد لجأ رجال الاتحاد إلى القوة والاستبداد، وأثاروا الفرقة بين سكان البلاد.
٣ - إبراز صورة مشرقة لعهد مصطفى كمال أتاتورك وأعوانه، وتبرير تصرفات رجال الاتحاد والترقي في إلغاء الخلافة والسلطنة وإعلان الجمهورية التركية.
٤ - رغبة الصهاينة في تدمير سيرة السلطان عبد الحميد إنتقاماً منه لسياسته المعادية لأهدافهم في فلسطين[2].

وحقيقة الأمر أنه لولا أصالة الدولة العثمانية وعراقتها وشموخها لأصبحت هباء منبثا، وطويت صفحاتها في القرن الثامن عشر أو القرن التاسع عشر، ولكنها ظلت تُقاوِم عوادي الزمن أكثر من قرنين.

---

(١) يوميات هرتزل، ص ٢٤٥.
(٢) د./عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية جـ٢، ص ١٠١٨ - ١٠٢٣.

ونتيجة للزحف الاستعماري، ونتيجة للضعف الشديد الذي انتاب الدولة، وهو ضعف لم يكن السلطان عبد الحميد مسؤولاً عنه، غدت ممتلكات الدولة نهباً بين الدول الأوروبية الاستعمارية التي كانت تخطط منذ زمن بعيد للقضاء عليها[١].

(١) د./ عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ١٠٦١.

الفصل التاسع

حكم الاتحاديين ونهاية الدولة العثمانية

الأوضاع الداخلية:

بعد خلع السلطان عبد الحميد أصبح كل شيء في الخلافة بيد الاتحاديين، أما الخليفة فكان صورة غير أن الأمر لم يطل إذ لم يتعاقب على الخلافة سوى ثلاثة خلفاء، وكانت الدولة قد اشتركت في الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا، فهزمت وتجزأت الدولة، وغادر البلاد رجال الاتحاد البارزون، وجاء إلى الحكم من جديد مصطفى كمال الذي ألغى الخلافة بموجب تخطيط محكم رسمته له السياسة البريطانية، وزالت دولة الخلافة بعد حكم دام أربعة قرون، وبزوالها، انقسمت بلاد المسلمين وظهرت النعرات القومية وتصارع بعضها مع بعض حتى وهن أمر المسلمين[1].

والجدير بالذكر أن الحلفاء قد وجهوا الاتهام إلى الاتحاديين بأنهم على صلة باليهود والماسونية. ووجد هذا الاتهام صداه لدى الجماعات الدينية الإسلامية التي أخذت على الاتحاديين اتجاههم العلماني وخلعهم

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢١٢.

السلطان عبد الحميد الذي اعتبر رمزاً للخلافة وللاتجاه الإسلامي. كما ناصبهم كثير من العرب العداء نتيجة للسياسة الطورانية التي ساروا عليها ومحاولتهم تتريك العرب وغيرهم من القوميات التي كانت تدخل في نطاق الإمبراطورية العثمانية في أواخر عهدها، خاصة وأنهم رغم ادعاءاتهم الخاصة بالديمقراطية والحرية، كانوا ذوي نزعات إمبريالية برروها بمحاولة المحافظة على أملاك الدولة(١).

فبعد عودة الدستور لم يكن الأتراك متحدي الهدف: فمنهم من آمن بحركة الجامعة الإسلامية، في حين آمن بعضهم الآخر بحركة الجامعة الطورانية، وظل بعضهم الثالث على إخلاصهم لاتجاه العثمنة. وهكذا، فسرعان ما اتضح أن من رحبوا بعودة الدستور لم يتفقوا إلا على خلع السلطان عبد الحميد ثم ما لبثوا أن اختلفوا حول ما يجب عمله بعد ذلك. أما الاتحاديون فقد مالوا إلى العثمنة التي كانت تستهدف إقامة امبراطورية عثمانية تستند إلى مؤسسات حرة ليبرالية بإمكانها ضمان ولاء كل الفئات العرقية والدينية الخاضعة للدولة. غير أن انتشار الروح القومية لدى رعايا الدولة قد قضى على آمال قيام اتحاد حر ومتكافئ وسلمي في إطار الولاء المشترك للسلطان(٢).

وإزاء انقسام صفوف الاتحاديين، تشكل حزب الائتلاف والحرية عام (١٣٣٠هـ / ١٩١١م)، وضم كل المعارضين لحزب الاتحاد والترقي، مما جعل الاتحاديين يحلون البرلمان، وعقدوا انتخابات جديدة لم تحصل فيها المعارضة إلا على ست مقاعد. ثم نقل الاتحاديون قاعدتهم من سلانيك إلى استانبول. وقامت حركة تمرد بين الضباط طالبوا فيها

(١) Lewis, B. The Emergence of Modern Turkey, PP.207 - 208.
(٢) Ibid.

بإسقاط الحكومة الجديدة، وإعادة البرلمان السابق، كما طالبوا بإبعاد الجيش عن التدخل في السياسة. وعلى أثر نشوب الثورة في ألبانيا جرى إسقاط حكومة الاتحاديين وقيام حركة جديدة ذات طابع ليبرالي (حر) فرضت على الضباط أن يقسموا على عدم الانضمام إلى أي جمعية سياسية أو التدخل في شؤون الدولة الداخلية أو الخارجية. وبعد أن استقال الاتحاديون تم حل برلمانهم وأقسم الضباط على عدم التدخل في السياسة(١).

وقد انشغلت الحكومة الجديدة بمقاومة الغزو الإيطالي لليبيا، وسرعان ما واجهت الحلف البلقاني الذي اقتربت قواته من العاصمة، مما جعل أنور باشا قائد الجيش يقوم بانقلاب عسكري أطاح بالوزارة، وشكل بنفسه وزارة اتحادية جديدة حكمت البلاد حكماً دكتاتورياً حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وألغيت الأحزاب وزج بالناس المعارضين بالسجون ونفذت أحكام الإعدام. وحلت جمعية الاتحاد والترقي نفسها وهرب زعماؤها إلى الخارج. وعاد دعاة الليبرالية من المنفى ليعملوا على تفكيك الإمبراطورية العثمانية(٢).

مصاعب الاتحاديين الخارجية:

واجه الاتحاديون مشكلات ضخمة في بداية حكمهم وقبيل الحرب العالمية الأولى ومن أهم هذه المشكلات: الحرب الطرابلسية - الإيطالية وحرب البلقان.

أولًا: الحرب الطرابلسية الإيطالية:

كانت إيطاليا تطمح بالسيطرة على طرابلس، وخاصة بعد أن

(١) د/أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٧٦.

احتلت فرنسا تونس عام ١٢٩٩ هـ/١٨٨١م، وبدأت إيطاليا تعقد الاتفاقات السياسية مع الدول الأوروبية الأخرى مثل إسبانيا وفرنسا وانجلترا والنمسا، ثم انصرفت إلى تهيئة الوضع داخل ليبيا فعملت على شراء الأراضي، وإنشاء المشروعات الزراعية، وإرسال البعثات النصرانية الكاثوليكية، وفتح المدارس الإيطالية، وفتح البنوك وتأسيس الشركات وغير ذلك[1].

وفي عام ١٣٢٨ هـ/١٩١٠ م، قدمت إيطاليا إنذاراً للدولة العثمانية اتهمتها بعرقلة المساعي لتحضير وتمدين سكان ليبيا، ولذا قررت احتلال ليبيا، واحتج الباب العالي لدى الدول الأوروبية، وأعلنت الدولة العثمانية رفض ذلك الإنذار، غير أن إيطاليا حاصرت سواحل طرابلس وبرقة لمنع وصول المساعدات والإمدادات إليها، وبدأ الأسطول الإيطالي بقصف السواحل، وإنزال القوات التي احتلت مدن ليبيا (طرابلس وبنغازي وغيرها)، وأعلنت إيطاليا ضم هذا الجزء من شمالي إفريقيا إليها. وبدأت المقاومة تشتد حتى ألجأت المستعمرين إلى الساحل، وتقدم العثمانيون بقيادة عزيز المصري، والمتطوعون بقيادة أنور باشا، وأخوه فوزي، والسكان ومنهم السنوسيون، ووصلوا إلى طرابلس، وانتصروا على الإيطاليين في بنغازي[2].

هددت إيطاليا باحتلال استانبول، واحتلت بعض الجزر، وضربت ميناء بيروت، واضطرت الدولة إلى عقد معاهدة اوشي مع إيطاليا في عام ١٣٢٩/١٩١١، وانسحبت من ليبيا وتركت المجاهدين وحدهم في الميدان، واضطر أنور باشا بل أجبر على الانسحاب فتولى قيادة المجاهدين عزيز علي المصري. ورغم ذلك، فإن الدولة العثمانية لم

---

(١) مجيد خوري، ليبيا الحديثة، بيروت ١٩٧٣، ص ١٧٥.

(٢) مجيد خوري، ليبيا الحديثة، ص ١٧٥ ــ ١٨٠.

تعترف بالاحتلال الإيطالي، وإنما تعهدت بسحب موظفيها وجنودها، وصدر قرار سلطاني بمنح ليبيا الاستقلال الذاتي، وتعهدت إيطاليا بإعطاء الحرية الدينية لكافة الناس، والعفو العام، وقبول ممثل عثماني، ولم تنفذ إيطاليا بنود الاتفاقية، وخاصة بعد نشوب الحرب العالمية الأولى، فوقفت الدولتان وجهاً لوجه في موقف عدائي: وذلك لأن الدولة العثمانية كانت إلى جانب ألمانيا، في حين كانت إيطاليا إلى جانب الحلفاء، وأخذت الدولة ترسل المؤن والمساعدات إلى المجاهدين حتى انتهت الحرب العالمية الأولى، وخرجت الدولة مهزومة مهيضة الجناح، مفككة الأوصال، مقسمة الأجزاء. هذه الهزائم أجبرت جماعة الاتحاد والترقي على التخلي عن السلطة كما أشرنا عام ١٣٣٠/١٩١٢ وظهور حزب الاتحاد الحر والائتلاف الحر، وشكل الوزارة محمد كامل باشا[١].

حرب البلقان: رفضت البوسنة والهرسك دعوة مندوبيها لحضور المجلس النيابي في استانبول عام ١٣٢٧/١٩٠٩ مع أنها كانت لا تزال تتبع الدولة العثمانية اسمياً، واتجهت نحو الصرب، وهذا ما أثار النمسا التي ترغب في وضع يدها على البوسنة والهرسك، فأسرعت النمسا واتفقت مع روسيا سراً على أن تضم البوسنة والهرسك إليها، مقابل أن تكون مضائق البوسفور والدردنيل مفتوحة دائماً أمام حركة الملاحة الروسية، وبالفعل فقد احتلت النمسا مقاطعة البوسنة والهرسك، ولم تتمكن روسيا من فعل شيء لمعارضة الدول الأوروبية لأطماع روسيا في المضائق، واعترفت الدولة العثمانية بهذا الضم وتنازلت للنمسا عن البوسنة والهرسك في مقابل تنازل النمسا عن كل حقوقها في

---

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢١٣ ـ ٢١٤ وانظر كذلك أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٧٧.

سنجق نوفي بازار. كما أمنت النمسا جانب بلغاريا بتشجيعها على إعلان استقلالها عن الدولة العثمانية[1].

وقد أدى ضم النمسا البوسنة والهرسك إلى إغضاب الصرب وروسيا: فعملت روسيا على تنظيم اتحاد بين دول البلقان انتقاماً من النمسا خاصة وقد أعلنت بلغاريا استقلالها وأعلنت كريت انضمامها إلى اليونان. ونتيجة لتوتر الموقف في البلقان أعلنت إمارة الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية ١٩١٢/٢/٨/١٣٣٠ هـ وتلتها بلغاريا والصرب واليونان وأنزلت الدول المتحالفة إلى ميدان القتال ٧١٥ ألف مقاتل في مقابل ٣٢٠,٠٠٠ جندي تركي. ولم يمض شهر على بدء القتال حتى أشرفت القوات البلغارية على مداخل استانبول، كما احتل اليونانيون ميناء سلانيك، وتقدم الصربيون في جميع الجهات، واستعملوا الطائرات لأول مرة في هذه الحرب، وقصفوا مدينة أدرنة، وفقدت الدولة معظم أراضيها في أوروبا، وبعد وقف القتال جرى الاتفاق على استقلال ألبانيا، وقسمت الأراضي الباقية بين أعضاء التحالف البلقاني. وقد وقع اتفاق الصلح في لندن في أواخر مايو ١٩١٣/١٣٣١ هـ[2].

وحين تجدد القتال بسبب النزاع بين دول البلقان حول الأراضي التي جرى انتزاعها من العثمانيين، انضمت الدولة العثمانية إلى اليونان والصرب والجبل الأسود ضد بلغاريا. واستطاع أنور أن يحرر أدرنة من الاحتلال البلغاري، وأصبح بطلًا شعبياً ومكنه ذلك من السيطرة على الحكم مع رفاقه طلعت باشا وجمال باشا. وقد وقعت معاهدة بين الدولة وبلغاريا في عام ١٩١٣/١٣٣٢ واستعاد الأتراك إقليم تراقيا بما

---

(١) Miller, W., op.cit, P.482.

(٢) Ibid.

في ذلك مدينة أدرنة، وعرفت هذه الحرب باسم حرب البلقان الثانية[1].

وقد قضت حرب البلقان على اتجاه العثمنة، مما ترك الباب مفتوحاً للاتجاه الطوراني الذي كان يستهدف ضم كل أتراك آسيا في دولة واحدة. غير أن الاتجاه الطوراني الذي غذته أحداث البلقان لم يحجب حركة الاقتباس عن الغرب. فقد بذلت جهود لتحديث القوات المسلحة، مما أدى إلى ازدياد النفوذ الألماني في العاصمة العثمانية، خاصة وأن الدولة العثمانية استقدمت بعثات عسكرية وخبراء لتدريب الجيش العثماني كما اشترت الدولة الكثير من الأسلحة الحديثة من أوروبا حتى غدا الجيش العثماني من أقوى الجيوش[2].

الدولة العثمانية والحرب العالمية الأولى:

أدت مشاكل البلقان إلى تفجير الحرب العالمية الأولى. فقد قتل أحد أعضاء المنظمات السرية الصربية ولي عهد النمسا في بلدة سراييفو وقدمت النمسا إنذاراً إلى الصرب التي قبلت معظمه، ولكن النمسا كانت تود القضاء على الصرب، ولهذا أعلنت عليها الحرب أملًا في محوها. وقد أقحم هذا الحادث الدول العظمى: فقد ساندت روسيا وفرنسا الصرب، على حين ساندت ألمانيا حليفتها النمسا، وما لبثت بريطانيا أن دخلت الحرب إلى جانب روسيا وفرنسا. وأعلنت الدولة العثمانية واليونان ورومانيا وبلغاريا حيادها في الحرب. وأكدت دول الوفاق للسلطان أن استمرار الدولة العثمانية في انتهاج خطة الحياد وفصلها كل الضباط الألمان من الخدمة مما يكفل احترام واستقلال أراضي الدولة العثمانية. غير أن تحالف فرنسا وبريطانيا مع روسيا العدو

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٧٩.

(٢) Shaw, Stanford, Reform Revolution and Republie, P.305.

التقليدي للدولة العثمانية، وقيام الحركة الطورانية بإثارة حماس الأتراك ضد روسيا وفرصة لانضمام الدولة العثمانية إلى دولتي الوسط (ألمانيا والنمسا)[1]. وتم ذلك بالفعل.

وكان قادة الاتحاديين أنور وطلعت وجمال قد شددوا قبضتهم لمواجهة الظروف الصعبة التي تواجه الدولة بعد حرب البلقان، وعلاوة على ذلك، فإن أنور باشا الذي تمتع بشخصية قوية، شديد الإعجاب بالعسكرية الألمانية، خاصة بعد الانتصارات الألمانية في بداية الحرب، مما ساعد على أن يحتل الضباط البحريون الألمان المراكز الهامة في الأسطول العثماني، كما جرى تعيين ضباط ألمان للإشراف على قلاع الدردنيل. وعلاوة على ذلك تم توقيع حلف سري بين أنور باشا وبين ألمانيا دون علم السلطان والصدر الأعظم[2].

ففي ٧ سبتمبر ١٩١٤/١٣٣٣ هـ، أعلن أنور باشا إلغاء الامتيازات الأجنبية لحمل دول الوفاق على إعلان الحرب على الدولة العثمانية، كما قررت الدولة زيادة الرسوم الجمركية التي تقررها طبقاً للامتيازات الأجنبية، وجرى الاستيلاء على دور البريد الأجنبية، وتقرر خضوع الأجانب في الإمبراطورية للقوانين العثمانية، كما تقررت محاكمتهم أمام المحاكم العثمانية. وأصدر أنور أمراً بإغلاق البوغازين في وجه السفن الأجنبية، وذلك رغبة منه في الحيلولة دون تدخل دول الوفاق. وقدمت الدولة العثمانية معونة مادية وعسكرية للعراق، فأصدر أنور باشا أوامره للأسطول العثماني ببدء الأعمال العسكرية ضد روسيا، فقصف الأسطول العثماني موانئ أوديسا وسباستبول ونوفوردسك وأغرق عدداً

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٨٧.
(٢) نفس المرجع، ص ٢٨٨.

من السفن الحربية الروسية. ونتيجة لذلك أعلنت دول الوفاق الحرب على الدولة العثمانية[1]. كما أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر وضمها لجزيرة قبرص. وبدأت أساطيل الحلفاء في مهاجمة قلاع الدردنيل الخارجية كما قصفت البحرية البريطانية ميناء العقبة، ورفضت بريطانيا تسليم الطرادين - اللذين جرى بناؤهما في الترسانات البريطانية - للدولة العثمانية مما أثار الرأي العام التركي الذي استشاط غضباً للسياسة البريطانية، على حين نجد أن السياسة الألمانية قد نجحت في ضم الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا وحلفائها، حيث إن ألمانيا كانت تريد استغلال العراق والتغلغل في فارس تجارياً وسياسياً وتوجيه ضربة قاتلة إلى الوجود البريطاني في مصر وتهديد السيطرة البريطانية على الهند[2].

وما أن دخلت الدولة العثمانية الحرب حتى أرسلت بريطانيا قواتها لاحتلال العراق، على حين فكر الأتراك في غزو مصر، واستعمل السلطان لقب الخلافة في إعلان الجهاد ضد دول الوفاق، وطالب المسلمين في العالم، وبخاصة مسلمي روسيا وبريطانيا، بالاشتراك في الحرب ضد الكفار، كما أوقف صرف الأرباح المستحقة على سندات الدين العثماني العام التي يمتلكها رعايا دول الأعداء. وقد أرغمت الحرب الأتراك على القتال في ست جبهات، في حين أن معظم العمليات العسكرية العثمانية كانت تستهدف الدفاع عن الأراضي العثمانية وخاصة في مناطق الدردنيل والقوقاز، وجبهة عدن وقناة السويس. وقد أحرزت الجيوش العثمانية انتصارات عديدة بفعل نظام التحديث الذي نفذه حكام الدولة[3].

(١) الدكتور عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية جـ ١، ص ٢٣٢ ــ ٢٣٤.

(٢) Lewis, Bernard: The Emergence of Modern turkeys P.244.

(٣) Ibid.

وفي خلال الحرب عمل أنور على اتباع استراتيجية تستند إلى نداءات الجامعة الإسلامية التي نجحت بعض الشيء في إزعاج الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين بصدد أمنهم في البلدان الإسلامية وفي تشجيع حرب العصابات ضد الإيطاليين في ليبيا. وكان قيام الثورة العربية برعاية الشريف حسين (١٣٣٥هـ / ١٩١٦م) ضد الأتراك أكبر ضربة وجهت للدولة العثمانية وللجامعة الإسلامية بوجه خاص. كما كان أكبر نصر أحرزه الأتراك العثمانيون هو صدهم لحملة الدردنيل مما اضطر الحلفاء إلى الانسحاب بعد أن كلفتهم الحملة حوالي ١٢٠ ألف قتيل وجريح[١].

وكانت دول الحلفاء تقوم بعقد الاتفاقات السرية خلال الحرب بهدف تقسيم الدولة العثمانية وأهمها ما يلي:

١ ـ اتفاقية الآستانة (١٨ مارس ١٩١٥/١٣٣٤ هـ) الموقعة بين روسيا وفرنسا وبريطانيا وقد حصلت روسيا بمقتضاها على البوغازين والآستانة بالإضافة إلى الشاطئ الغربي للبسفور وبحر مرمرة والدردنيل وكل ما تبقى للدولة العثمانية من أرض في أوروبا. واتفق على أن تكون الآستانة ميناءً حراً لدول الوفاق بحيث تسمح روسيا بحرية الملاحة في البوغازين، ووافقت روسيا بدورها على مناطق النفوذ البريطاني والفرنسي في الأناضول. كما تم الاتفاق على فصل الأراضي الإسلامية المقدسة في الحجاز وباقي شبه الجزيرة العربية ووضعها تحت حكم عربي مستقل. ونصت الاتفاقية على استمرار تقسيم إيران بين روسيا وبريطانيا وفق ما اتفق عليه في عام ١٩٠٧م.

٢ ـ معاهدة لندن (٢٦ إبريل ١٩١٥/١٣٣٤ هـ) وقد تم عقد هذه

---

(١) عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ط، ص ٢٣٥ ــ ٢٤١.

المعاهدة بين دول الوفاق وإيطاليا التي وعدت بكامل السيادة على جزر الدوديكانيز وليبيا وبالحصول على جزء من ساحل الأناضول الواقع على البحر المتوسط (أضاليا) وذلك في حالة تقسيم أملاك الدولة العثمانية في آسيا بعد الحرب.

٣ ـ اتفاق سايكس بيكو (١٦ مايو ١٩١٦/١٣٣٥ هـ) المعقود بين بريطانيا وفرنسا وروسيا. وقد حصلت روسيا على ولايات أرضروم وطرابيزون ووان وتفليس وشمال كردستان. وحصلت فرنسا على سوريا وجنوب شرقي الأناضول، كما حصلت بريطانيا على جنوب العراق وميناءي حيفا وعكا في فلسطين. كما حصلت فرنسا على كيليكيا وحقول نفط الموصل[1].

٤ ـ اتفاقية سان جان دي موريين (١٧ إبريل ١٩١٧ م/١٣٣٦ هـ) المعقودة بين فرنسا وبريطانيا وإيطاليا فقد استهدفت تصفية الخلافات الفرنسية الإيطالية. ولهذا قررت منح فرنسا منطقة أضنة على أن تضع إيطاليا يدها على ما تبقى من جنوبي الأناضول بما في ذلك ولاية إزمير بالإضافة إلى ولاية قونيا ومتصرفيات أضاليا وغربي الأناضول.

٥ ـ ووعدت بريطانيا الشريف حسين بدولة عربية في المشرق إذا ما أعلن الثورة ضد الأتراك بموجب مراسلات الحسين مكماهون ١٩١٥/١٣٣٤. كما حاول الحلفاء إغراء اليونان بدخول الحرب مقابل استيلائها على بعض أراضي الأناضول. وقد قبل رئيس الوزراء اليوناني عروض الحلفاء تحقيقاً لأطماعه في قيام بلاد اليونان الكبرى. ولكن هذه الخطة لم تنجح. على أن كل هذه الاتفاقيات

---

(١) حول هذه الاتفاقيات انظر Kedornie, Elie, England and the Middle East, London 1956.

لم ترسم خريطة ما بعد الحرب، بسبب قيام الثورة في روسيا في مارس ١٩١٧/١٣٣٦ هـ واستيلاء البلاشفة على الحكم في أكتوبر من نفس العام، وانسحبوا من الحرب وأعلنوا عن تخليهم عن نصيبهم من تركة الدولة العثمانية(١).

وهكذا فإن الدولة العثمانية قد أضاعت كل أجزاء أوروبا في أثناء حكم الاتحاديين القصير فقد استقلت بلغاريا، واحتلت النمسا البوسنة والهرسك، وضمت اليونان كريت، واحتلت إيطاليا ليبيا وبعض جزر البحر المتوسط. ومع هذا فقد سيطرت فكرة القومية التركية ثم الطورانية رغم رغبة الناس بالإبقاء على الرابطة العثمانية. ونتيجة لذلك نشأ رد فعل عند العرب فظهرت الحركات القومية التي تغذيها أوروبا لتفكيك أواصر الدولة العثمانية. فتأسست أحزاب عربية مثل حزب اللامركزية والجمعية القحطانية برئاسة عزيز المصري وعبد الكريم الخليل وجمعية العربية الفتاة وحزب الإصلاح من أجل حصول العرب على الحكم الذاتي في إطار دولة الخلافة العثمانية. ودعت هذه الجماعات إلى جعل اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية وتأدية الخدمة الإجبارية العسكرية للعرب في بلادهم. كما عقد مؤتمر عام للعرب في باريس في عام ١٩١٣/١٣٣٢ يطالب بنفس المطالب والإصلاحات الإدارية ووقع اتفاقاً مع الاتحاديين، ولكن الاتفاق لم ينفذ(٢).

ومهما يكن من أمر، فإن هناك عدداً من الزعماء المسلمين العرب كانوا يريدون إصلاح الجهاز الإداري، وتأدية الخدمة العسكرية محلياً، والمحافظة على اللغة العربية ولا يريدون الانفصال عن الدولة

---

(١) Miller, W., op.cit, P.451.

(٢) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، بيروت ١٩٧٣، ص ٢٧٥ ــ ٣١٥.

العثمانية وتجزئتها أبداً غير أنهم في شباك أصحاب الفكر القومي والتيارات المعادية للإسلام[1].

هدنة مودروز واحتلال المضائق:

انتقل إلى الرفيق الأعلى السلطان محمد الخامس (محمد رشاد) في ٣ يوليو ١٣٣٧/١٩١٨ وتولى العرش بعده أخوه وحيد الدين باسم السلطان محمد السادس، وكان الموقف الحربي عصيباً للغاية بالنسبة لألمانيا والنمسا والمجر وتركيا وبلغاريا. كان الأتراك قد فقدوا الولايات العربية التي كانت خاضعة للدولة العثمانية في الشرق العربي الآسيوي، هذا فضلًا عن فقدان أجزاء من الدولة احتلتها إيطاليا واليونان. وقد ساعد دخول الولايات المتحدة الحرب على إحراز الحلفاء للنصر ضد الألمان وحلفائهم ورأى السلطان الجديد إنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد أن استقال جميع وزراء جماعة الاتحاد والترقي وفروا إلى ألمانيا فاختار السلطان الجنرال أحمد عزت باشا صدراً أعظم فطلب بالاتصال ببريطانيا لعقد هدنة. وتم بالفعل عقد هدنة مدروز في أكتوبر ١٣٣٧/١٩١٨ والتي نصت على قيام بريطانيا وحليفاتها باحتلال القلاع والاستحكامات في الدردنيل والبوسفور وفتح الدردنيل والبسفور للملاحة الدولية وبعد أن تم التوقيع على الهدنة قدم أحمد عزت باشا الصدر الأعظم استقالته وخلفه أحمد توفيق باشا صديق بريطانيا وقد حققت بريطانيا من هذه الهدنة ما عجزت عن تحقيقه في الحرب فقد أملت شروطها على تركيا، وانتهكت سيادتها على المضائق، وانتقصت من استقلالها، فاحتلت القوات البريطانية والفرنسية والإيطالية عدة مواقع في المضائق[2].

---

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢٢٧.

(٢) عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٥ .Lewis, B. op.cit, P.240

معاهدة سيفر ١٩٢٠ م/١٣٣٩ هـ

عقدت معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية في ١٠ أغسطس ١٩٢٠ في مدينة سيفر الفرنسية القريبة من باريس. وقد نصت المعاهدة على تخلي الدولة لليونان عما تبقى من تراقيا بما في ذلك أدرنة، كما تخلت الدولة عن حقوقها في جزيرتي أمبروز تندوس وإن احتفظت بجزر بحر مرمرة والآستانة وقطاع من أراضي الدولة في أوروبا وقد رفضت الولايات المتحدة ويوغوسلافيا والشريف حسين بن علي في الحجاز التوقيع عليها.

وهكذا حصلت اليونان على السيادة على مدينة أزمير والمناطق المحيطة بها لمدة خمسة سنوات يحق للسكان بعدها أن يطالبوا بالانضمام إلى اليونان. ووضع البوغازان تحت إدارة دولية مع نزع سلاح الأراضي المجاورة لهما، على أن تبقى استانبول تحت السيطرة الاسمية للدولة العثمانية التي أقرت استيلاء اليونان على جزر بحر إيجة وإيطاليا على جزر الدوديكانيز بما في ذلك جزيرة رودس. وهكذا انتهى وجود الدولة العثمانية باعتبارها دولة أوروبية. وبالإضافة إلى ذلك فقد اعترفت بجمهورية أرمينيا ومملكة الحجاز باعتبارهما دولتين مستقلتين. كما تنازلت الدولة عن كل أملاكها الاسمية في إفريقيا وبحر إيجة، فقد تنازلت لبريطانيا عن قبرص ومصر ولإيطاليا عما بقي لها من الجزر.

أما شروط المعاهدة الأخرى فقد قلصت سيادة الدولة العثمانية، فقد حددت عدد الجيش العثماني بحوالي ٥٠٠٠٠ جندي يخضعون لإشراف الضباط الأجانب، وحددت سلاح الجيش والأسطول، وأعيدت الامتيازات الأجنبية وتقرر تشكيل لجنة جديدة يمثل فيها الحلفاء، مهمتها الإشراف على الدين العثماني العام، وعلى ميزانية الدولة وعلى الضرائب والرسوم الجمركية والعملة والقروض العامة[1].

---

(١) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، حـ ١، ص ٢٤٥ ــ ٢٤٧، Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkuy, P.247.

أرغم السلطان العثماني على توقيع المعاهدة تحت تهديد الأسطول البريطاني وقوات الحلفاء. غير أن الشعب التركي رفض الاستسلام وأبى أن تتمزق بلاده على هذا النحو المزري تحتلها القوات البريطانية والفرنسية والإيطالية واليونانية فثار على الأوضاع التي جاءت بها معاهدة سيفر فقاد مصطفى كمال حركة المقاومة ضد الحلفاء(١).

الحركة الوطنية التركية ودور مصطفى كمال فيها:

قامت الدولة العثمانية بحل لجنة الاتحاد والترقي ومصادرة أملاكها، كما حل السلطان البرلمان وفرضت الرقابة على الصحف وضوعفت ضرائب الفقراء، وعاد نفوذ العلماء من جديد، وتم إلقاء القبض على رجال تركيا الفتاة ونفيهم إلى جزيرة مالطة. كما استاء الأتراك من دخول الأجانب المدن التركية الكبرى حيث رحب بهم الذميون وكانت النتيجة هي يقظة الروح القومية التركية، بعدما أهان الأجانب النصارى واليهود الشعب التركي بممارساتهم اللا أخلاقية وخاصة على أيدي اليونانيين ضد المسلمين. كما حاول السلطان كبح جماح الاتجاهات القومية لكنه لم يستطع، فقد انفجرت الروح الوطنية الكامنة لدى الأتراك، وتحمسوا لمقاومة المحتلين، وتشكلت مجموعات المقاتلين في استانبول والريف، كما انضم إليهم الجيش التركي، واختارت مصطفى كمال أتاتورك رئيساً لها(٢). إثر عقد مؤتمر في أرضروم بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩١٩م (١٣٣٨هـ) وتم عقد الميثاق الوطني، كما عقد مؤتمر سيواس وانتخب مصطفى كمال رئيساً له وأيد المؤتمر القرارات السابقة التي تقضي بالمحافظة على سلامة أراضي الدولة،

(١) Miller, W. op.cit, P.556.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٩٨ ــ ٣٠٠.

والتمسك باستقلال الشعب وتأسست جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول والروملي برئاسة مصطفى كمال[1]. وحاولت الدولة العثمانية إحباط حركة مصطفى كمال ولكن دون جدوى. وقد اكتسبت الحركة أنصاراً في طول البلاد وعرضها، ولما أعلن مصطفى كمال عن إجراء انتخابات جديدة في ١٢ يناير ١٩٢٠م (١٣٣٩هـ) فقد فاز بالأغلبية فيه أنصار مصطفى كمال أتاتورك[2].

اجتمع المجلس النيابي في ٢٣ إبريل ١٩٢٠م (١٣٣٩هـ) في أنقرة التي اتخذها مصطفى كمال عاصمة للدولة، وسمي المجلس الوطني الكبير، وكان مؤلفاً من ٢٧٠ عضواً وحاول أعضاء المجلس إلى ذلك الوقت الإبقاء على علاقات ودية مع السلطان وألا يتخذوا مظهر الثوار، وأعلنوا ولاءهم للسلطان محمد وحيد الدين وأعربوا عن رغبتهم في إنقاذه من أيدي الأعداء[3].

الصراع بين السلطان والكماليين:

لكن السلطان العثماني خاض صراعاً ضد الكماليين، وجاء ذلك في تعيين فريد باشا صدراً أعظم، واستصدر فتوى من شيخ الإسلام تبيح قتل العصاة، وأصدر الصدر الأعظم كذلك إعلاناً ببطلان الانتخابات التي دعا إليها مصطفى كمال، واتهم الأعضاء بأنهم منافقون مخادعون وأنهم لا يمثلون الشعب التركي. وصدرت أحكام غيابه بإعدام مصطفى كمال ورفاقه من محاكم عسكرية في استانبول.

وقد رد الكماليون على السلطان بتشكيل مجلس وزراء في أنقرة في يوم ٤ مايو ١٩٢٠ (١٣٣٩هـ) وعين مصطفى كمال مفتياً جديداً ونقض

---

(١) عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٢٥٥ ــ ٢٦٠.

(٢) Miller, W. op.cit, 556.

(٣) Ibid.

فتوى السلطان، كما أعلن المجلس الوطني أن الداماد فريد باشا خائن. وقد مست هذه القرارات السلطان وشيخ الإسلام والصدر الأعظم. لذا فإن الشعب قابلها باستهجان واستنكار فقام الشعب بمظاهرات احتجاجاً عليها[1]. غير أن الموقف قد تغير لصالحهم بعد التوقيع على معاهدة سيفر في ١٠ أغسطس ١٩٢٠م (١٣٣٩هـ) حيث أثار ذلك غضب الشعب ضد السلطان وحكومته وارتفعت مكانة أنصار مصطفى كمال بعد نجاحهم في محاربة اليونانيين[2].

ونجم عن ثورة مصطفى كمال أن وجدت في تركيا حكومتان في وقت واحد حكومة في استانبول لا حول لها ولا قوة، يرأسها السلطان محمد السادس (وحيد الدين) وهو حاكم شرعي يستمد وجوده من حق توارث العرش العثماني، وحكومة في أنقرة ذات سلطات واسعة يرأسها مصطفى كمال وهو حاكم فعلي[3].

وبدأ النظام الجديد في أنقرة، وقرر التمرد على حكومة استانبول وجعل من المجلس الوطني الكبير حكومة فعلية، ففي عام ١٩٢١/١٣٤٠ أقر المجلس الوطني الكبير الدستور الجديد الذي خوله الاضطلاع بالسلطتين التنفيذية والتشريعية، وتقرر رفض كل المعاهدات التي أبرمتها حكومة استانبول وتشكلت هيئة تنظيم الدفاع الوطني التي قامت بإرسال الأسلحة والذخيرة إلى الوطنيين، في حين استغل موظفو البرق والبريد وظائفهم لإرباك العدو بإذاعة أخبار غير حقيقية عن قوة الحركة الوطنية. وفي نفس الوقت، عقد مصطفى كمال اتفاقاً مع روسيا اعترفت روسيا بموجبه بالميثاق الوطني[4].

---

(١) Lewis, Bernard, op.cit, P.252.

(٢) عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٢٦٤.

(٣) نفس المرجع.

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦.

وخلال هذه الأوقات، دعت انجلترا لعقد مؤتمر في لندن لإعادة النظر في معاهد سيفر، ودعت لذلك حكومة استانبول وحكومة أنقرة، غير أن مصطفى كمال قد اعترض على ذلك، واستنكر دعوة رئيس الوزراء فريد باشا. وإزاء ذلك عزل السلطان فريد باشا من الوزارة وكلف توفيق باشا بالوزارة الجديدة، وهم من أنصار مصطفى كمال، وبقيت هذه الوزارة في الحكم سنتين خدمت خلالها مصطفى كمال حتى قوي أمره في البلاد. ومن ناحية أخرى فقد اتفق مصطفى كمال مع الدول الأخرى إذ اتفق مع اليونان على إعطاء أرمير استقلالاً ذاتياً تحت حكم أجنبي. وتنازل لروسيا عن باطوم، وانسحبت فرنسا من كيليكيا، وانسحبت إيطاليا من أنطاكيا. كما جرى القتال بين الأتراك واليونانيين، وانتصر الأتراك في معركة سقاريا، واضطرت أن تنسحب من تركيا عام ١٣٤٠ هـ/١٩٢١[١].

أما حكومة استانبول فلم تكن تستطيع أن تفعل شيئاً، فالمدينة بيد الحلفاء وهم يظهرون حيادهم، وتابع مصطفى كمال تقدمه في تراقيا عبر خطوط الإنجليز، ثم انسحب اليونان فجأة، وهكذا ذاع صيت مصطفى كمال، وغدا رجل البلاد الوحيد، وعقد هدنة مع اليونان في صيف ١٣٤٠ هـ/١٩٢١. ولم يبق في البلاد سوى الإنجليز[٢].

دعيت أنقرة واستانبول إلى مؤتمر لوزان في خريف عام ١٣٤٠ هـ/ ١٩٢٢ من أجل عقد معاهدة صلح، ورأى مصطفى كمال الوقت مناسباً فأعلن فصل السلطة عن الخلافة، ولما لم يوافقه المجلس، أذاع الموافقة على ذلك بالإجماع من نفسه، وهدد بقتل من يعلن رفضه وبعد خمسة أيام جرى انقلاب في استانبول، وعزل السلطان محمد وحيد الدين ونفي إلى جزيرة مالطة لأنه رفض أن يكون ملكاً رمزياً لا علاقة له بالحكم. ونودي بابن عمه عبد المجيد خليفة للمسلمين، والتفت حوله

---

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣.

(٢) د/علي حسون، الدولة العثمانية، ص ٢٤٥ ــ ٢٤٧.

الجماعات المناوئة لمصطفى كمال أتاتورك[1]. وبعد ثلاثة أيام عقد مؤتمر لوزان، وحضره وفد أنقرة فقط، ووضع كرزون رئيس الوفد الانجليزي أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وهي:

١ ـ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تاماً.

٢ ـ طرد الخليفة خارج الحدود.

٣ ـ مصادرة أمواله.

٤ ـ إعلان علمانية الدولة[2].

إلغاء الخلافة وإعلان دولة تركيا الحديثة:

رفض الوفد التركي برئاسة عصمت إينونو هذه المطالب، وأيده المجلس الوطني في تركيا بهذا الرفض وعاد إلى بلاده. غير أن مصطفى كمال قرر تنفيذ ذلك وفي ٢٤ يوليو ١٩٢٣/١٣٤٢ هـ جرى التوقيع على معاهدة لوزان التي نصت على عودة السيادة التركية على كل الأراضي التي تشتمل عليها تركيا الحالية وألغت الامتيازات الأجنبية[3]. ونتيجة لذلك انسحبت قوات الحلفاء ودخلت القوات التركية استانبول، وأصدر المجلس الوطني قراراً نص على أن تكون أنقرة عاصمة للدولة بدلًا من استانبول، كما صدر قرار آخر بإعلان تركيا دولة جمهورية برئاسة مصطفى كمال واختير عصمت إينونو اول رئيس لوزارتها وتبع ذلك بإلغاء الخلافة بعد عام في عام ١٩٢٤ م/١٣٤٣ هـ. وصدر في الوقت نفسه أمر إلى السلطان عبد المجيد بمغادرة البلاد، وتلا ذلك إلغاء الوظائف وأصبحت الأوقاف ملكاً للدولة، وهكذا حقق مصطفى كمال ما طلبه الإنجليز لنجاح مؤتمر لوزان.

(١) المرجع نفسه.

(٢) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٢٧٠ ــ ٢٨٠.

(٣) د/فاضل حسين، مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية، بغداد ١٩٦٧، ص ٢٢ ــ ٢٣.

تفرد مصطفى كمال بحكم البلاد بعد إلغاء الخلافة الإسلامية، فألغى القانون الإسلامي، والحروف العربية واستبدلها بالحروف اللاتينية، وتبنى التقويم الميلادي.

وترجم القرآن للتركية، ومنع الحجاب وفرض السفور واللباس الأجنبي، وقضى على كل ما كان قديماً أو تقليدياً أو له صفة دينية، وجعل لباس العلماء خاصاً بالمساجد أو خارجها فلباسهم اللباس الأجنبي[1].

وهكذا ألغيت وزارة الأوقاف ووظيفة شيخ الإسلام، وجرى نقل الأشراف على المدارس الدينية إلى إدارة التعليم المدني. ثم ألغيت المحاكم الشرعية. وقد أثارت هذه الإجراءات سخط بعض رفاق مصطفى كمال الذين انشقوا عليه، كما نشبت ثورة كردية طالب الأكراد خلالها بتنصيب سليم ابن السلطان عبد الحميد خليفة وسلطاناً. وقد قمع مصطفى كمال التمرد وأعدم قادته، كما قضى مصطفى كمال على أتباع الطرق الصوفية فأغلق تكاياها وحل منظماتها. وحدد عدد المساجد وخفض عدد الوعاظ الذين أصبحوا يتلقون رواتبهم من الدولة. وأغلق جامعي أياصوفيا ومحمد الفاتح فحول الأول إلى متحف والثاني إلى مستودع. وأصبح الأذان باللغة التركية وفي عام ١٩٢٨ ألغى نص الدستور الذي يجعل من الإسلام ديناً رسمياً للدولة. وسمح للمسلمين بتعاطي المشروبات الروحية وبدأت تظهر التماثيل والنقوش التي كانت محرمة في ظل الدول الإسلامية وآخرها الدولة العثمانية. وألغى تعدد الزوجات وأصبح الطلاق يتم أمام المحاكم. ووجه الضربة الأخيرة للنظام الملي حين أصبح رعايا الدولة متساوين أمام القانون ورغم ذلك فقد

---

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢٣٤، وانظر كذلك Armstrong Grey Wolf, Mustafa Kamal, (NewYork 1972).

حافظت الفئات الشعبية على العادات القديمة، ولم تستطع الدولة فرض القوانين على الناس ما داموا غير مقتنعين بها[1].

وأسس مصطفى كمال حزب الشعب الجمهوري، وكانت مبادئ الحزب تشتمل على الأهداف التالية (القومية، الجمهورية، الشعبية، العلمانية، الثورية، سلطة الدولة، وفرض نظام الحزب الواحد ومضى قدماً في الطابع العلماني والعصري على تركيا الحديثة، في الوقت الذي أضعف فيه النظام الإسلامي. وتلا ذلك قيام الإصلاحات الاقتصادية وتركيز السلطة، وسمى نفسه أتاتورك بمعنى أبو الترك. ومنح المرأة حق الانتخاب والترشيح للمجالس النيابية، وألغى الألقاب القديمة وفرض على الأتراك ارتداء القبعة والملابس الأوروبية. وفي عام (١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م) توفي أتاتورك وخلفه عصمت إينونو رئيساً للجمهورية. وهكذا استطاع مصطفى كمال أن يطوي صفحة دولة الخلافة العثمانية وإحلال دولة تركيا العلمانية محلها[2].

---

(١) Lewis, Bernard, op.cit, P.254.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٣١٥ ــ ٣١٧.

الفصل العاشر

خدمات الدولة العثمانية للإسلام والعروبة

لا ريب أن الدولة العثمانية قد قامت بدور هام وبارز في نشر الإسلام في أوروبا، رغم ما تعرضت له من تكتلات صليبية حاقدة ضد الإسلام والمسلمين، وتبادلت الدولة مع أعدائها الهزائم والانتصارات، إلا أنها قدمت خدمات جليلة للمسلمين والعرب، وقامت بحماية الشرق العربي والإسلامي من الغزو الاستعماري لمدة ثلاثة قرون ومن أهم ما قامت به في هذا المجال:

أولًا: حماية الأماكن المقدسة الإسلامية من مخططات الصليبية البرتغالية:

كانت أعظم خدمة أسدتها الدولة العثمانية للإسلام أنها وقفت في وجه الزحف الصليبي الاستعماري البرتغالي للبحر الأحمر والأماكن المقدسة الإسلامية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي. فعلى الرغم من أن الدولة أخفقت في طرد الاستعمار البرتغالي من مراكزه في المحيط الهندي ومنطقة الخليج العربي، إلا أنها نجحت في منع تغلغله إلى الحجاز حيث كان البرتغاليون يعتزمون تنفيذ مخطط صليبي فظ في قسوته ووحشيته، وهو دخول البحر الأحمر واجتياح إقليم الحجاز باحتلال ميناء جدة، ثم الزحف على مكة المكرمة واقتحام المسجد الحرام

وهدم الكعبة المشرفة، ثم موالاة الزحف منها على المدينة المنورة لنبش قبر الرسول ﷺ، ثم استئناف الزحف على تبوك ومنها إلى بيت المقدس والاستيلاء على المسجد الأقصى. وبذلك تقع هذه المساجد الثلاثة في أيدي البرتغاليين[1]. وكان الأسطول البرتغالي قد نجح في دخول البحر الأحمر وقام بمحاولتين لاحتلال ميناء جدة. كانت الأولى في عام (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) والثانية في عام (٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) ولكنه أخفق في محاولتيه. فأرسل البرتغاليون حملة كبرى إلى ميناء السويس باعتباره قاعدة الأسطول العثماني في البحر الأحمر واستهدفوا تدمير هذه القاعدة، ولما بلغوا الطور علموا أن الأسطول العثماني يقف في حالة تأهب وارتدوا على أعقابهم دون أن يلتحموا به[2].

وقررت الدولة اتخاذ اليمن قاعدة حربية للدفاع عن البحر الأحمر ومنع السفن البرتغالية من دخوله ثم عممت هذا المنع على جميع السفن المسيحية بحيث كان على هذه السفن أن تفرغ شحناتها في ميناء المخا في اليمن وتعود أدراجها إلى المحيط الهندي. وكانت حجة الدولة العثمانية في هذا المنع هي أن الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز تطل على مياه البحر الأحمر، ويجب ألا تدنس مياهه بوجود سفن مسيحية تمخر عباب هذا البحر. وقد ظل هذا الحظر معمولاً به حتى القرن الثامن عشر[3].

وجدير بالذكر أن المشروع البرتغالي الصليبي لم يكن الأول من نوعه، فقد حدث في أثناء الحروب الصليبية في الشرق العربي أن تجرأ أحد أمراء الصليبيين واسمه أرناط وكان صاحب حصن الكرك، وقام بمشروع خطير سنة (٥٧٨هـ / ١١٨٢م) لغزو الحرمين الشريفين. فبنى

---

(١) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، حـ ٢، القاهرة ١٩٨٠، ص ٨٦٢.

(٢) (٣) نفس المرجع، ص ٨٦٢ ــ ٨٦٣.

عـدة سفن حملت أجـزاؤهـا مفككـة على ظهـور الجمال حتـى إيلـه (العقبـة) على خليج العقبة وأعيد تركيبها ثم قامت بهجوم على ساحل الحوراء قرب ينبع. وأغار الصليبيون على القوافل وأصبحوا على مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة واعتزموا الزحف عليها ونبش قبر الرسول ﷺ وإخراج جسده الطاهر ونقله إلى بلادهم. غير أن العالم الإسلامي في الشرق وقتذاك كانت تجمعه وحدة سياسية قوية على رأسها صلاح الدين الأيوبي. ووجب على مصر حماية الأماكن المقدسة في الحجاز فما كادت تصل إليه وهو في الشام هذه الأخبار حتى عهد إلى نائبه في مصر العادل سيف الدين بتجهيز قائد الأسطول الأمير حسام الدين لؤلؤ، وتعقب هؤلاءالصليبيين في الحجاز وعمل على إبادتهم أو أسرهم. وأصر صلاح الدين بقتل الأسرى ليكونوا عبرة لكل من يتجرأ على الاعتداء على حرم الله وحرم رسوله[1].

ثانياً: الدولة العثمانية تحافظ على إسلام وعروبة شمالي إفريقيا:

من الخدمات الجليلة التي قدمتها الدولة العثمانية للإسلام والعروبة أنها حافظت على إسلام وعروبة سكان شمالي إفريقيا من أخطار الغزو الصليبي الاستعماري الأوروبي، الذي حملت لواءه البرتغال وإسبانيا والمنظمة الصليبية المعروفة باسم فرسان القديس يوحنا والتي اتخذت من جزيرة مالطة مستقراً ومقاماً. وكان من أهداف هذا الغزو أيضاً إنشاء ممالك مسيحية تتناثر على الساحل الشمالي لإفريقيا كمرحلة ثالثة وبذلك يغدو البحر المتوسط في المدى البعيد بحيرة مسيحية أوروبية، ويعقب ذلك تغلغل صليبي أوروبي جنوباً في داخل القارة الإفريقية. ولكن تصدت الدولة العثمانية لهذه المشروعات الصليبية الاستعمارية فأصبحت أحلاماً وغدت هباء مثبتاً.

---

(١) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، حـ ٢، ص ٨٦٣.

بسطت الدولة العثمانية سيادتها على ثلاثة أقاليم في شمالي إفريقيا في القرن السادس عشر وكانت حسب ترتيب دخولها تحت السيادة العثمانية: الجزائر وطرابلس وتونس. ولم تمد الدولة نفوذها إلى مراكش لرفض الأسرة السعدية التي تنتمي إلى سلالة الرسول ﷺ الدخول في تبعية الحكم العثماني.

وكان سكان تلك الأقاليم وبخاصة الجزائر وطرابلس قد استنجدوا بالدولة العثمانية على أساس أنها أكبر وأقوى دولة إسلامية اكتسحت دولاً أوروبية عديدة وفتحت مصراً والشرق العربي الآسيوي. وطالب سكان شمالي إفريقيا بإنقاذهم من الزحف الصليبي الاستعماري الأوروبي الذي كان خطره يتفاقم يوماً بعد يوم. واستجابت الدولة لاستغاثاتهم. ولذلك لم يكن دخول العثمانيين إلى شمالي إفريقيا نتيجة معارك حربية خاضتها القوات المسلحة العثمانية ضد أهالي البلاد، أو تدخل مباشر من حكومة استانبول على غرار ما حدث في الشام أو مصر أو العراق، ولكنهم فتحوها منقذين للسكان من أخطار القضاء على دينهم وطمس عروبتهم وتحويل بلادهم إلى جزء من العالم المسيحي. أما تونس فكان الوضع فيها يختلف حيث اشتد الصراع عليها بين الدولة العثمانية والأمبراطورية المقدسة، وتبادلت الدولتان الهزيمة والانتصار أكثر من مرة حتى عادت تونس للحكم العثماني عام (٩٨٢هـ/١٥٧٤م)، واستقر الحكم العثماني فيها وتأسست النيابة الثالثة والأخيرة في شمالي إفريقيا[1].

ثالثاً: إيجاد وحدة طبيعية بين الولايات العربية:

أوجدت الدولة العثمانية وحدة بين الولايات العربية التي دخلت تحت سيادتها، فاحتفظت هذه الولايات بمقوماتها الأساسية: الدين

(١) د.محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة ١٩٧٧، ص ٤٥ ــ ٤٦.

الإسلامي، واللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية، والتقاليد والعادات الموروثة عبر العصور. وكان سكانها تجمعهم دولة إسلامية واحدة هي الدولة العثمانية، وتضمهم رعوية واحدة بصفتهم رعايا عثمانيين ويشتركون في تبعيتهم لحاكم واحد هو السلطان العثماني. ولم تلجأ الدولة العثمانية إلى إقامة حدود مغلقة بين الولايات العربية أو حواجز مصطنعة بين سكانها. فكانت حرية الانتقال والسفر أمامهم مكفولة ومحترمة في جميع الأوقات وكانت فرص العمل متاحة لهم في كل الأوقات. وكان في مقدور العربي في دمشق مثلاً أن ينتقل إلى بغداد أو مكة المكرمة أو المدينة المنورة أو القاهرة أو القيروان أو غيرها من مدن الولايات العربية ويعيش فيها ويمارس ألواناً من النشاط الاقتصادي أو الثقافي دون أن يحصل على إذن بالخروج أو الإقامة. وكانت هذه هي أول وحدة تتحقق للعالم العربي إبان الحكم العثماني بعد تفتت وحدته بسقوط الدولة العباسية في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي عقب غزو المغول وتخريب مدينة بغداد وانسياحهم في وادي الرافدين ثم شمالي بلاد الشام إلى جنوبي فلسطين. ولذلك يرى عدد من المؤرخين والباحثين أن الوحدة التي تمت على أيدي العثمانيين تعتبر نقطة البداية في تاريخ العرب الحديث[١].

وفضلاً عن تلك التبعية السياسية كانت وشيجة الدين تربط سكان الولايات العربية بالسلطان العثماني باستثناء أهل الذمة. وكانوا قلة عددية يعيشون على هامش المجتمعات الإسلامية في الولايات العربية[٢].

---

(١) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية... مرجع سبق ذكره، حـ ٢، ص ٩٣٦.

(٢) يرى الدكتور أنيس الصايغ أن العلاقات بين الأكثرية المسلمة السنية في الولايات العربية والأقليات المذهبية والعنصرية فيها قد خلقت مشكلة شائكة ومزمنة بشكل عام. وقد أسهمت بريطانيا وفرنسا في توسيع شقة الخلاف بين الأكثرية والأقلية وشجعت الأقلية على عدم الاختلاط والاندماج. ونتج عن ذلك انكماش من الأقليات وانقلابها على نفسها. مما عزلها عن الأكثرية.

أنيس الصايغ، الهاشميون وقضية فلسطين، بيروت ١٩٦٦، ص ٩٥.

وكانت وشيجة الدين من أقوى الوشائج التي ربطت الجماهير العربية بالدولة العثمانية، فأخلصوا لها واشتركوا في حروبها ضد التكتلات الصليبية التي واجهتها، وكان يزداد ولاؤهم لها والتصاقهم بها إذا تعرضت الدولة لهزيمة عسكرية من دولة أوروبية. وكان الدين يعمل في تلك العصور في تقرير الأوضاع السياسية والحربية لشعوب الولايات العربية[1].

ولعل خير مثال للترابط الديني بين سكان الولايات العربية إبان الحكم العثماني ما حدث في مصر عندما نزلت الحملة الفرنسية أرض مصر عام (١٢١٣هـ / ١٧٩٨م) بقيادة نابليون بونابرت وكانت هذه الحملة هي أول غزو عسكري مسيحي أوروبي لولاية عربية من ولايات الدولة العثمانية في الشرق الإسلامي في التاريخ الحديث. وقد أعلن السلطان سليم الثالث (١٢٠٤-١٢٢٤هـ / ١٧٨٩-١٨٠٧م) الجهاد الديني ضد الفرنسيين. واستجاب لدعوة الجهاد الديني عرب الحجاز والشام وشمالي إفريقيا. وقد صمموا على الظفر بإحدى الحسنيين: الاستشهاد أو الانتصار، واتخذوا شعاراً لهم الآية الكريمة: ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾[2]. وهكذا فإن سكان الولايات العربية لم ينظروا إلى السلطان العثماني على أنه سلطان المسلمين فحسب، بل نظروا إليه أيضاً على أنه خليفة المسلمين يستظلون بظل خلافته. وكانت السمة البارزة في تاريخ الولايات العربية وقتذاك أنها كانت مجتمعات دينية إسلامية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان. ولم ينظر العرب للدولة العثمانية على أنها دولة أجنبية، ولم ينظروا إلى الحكم العثماني على أنه استعمار. وظلت هذه الفكرة السياسية الدينية مسيطرة على أذهان الغالبية العظمى من الشعب العربي إلى أوائل القرن العشرين. ولم

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة التوبة، الآية رقم ٤١.

تتدخل الدولة في شؤون الحكم إلا في نطاق ضئيل وبقدر يسير. فاعتبرت نفسها مسؤولة عن حماية الولايات العربية وتوفير الأمن فيها وإقامة الشعائر الدينية والحفاظ على مبادىء الشريعة الإسلامية وتنظيم وحماية قوافل الحج إلى إقليم الحجاز، والإشراف على القضاء وجمع الضرائب بواسطة شيوخ الطوائف على هذه المجالات في الولايات العربية. وتركت سكانها يعيشون على النحو الذي كانوا يألفون[١].

إن الوحدة التي قامت بين الولايات العربية إبان الحكم العثماني، تبدو أكثر إشراقاً إذا قورنت بالتفتيت السياسي الذي اصطنعته الدول الأوروبية الاستعمارية عقب استيلائها على معظم هذه البلاد تحت اسم الاحتلال أو الانتداب أو الحماية من قبل عصبة الأمم أو مناطق النفوذ[٢].

وهكذ عملت بريطانيا على تفرقة وتجزئة الشعب العربي في الشرق العربي الآسيوي، ففصلت بريطانيا شرقي الأردن عن فلسطين، وفصلت شرقي الأردن وفلسطين عن سوريا وفرقت بين سوريا والعراق، واعترفت بعبد العزيز آل سعود سلطاناً مستقلاً على نجد، وبالإمام يحيى إماماً مستقلاً على اليمن. ونهجت فرنسا نهج بريطانيا في تفتيت سوريا ولبنان. أما مصر وشمالي إفريقيا فقد أبقى الاستعمار على التفتيت السياسي الذي كان قائماً بينها قبل الحرب العالمية الأولى تحت الاستعمارالبريطاني والإيطالي والفرنسي والإسباني. وظهرت الخلافات والأطماع الشخصية بين رؤساء وقادة العرب مما عرقل سيرة الاستقلال والوحدة العربية[٣].

---

(١) عبد العزيز الشناوي، الوحدة العربية في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة ١٩٧٥، ص ٨، وانظر كذلك الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة ١٩٨٠، حـ ٣، ص ٨٨، ص ١٠٧.

(٢) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية. . ص ٩٤٦ ـ ٩٤٧.

(٣) أنيس الصايغ، الهاشميون وقضية فلسطين، بيروت ١٩٦٦، ص ٩٣ ـ ٩٤.

رابعاً: إبعاد الزحف الاستعماري عن الوطن العربي:

ظلت الولايات العربية زهاء فترة تراوحت بين ثلاثة وأربعة قرون من القرن السادس عشر إلى أوائل القرن العشرين، بمنأى عن الزحف الأوروبي الاستعماري عليها ما بقيت الدولة العثمانية قوية مهيبة الجانب. فلما دخلت الدولة في دور الاضمحلال وتبين للدول الأوروبية أن الدولة العثمانية عاجزة عن التصدي للدول الاستعمارية، تعرض العالم العربي للغزو الأوروبي النصراني الاستعماري، كما تعرضت أقاليم أخرى إسلامية وغير إسلامية في قارات آسيا وإفريقيا واستراليا. وكانت فرنسا من أسبق الدول الأوروبية في الزحف والسيطرة على الأقاليم العربية. فنجحت في احتلال نيابة الجزائر عام (١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م). ولا شك أن من أهم العوامل التي شجعت فرنسا على احتلال الجزائر أن الدولة العثمانية كانت قد فقدت أسطولها في معركة نفارين البحرية ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧م (١٢٤٣هـ). ولما كان اقتطاع فرنسا للجزائر بصفة الأخيرة إقليماً إسلامياً عربياً من أقاليم الدولة العثمانية سابقة خطيرة قد تحتذيها دولة استعمارية أخرى تجاه الوطن العربي، لم تستسلم الدولة العثمانية لانتزاع الجزائر منها[1].

حاولت الدولة العثمانية بالطرق الدبلوماسية استرداد الجزائر، وبذلت مساع مكثّفة لدى بريطانيا والنمسا وروسيا ولدى فرنسا أيضاً تؤكد حقها في بقاء هذا الإقليم في إطار الدولة تأسيساً على أن السيادة العثمانية عليه معترف بها من المجموعة الدولية وأن الجزائريين هم رعايا السلطان ولم تجد الدولة العثمانية تأييداً من بريطانيا لوقوع أحداث هامة في أوروبا شغلت بريطانيا عن كل شيء. وهكذا فشلت الدولة العثمانية في اتصالاتها مع الدول الأوروبية، وحاولت استخدام القوة لاسترداد الجزائر إلا

---

(١) د/محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، ص ٨٨ ــ ٨٩.

أنها عدلت عن ذلك بسبب عدم تمكنها من شن حرب على فرنسا لضعف الأسطول العثماني والجيش العثماني كذلك. وأدى ذلك إلى قيام حرب باردة بين الجزائر والدولة العثمانية ونجحت الدولة العثمانية في إنهاء حكم القرمانليين في طرابلس عام (١٢٥١هـ / ١٨٣٥م) وإعادة هذه النيابة إلى الحكم العثماني. واستغلت الدولة هذا الوضع الجديد فتظاهرت بإرسال قوات برية من الأناضول إلى طرابلس ومنها إلى الجزائر عبر تونس. ولكن فرنسا هددت الدولة العثمانية بإرسال أسطولها وخشي الأسطول العثماني من الاحتكاك بالأسطول الفرنسي، فغادر طرابلس إلى مالطة ثم إلى استانبول وبذلك قنعت الدولة العثمانية بهذه الحرب الباردة والتي انتهت عند هذا الحد[1].

وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام (١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م)، توقف الزحف الأوروبي الاستعماري على الولايات العربية مدة ناهزت الخمسين عاماً بسبب اشتداد حدة التنافس بين الدول الأوروبية على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية وتوزيعها أسلاباً فيما بينها، وما صحب هذا التنافس من حروب ومؤتمرات ومعاهدات ازدحم بها تاريخ الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وانتهجت هذه الدول سياسة التعويض وسياسة المصالحة على حساب الدولة العثمانية في مؤتمر برلين عام (١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)، وبسطت فرنسا حمايتها على تونس عام (١٢٩٩هـ / ١٨٨١م)، واحتلت بريطانيا مصر عام (١٣٠٠هـ / ١٨٨٢). وكان قد سبق فرض الحماية والاحتلال على هذين البلدين العربيين الإسلاميين انتهاج سياسة التغلغل السلمي، عن طريق تقديم قروض أوروبية ضخمة، بحيث عجزتا عن سداد القروض وفوائدها مما أدى إلى التدخل في الشؤون المالية وبعد ذلك في الشؤون السياسية

(١) د. عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ص ٩٥٣ ــ ٩٥٨.

وانتهت بالغزو العسكري[1]. واشتركت بريطانيا مع مصر في حملة مشتركة عام (١٣١٤هـ / ١٨٩٦م)، لاسترداد السودان واتخذت من هذا الاشتراك ذريعة لإقامة حكم ثنائي بريطاني مصري في السودان عام (١٣١٧هـ / ١٨٩٩م). وكان هذا الحكم الثنائي في لحمته وسداه فصلاً فعلياً بين شطري الوادي واستئثاراً من بريطانيا بالانفراد في حكم السودان[2]. وما لبثت بريطانيا أن عصفت بالمظهر الشكلي لهذا الحكم الثنائي. ثم احتلت إيطاليا طرابلس وبرقه في عام (١٣٣٠هـ / ١٩١١م)، وفي مطلع الحرب العالمية الأولى احتلت القوات البريطانية البصرة في العراق، واستمرت القوات البريطانية تواصل زحفها في العراق وقتالها حتى تمكنت من احتلال العراق احتلالاً كاملاً عام (١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) وبانتهاء الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية تقاسمت الدول العربية ما تبقى من أقاليم عربية بموجب قرارات مؤتمر الصلح (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م)، ومؤتمر سان ريمو (١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) فسيطرت بريطانيا على العراق وفلسطين وشرق الأردن كما سيطرت فرنسا على سوريا ولبنان في شكل انتداب وغدت هذه الأقاليم تحت الحكم الأجنبي بقرارات تصدر من لندن وباريس وروما[3].

خامساً: الدولة تضفي الهدوء والاستقرار على الولايات العربية:

أضفت الدولة العثمانية على ولاياتها العربية نوعاً من الهدوء والاستقرار السياسي. وكانت بلاد الشام والعراق تعانيان الكثير من المتاعب والفوضى والتخريب من آثار غزوات المغول المدمرة والتي نجحت مصر في صدها عندما أوقعت بالمغول هزيمة حاسمة في معركة

(١) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٩٥٨ ـ ٩٥٩.

(٢) د/محمد فؤاد شكري، مصر والسودان، دار المعارف بمصر ١٩٥٨، ص ٤٧٣ ـ ٥١٨.

(٣) دكتور محمد بديع شريف وأخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديث، القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٥.

عين جالوت شتتت شملهم وأنقذت أقاليم الشرق والمغرب العربي من شرورهم.

خضع السكان في الولايات العربية للحكم العثماني وقد كان العثمانيون مسلمين مثلهم، ويعتنقون مذهب السّنة مثلهم، ويحرصون على تطبيق مبادىء الشريعة الإسلامية، ويحافظون على الشعائر الدينية مثل الاحتفال برؤية الهلال لشهر رمضان وغيرها. ولم تضيق السلطات العثمانية عليهم كما أنها لم تتدخل في شؤونهم إلا في نطاق محدود مثل جمع الضرائب والإشراف على القضاء وتوفير الأمن. وتركت للشعب العربي شؤون التعليم والصحة والمواصلات والتي تعتبر في الوقت الحاضر من صميم واجبات الحكومات. وعلى العموم، فقد تركت السلطات العثمانية الجماهير العربية تحيا على النحو الذي ألفته من قبل دون تغيير جوهري مس حياتهم.

ومع ذلك تعرضت بعض الولايات العربية لهزات سياسية وسط الهدوء الذي كانت تعيش في ظلاله الوارفة. وكان يجتاح الولايات العربية من وقت إلى آخر نوعان من الاضطرابات.

أولاهما: انتفاضات شعبية وكان يقوم بها سكان حي أو مدينة ضد الحكام المحليين احتجاجاً على ظلم حكامهم ورفع شكواهم للسلطان العثماني.

ثانيهما: حركات سياسية وعسكرية يقوم بها أفراد طموحون مثل حركة علي بك الكبير وحركة ظاهر العمر والتي لم تلق استجابة واستحساناً من الجماهير[1].

(١) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ٩٦١ ــ ٩٦٣.

سادساً: الدولة تمنع انتشار المذهب الشيعي إلى ولاياتها العربية.

من المعروف أن المذهب الرسمي للدولة العثمانية كان المذهب السني واعتبرت الدولة العثمانية نفسها حامية لهذا المذهب. وتأسيساً على هذه الحقيقة فإنها منعت انتشار المذهب الشيعي إلى ولاياتها العربية في آسيا وإفريقيا باستثناء العراق الذي كانت الدولة الصفوية قد نشرت المذهب الشيعي فيه قبل الدولة العثمانية بحيث أصبح أهل السنة وأهل الشيعة قوتين متوازيتين تقريباً من حيث تعدادهم. وقد أبقت الدولة العثمانية على هذا الوضع، وذهبت إلى أبعد من ذلك فاحترمت مشاعر أهل الشيعة واهتمت بتعمير مناطق العتبات المقدسة في النجف وكربلاء في العراق، ويسرت زيارتها أمام شيعة العراق وفارس والهند وأفغانستان. ولذلك فإن أهل السنة ينظرون إلى الدولة العثمانية على أنها قدمت خدمة جليلة بحصر المذهب الشيعي في فارس بحيث لم تسمح بتسربه إلى الأقاليم العربية التي دخلت تحت السيادة العثمانية. ولا تزال إيران هي المعقل الأول للشيعة في العالم الإسلامي[1].

سابعاً: الدولة العثمانية تمنع اليهود من استيطان سيناء:

لما فتح السلطان سليم الأول مصر عام (٩٢٣هـ / ١٥١٧م)، أصدر فرماناً بمنع اليهود من الهجرة إلى سيناء وواضح من صدور هذا المرسوم بأن اليهود كانوا يريدون الهجرة إلى هذا الإقليم المصري واستيطانه على أساس أنه يضم الوادي المقدس طوى الذي كلم الله سبحانه وتعالى فيه موسى عليه السلام تكليماً ومن ثم أصدر السلطان سليم الأول الفرمان الذي سد الطريق في وجوه اليهود. ولما تولى ابنه سليمان المشرع (القانوني) عرش الدولة عام (٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) أصدر فرماناً لاحقاً أكد

(١) د/عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، جـ ٢ ص ٩٦٤ ــ ٩٦٦.

فيه ما جاء في الفرمان السابق، مما يدل على أن الخطر اليهودي كان لا يزال ماثلاً من حيث رغبتهم في استيطان سيناء واستعمارهم لها، الأمر الذي كان يقلق الدولة العثمانية. واستطال حكم سليمان زهاء ستة وأربعين عاماً (٩٢٧-٩٧٤هـ / ١٥٢٠-١٥٦٦م) ولم يجرؤ اليهود على تنفيذ ما كانوا يبيتون. فلما جاز إلى ربه جاء بعده ابنه السلطان سليم الثاني وكان منحرفاً خلقياً (٩٣٣-٩٨٢هـ / ١٥٢٦-١٥٧٤م) ومنذ حكمه بدأت النذر الأولى لاضمحلال الدولة، وخلفه سلاطين على شاكلته وكان أولهم مراد الثالث (٩٨٢-١٠٠٥هـ / ١٥٧٤-١٥٩٦م). وتنفس اليهود الصعداء وأدركوا أن الفرصة سانحة لهم لتحقيق حلم راودهم طويلاً، فنزحوا في هجرات متقطعة على فترات متقاربة إلى سيناء لاستيطانها. وتركزت إقامتهم في مدينة الطور ليسهل على اليهود إيجاد اتصالات خارجية عن طريق ميناء المدينة بحيث يتمكن اليهود من الهجرة والقدوم إلى سيناء من بلدان مجاورة[١].

وقد تزعم حركة التهجير رجل يهودي يدعى أبراهام، استوطن الطور مع أفراد أسرته وأولاده. وكان من المحتمل أن تمر سنوات دون أن تدري بهم السلطات العثمانية لولا أنهم تعرضوا بالأذى لرهبان دير سانت كاترين مما حمل الأخيرين على إرسال شكاوي مكتوبة كلها تؤكد على عدم أحقية اليهود للسكن في هذه المنطقة وإيذاء رهبان الدير بأي حال من الأحوال وصدرت أوامر الدولة العثمانية بطرد اليهود من دير سانت كاترين ومنعهم من العودة إليه مستقبلاً وهذا يدل على حرص الدولة العثمانية على منع اليهود من استيطان سيناء وإشعارهم بقوة الدولة العثمانية ويقظتها لأهدافهم[٢].

---

(١) نفس المرجع، ص ٩٦٦.

(٢) د/أنيس صايغ، الهاشميون وقضية فلسطين، بيروت ١٩٦٦، ص ٢٢.

وعندما احتلت بريطانيا مصر عام (١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م)، عاود اليهود مطالبهم في سيناء بعد أن رفض السلطان عبد الحميد الثاني فتح أبواب الهجرة أمامهم إلى فلسطين. وكان تيودور هرتزل زعيم المنظمة الصهيونية العالمية قد أطلق على سيناء اسماً معبراً هو فلسطين المصرية ليتخذ منها في المستقبل نقطة وثوب إلى فلسطين الآسيوية (فلسطين الحالية). ولذلك دخل هرتزل في مفاوضات عام (١٣١٦هـ / ١٨٩٨م) مع بعض أعضاء الوزارة البريطانية. وبخاصة جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات ولورد لانزدون وزير الخارجية من أجل توطين اليهود في سيناء على أساس إقامة دولة يهودية فيها تتمتع بالحكم الذاتي في نطاق الإمبراطورية البريطانية، ووافق الوزيران على الاقتراح لأنه يحقق لبريطانيا أهدافاً استراتيجية : منها ضمان حماية شرقي قناة السويس، وعزل مصر عن الولايات العربية في غربي آسيا، وإضعاف الدولة العثمانية، وإقامة دولة موالية لبريطانية غير أن هذا المشروع بعد بحثه فشل بسبب معارضة السلطان عبد الحميد الثاني له أولاً، وبسبب معارضة اللورد كرومر حاكم مصر ومعتمد بريطانياً لدى مصر. وتوقف بحث مشروع استيطان اليهود في سيناء[1].

ثامناً: الدولة تحد من هجرة اليهود إلى فلسطين:

تطلع اليهود على مر العصور التاريخية إلى فلسطين كإقليم يجمع شتاتهم وينشئون فيه دولة متذرعين بادعاءات دينية وتاريخية. فقد أسس اليهود الحركة الصهيونية، ونجحت في استقطاب الدول الكبرى وتأييدها وكان على الدولة العثمانية أن تخوض دفاعاً عن فلسطين صراعاً سياسياً مريراً ضد القوى الصهيونية والدول الأوروبية المناصرة. ونجح الصهاينة

(١) Stein Leonard, The Balfour Declaration London 1967, PP.26 - 93.

في توقيت حركتهم ونجاحها نجاحاً باهراً، فاختاروا فترة عصيبة من فترات الاضمحلال التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، ولكن الدولة العثمانية عملت في حدود إمكانياتها على الحد من الهجرة إلى فلسطين وقاومت بذلك الحركة الصهيونية. وقد رفض السلطان عبد الحميد الإغراءات الصهيونية التي عرضها عليه هرتزل - رغم الضائقة المالية التي تمر بها الدولة العثمانية - وبذلك حافظ على عروبة وإسلامية فلسطين[1].

دور الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا:

تشغل الدولة العثمانية حيزاً كبيراً للغاية في التاريخ حيث امتدت فتوحاتها إلى ثلاث قارات هي آسيا وأوروبا وإفريقية، وغدت دولة آسيوية أوروبية إفريقية. وبذلك فإن الدولة العثمانية كانت أول دولة إسلامية في التاريخ الأوروبي تصل بقواتها الجرارة إلى هذه الأراضي الأوروبية. وكان الوجود الإسلامي العثماني العسكري والسياسي حقيقة لا جدال فيها. وقامت الدولة بدور هام في نشر الإسلام في أصقاع شتى من الأقاليم الأوروبية. وكان العثمانيون ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مسلمون قبل كل شيء فكان ولاؤهم يتجه إلى الدين الإسلامي أولًا، ثم إلى السلطان ثانياً، ثم إلى الدولة ثالثاً. وكانت روح الجهاد الديني غالبة في إسلام العثمانيين. وازدادت قوة وصلابة عندما استقروا في الأناضول على حدود أو على مقربة من الكيانات المسيحية المتناثرة وقتذاك في هذا الإقليم[2]. واحتفظوا بهذه الروح في مسيراتهم الحربية في أوروبا. فالإسلام عند العثمانيين دين محاربين. وازدادت هذه الروح الدينية

(١) مذكرات هرتزل، ص ٢٧٥.

(٢) Lewis, Bernard· The Emergence of Modern Turkey, 2nd Edition London 1968. P.21.

الحربية تأججاً في نفوس العثمانيين بعدما واجهوا تكتلات صليبية متعاقبة واسعة النطاق ضمت العديد من الدول الأوروبية وكانت البابوية في روما تدعم وتؤيد هذه التكتلات بل تنادي بالانضمام إليها. وكأن الحركة الصليبية التي شهدها الشرق الإسلامي في الماضي قد انتقلت ميادينها إلى أوروبا. ولكن شتان ما بين الحركتين. فالصليبيون في أوروبا واجهوا قوات إسلامية عثمانية مسلحة وقفت في وجه الصليبية الأوروبية صفاً واحداً كأنه بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً. ولم تجد الحركة الصليبية في أوروبا ثغرة تنفذ منها لتفتيت وحدة الصف الإسلامي العثماني. فكان النصر حليف القوات العثمانية في معظم المعارك الضارية التي نشبت بين الفريقين. وحولت الدولة العثمانية دار الحرب إلى دار الإسلام. وأسهم الجميع في غرس بذور الإسلام في الأقاليم المفتوحة مما ساعد على نشر الإسلام في أوروبا. وبذلك، اقترنت حركة الفتوح الإسلامية في كل من الأناضول وأوروبا بنشر الإسلام. وقد انتشر انتشاراً سريعاً واسعاً في بعض الأقاليم، وانتشر انتشاراً وئيداً في أقاليم أوروبية أخرى وغدت العواصم التي اتخذتها الدولة العثمانية تباعاً وهي قونية، بروسة، أدرنة، واستانبول مدناً إسلامية عثمانية ومراكز للدراسات الإسلامية والحياة الإسلامية[1].

ونظر الأوربيون إلى الفتوح العثمانية في أوروبا على أنها فتوح إسلامية. وباسم الإسلام فتح السلطان محمد الفاتح (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية واتخذها عاصمة لدولته: واستبدل اسماً جديداً هو استانبول، ومعناها دار الإسلام. وباسم الإسلام استولى السلطان محمد الفاتح على روما مقر البابوية. وباسم الإسلام استولى السلطان سليمان القانوني على بلغراد وجزيرة رودس وبودابست.

(١) محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، بيروت ١٩٥٤، ص ٢٤.

وباسم الإسلام تقدم العثمانيون لمساعدة عرب شمالي إفريقيا في الصراع الصليبي الذي احتدم بينهم وبين الإسبانيين والبرتغاليين الذين أرادوا احتلال هذه الأقاليم وتحويل سكانها إلى المسيحية. وبذلك حفظت الدولة العثمانية لشمالي إفريقيا إسلامه وعروبته. وأوغلت الجيوش العثمانية في زحفها على قلب أوروبا حتى بلغت مشارف ×ينيا. وكانت الأساطيل العثمانية تحقق انتصارات كاسحة ضد التكتلات الصليبية الأمر الذي أدى إلى تصاعد العداء بين أوروبا المسيحية والدولة العثمانية.

ولذلك فإن الأوروبيين اعتقدوا بأن الدولة العثمانية هي الرمز الحي المجسد للإسلام[1] وهكذا أصبحت عبارة الدولة العثمانية مرتبطة بالدين الإسلامي بعروة وثقى لا انفصام لها مما أدى إلى تصاعد موجات الحقد والعداء بين الغالبية العظمى من الحكومات والشعوب الأوروبية للدولة العثمانية بصفتها دولة إسلامية تحكم شعوباً مسيحية أوروبية.

وهكذا عملت الشعوب الأوروبية التي خضعت للدولة العثمانية على تصفية الوجود العثماني من أراضيها، وأسهمت معها دول أوروبية لم يمتد إليها الحكم العثماني. ولكن جمعت بينها وحدة الهدف في الانتصار للمسيحية والقضاء على الإسلام ودعم مصالحها الاستعمارية بتوزيع الممتلكات العثمانية أسلاباً بينها. وتأسيساً على هذه النظرة الأوروبية فإن التحالفات الدولية ضد الدولة العثمانية كانت في لحمتها وسداها محالفات صليبية ضد الإسلام، أملتها روح صليبية ووجهتها روح صليبية. وكانت حكومات بعض الدول الأوروبية تحرض رعايا الدولة العثمانية المسيحيين على الثورة، وتمدهم بالأسلحة والذخائر والأموال لإجراء مذابح عامة بين رعايا الدولة المسلمين أصلًا ورعاياها الذين

---

(١) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، حـ ١، ص ١٤ ــ ١٥.

اعتنقوا الإسلام لنشر الخوف والذعر بين هؤلاء الأخيرين كي يعودوا إلى المسيحية. وكانت هذه الحكومات تعطيهم المنح والهدايا والعطايا نظير قيامهم بهذه الأعمال إذا فشلت الثورات عن تحقيق أهدافها. وأطلقت الحكومات الأوروبية على السلطان العثماني شتى الأوصاف: فهو «رجل أوروبا المريض» حيناً و«المريض الذي لا يرجى شفاؤه» حيناً ثانياً، و «المريض الذي يجب الإجهاز عليه شفقة به ورحمة عليه حتى يستريح ويريح» حيناً ثالثاً[1].

مدى نجاح الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا:

لم تنجح الدولة العثمانية نجاحاً كلياً في نشر الإسلام بين جميع رعاياها المسيحيين في ولاياتها الأوروبية بل حققت نجاحاً محدوداً في مجال الدعوة الإسلامية، فقد تركت الدولة العثمانية بصماتها قوية واضحة في مجال نشر الدعوة الإسلامية في أوروبا. فعلى امتداد قرون وتعاقب عصور ودهور، ظلت جماعات إسلامية تعيش حتى اليوم في أوروبا ولم تغير دينها بأي شكل من الأشكال رغم الضغوط التي بذلت من قبل الدول الأوروبية لتحويلها إلى المسيحية. ولم ترض هذه الجماعات الإسلامية عن دينها بديلًا[2].

والحق أن الوجود العثماني في أوروبا قد عجز عن أن ينبت جذوراً تمده بالعناصر التي تحفظ عليه حياته، حين بدأ الضعف يتسلل إلى الدولة ومنها الاندماج والانصهار ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية التي تحفظ للإسلام وجوده إذ لا يوجد روابط حضارية تربط بين العثمانيين وبين تلك الشعوب الأوروبية. فلما زال الوجود العثماني من

(١) المرجع السابق، ص ١٥ ــ ١٦.

(٢) د/عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، جـ ١، ص ٢٦.

أوروبا لم يخلف من بعده أثراً ذا بال سوى بصمات في بعض الأقاليم البلقانية[1].

ومهما يكن من أمر، فإن الأتراك العثمانيين قد بذلوا جهداً كبيراً على نشر الإسلام في أوربا، وكانوا يقيمون الأفراح إذا ما دخل فرد في الإسلام من المسيحيين طوعاً، مما يدل عى غيرة الأتراك العثمانيين على الإسلام ونشره، فكانوا يحيّون فيها من دخل طوعاً من المسلمين الجدد في الإسلام. فكان المسلم الجديد يمتطي حصاناً ويطاف به في طرقات المدينة، وهم في نشوة النصر. فإذا توسموا فيه خلوص النية في تغيير دينه، وعرفوا أنه دخل بمحض إرادته في حظيرة الإسلام أو كان شخصاً ذا مكانة طيبة استقبلوه بتكريم عظيم، وأمدوه بما يعينه. ولا شك أن هناك دليل قوي يؤيد قول من قال: «إن في نفوس الأتراك غيرة لا يكاد يصدقها العقل حين يبتهلون إلى الله أن يحول الناس المسيحيين إلى الإسلام إنهم كل يوم يبتهلون إلى الله في مساجدهم مخلصين أن يؤمن المسيحيون بالقرآن، وأن يهتدوا على أيديهم، ولم يدعوا للتأثير وسيلة من وسائل الترغيب والترهيب والعقاب والجزاء إلا فعلوها»[2].

وقد عامل العثمانيون الأتراك أهل أوروبا المسيحيين معاملة تقوم على التسامح النابعة من روح الإسلام، هذا التسامح الديني الذي جعل الكثيرين من الإغريق وغيرهم يقبلون بتغيير ديانتهم حماية لحياتهم وأموالهم. وكان العثمانيون يلقون ترحيباً من الإغريق بسبب الحكم الظالم المستبد الذي واجهوه من حكم الفرنجة وبيزنطة فلم تعد في محاكمهم عدالة، ولا في قلوبهم شجاعة. فقد أقام الحكم الإسلامي العدل والمساواة وإصلاح المفاسد، وانتشر الأمن والنظام في البلاد. وكان

(١) المرجع السابق، ص ٣٢٣ ــ ٣٢٤.

(٢) سير توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرون، القاهرة ١٩٧٠ الطبعة الثالثة، ص ١٨٥.

النظام الإداري والقانوني رائعاً وقوياً[1].

ويؤخذ على الدولة العثمانية ضريبة الأبناء المسيحيين الذين كانوا يؤخذون من آبائهم في سن مبكرة كرهاً وينتظمون في سلك الانكشارية. وربما كان ذلك بسبب تعرض البلاد للخراب من جراء الحروب، الأمر الذي أدى إلى هلاك كثير من الأسر جوعاً. ومن ثم كان الأبناء الذين يتبنون يتامى في كثير من الأحيان، ولولا تبنيهم لتعرضوا للهلاك. كما أن رعاية الدولة العثمانية للمسيحيين كان عليهم أن يدفعوا ضريبة الرأس في مقابل حمايتهم وإعفائهم من الخدمة العسكرية. وكانت الضرائب التي يدفعونها تعتبر قليلة إذا ما قورنت بالالتزامات الإقطاعية التي لا تنتهي والإرهاق المستمر الذي كانوا يتكبدونه من البيزنطيين. ولا شك أن الولايات التركية العثمانية كانت أحسن حكماً وأكثر رخاء من معظم جهات أوروبا المسيحية وأن المزارعين المسيحيين كانوا ينعمون بقدر كبير من الحرية الشخصية، كما كانوا ينعمون بثمار جهودهم في ظل حكومة السلطان أكثر مما كان ينعم به معاصروهم في ظل كثير من الحكام المسيحيين. هذا فضلًا عن أن السلاطين العثمانيين كانوا دائماً يعملون على إثراء النشاط الاقتصادي في مجالات الصناعة والتجارة بين رعاياهم، حتى غدت المدن الكبرى مزدهرة أكثر من ذي قبل في عهد الدولة البيزنطية التي كانت تعمل على طغيان ثروة ومما عرقل نهضتها وشل حركتها[1].

وقد تعرضت الدولة العثمانية إلى حملات تشهير من الأوروبيين والمتحاملين وبعض المؤرخين العرب ومن هذه الحملات حرمان الولايات العربية من علمائها المبرزين وخاصة مصر عندما أصدر

(١) المرجع السابق، ص ١٧٤.
(٢) سير توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ١٧٤.

السلطان سليم الأول فاتح مصر قراراً بترحيل علماء مصر إلى استانبول ولكن معظم المؤرخين لم يذكروا تاريخ عودتهم حيث إن إقامتهم في استانبول قد امتدت إلى ثلاث سنوات ونيف عاد بعدها جميعهم إلى القاهرة بأمر سلطاني من السلطان سليمان القانوني.

كما تعرضت الدولة العثمانية إلى حملة تشهير أخرى هي دورها في عزلة الولايات العربية عن العالم، وكان لهذا الموقف ما يبرره، ذلك بأن الدولة العثمانية منذ أن فتحت بلاد الشام عام ٩٢٢هـ /١٥١٦م، ومصر ٩٢٣هـ / ١٥١٧م وتبعتها الحجاز، كان الغزو البرتغالي يهدد منطقة الخليج والعالم الإسلامي وذلك لتحقيق أغراض صليبية واستعمارية واقتصادية لذا كان على الدولة العثمانية أن تعمل على حماية الولايات العربية من أي خطر استعماري يعزلها عن الاتصال بالعالم الخارجي[1].

وكانت هذه الأباطيل والافتراءات وحملات التشهير التي توجه للدولة العثمانية بقصد الإساءة للحكم العثماني الإسلامي، وبقصد النيل منها والإطاحة بها بعد أن رأى الأوروبيون أن هذه الدولة العثمانية دولة إسلامية حربية من الطراز الأول وتريد تحويل دار الحرب (الكفر) إلى دار الإسلام.

ويجدر بنا أن نتناول إيجابيات الحكم العثماني ثم سلبياته إذ إن الدولة العثمانية لها جوانب إيجابية وأخرى سلبية ومن إيجابيات الحكم العثماني:

١ ـ توسيع رقعة الأرض الإسلامية، إذ فتح العثمانيون القسطنطينية وتقدموا في أوروبا. مما عجز المسلمون من قبلهم منذ أيام معاوية وساروا فيها شوطاً بعيداً حتى وقفوا على أبواب فينا

(١) د/عبد العزيز الشناوي، المصدر السابق، حـ ٢، ص ٦٩٠ ـ ٦٩٦.

وحاصروها أكثر من مرة دون جدوى.

٢ ـ الوقوف في وجه الصليبيين على مختلف الجبهات فقد تقدموا في شرقي أوروبا ليخففوا الضغط عن المسلمين في الأندلس كما انطلقوا إلى شمال البحر الأسود ودعموا التتار ضد الصليبيين من الروس، هذا فضلًا عن التصدي للإسبان في البحر المتوسط والبرتغاليين في شرق إفريقيا والخليج. ولم يوفقوا في حملاتهم وذلك يرجع لعدم تكاتف المسلمين والتفافهم حولهم.

٣ ـ عمل العثمانيون على نشر الإسلام، وشجعوا على الدخول به، وقدموا الكثير في سبيل ذلك وعملوا على نشر الإسلام في أوروبا وعملوا على التأثير في المجتمعات التي يعيشون بينها.

٤ ـ إن دخول العثمانيين إلى بعض الأقطار الإسلامية قد حماها من بلاء الاستعمار الذي ابتليت به غيرها، في حين أن المناطق التي لم يدخلوها قد وقعت فريسة للاستعمار باستثناء دولة المغرب.

٥ ـ كانت الدولة العثمانية تمثل الأقطار الإسلامية، فهي مركز الخلافة، لذا كان المسلمون في كل مكان ينظرون إلى الخلافة وإلى الخليفة نظرة احترام وتقدير، ويعدون أنفسهم من أتباعه ورعاياه، وبالتالي كانت نظرتهم إلى مركز الخلافة ومقرها المحبة والعطف وكلما وجد المسلمون أنفسهم في ضائقة طلبوا الدعم من مركز الخلافة كما كان الخلفاء.

٦ ـ وكانت الخلافة العثمانية تضم أكثر أجزاء البلاد الإسلامية فهي تشمل البلاد العربية كلها باستثناء المغرب إضافة إلى شرقي إفريقيا وتشاد وتركيا وبلاد القفقاس وبلاد التتار وقبرص وأوروبا بحيث وصلت مساحتها حوالي ٢٠ مليون كيلو متر مربع.

٧ ـ كانت أوروبا تقابل العثمانيين على أنهم مسلمون لا بصفتهم أتراكاً، وتقف في وجههم بحقد صلبيبي وترى فيهم أنهم قد أحيوا الروح الإسلامية القتالية من جديد، أو أنهم أثاروا الجهاد بعد أن خمد في النفوس مدة من الزمن، وترى فيهم مدأ إسلامياً جديداً بعد أن ضعف المسلمون ضعفاً جدياً وتنتظر أوروبا قليلًا لتدمرهم، والأتراك العثمانيون حالوا بينهم وبين المد الصليبي في الشرق والغرب الإسلامي، الأمر الذي جعل أوروبا تحقد على العثمانيين وتكرههم.

٨ ـ كانت للعثمانيين بعض الأعمال الجيدة تدل على صدق عاطفتهم وإخلاصهم، مثل عدم قبول النصارى مع الجيش وإعفاء طلبه العلم الشرعي من الجندية الإلزامية، وكذلك إصدار المجلة الشرعية التي تضم فتاوى العلماء في القضايا كافة وكذلك احترام العلماء وانقياد الخلفاء للشرع الشريف والجهاد به وإكرام أهل القرآن وخدمة الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي.

٩ ـ وكان للعثمانيين دورهم في أوروبا إذ قضوا على نظام الإقطاع، وأنهوا مرحلة العبودية التي كانت تعيشها في أوروبا حيث يولد الفلاح عبداً وينشأ كذلك ويقضي حياته في عبوديته لسيده مالك الأرض[1] واهتم السلاطين بتقديم الصدقات والعطايا للمواطنين.

ومن أهم سلبيات الخلافة العثمانية، والتي كان لها الأثر في إضعاف الحكم:

١ ـ إهمال اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وهما المصدر الرئيسي للتشريع، وكان يجب الاهتمام بها وتعلمها من قبل سلاطين آل عثمان أكثر من اللغة التركية وفي هذا جهل

(١) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، بيروت ١٩٨٦، ص ٢٦ ــ ٣٤

لأن العربية لغة الإسلام بالرغم من أن بعض السلاطين قد عمل على اهتمام المدارس باللغة العربية واهتموا بالعلم الشرعي بشكل محدود، وكان على الخلفاء أن يتعلموا هم العربية ويشجعوا عليها.

٢ ـ عدم الوعي الإسلامي الصحيح إذ كان كثير من المسؤولين لا يعرفون من الإسلام سوى العبادات، لذا كانوا يحرصون عليها وعلى تأديتها، وهذا أدى إلى انتشار الطرق الصوفية وضعف فكرة الجهاد وعدم الإنتاج مما أدى إلى ضعف الدولة.

٣ ـ كان العثمانيون يحرصون على تغيير الولاة باستمرار وخاصة في أواخر عهدهم، وذلك خشية استغلال المنصب أو الاستقلال بالولاية.

٤ ـ الحكم الوراثي الذي سار عليه العثمانيون غير مقبول من وجهة النظر الإسلامية، ولكن سبقهم الأمويون والعباسيون. كما كان بعض السلاطين يقومون بقتل إخوانهم حتى لا ينازعوهم في السلطة، هذا علاوة على زواج بعض السلاطين من الأوروبيات فيه إساءة للأمة.

٥ ـ كان العثمانيون يكتفون من البلاد المفتوحة بالخراج، ويتركون السكان على وضعهم القائم من العقيدة واللغة والعادات، إذ يهملون الدعوة والعمل على نشر الإسلام وإظهار مزايا الإسلام من المساواة والعدل والأمن وانسجامه مع الفطرة البشرية.

٦ ـ ضعف الدولة العثمانية في أواخر عهدها جعل الدول الأوروبية تتآمر عليها فأثاروا ضدها الحركات الانفصالية السياسية والدينية، كما استغل دعاة القومية والصهيونية هذا الضعف مما جعلهم يقومون بحركات لتقويض هذه الدولة[1].

(١) محمود شاكر، العالم الإسلامي، العهد العثماني، ص ٣٦ ــ ٤٠.

ومما يجدر ذكره أن الجوانب الإيجابية في الدولة كانت في مرحلة العصر العثماني الأولى عصر القوة والتوسع، أما مراحلها الأخيرة للدولة العثمانية فتمثل الجوانب السلبية وقت الضعف والتراجع والانهيار.

ملحق

السلاطين والصدور العظام ومشايخ الإسلام والقبودانات

مسلسل	المولد سنة	بدأ الجلوس سنة	بدأ الجلوس يوم شهر	مدة الجلوس يوم	مدة الجلوس شهر	مدة الجلوس سنة	الوفاة سنة	جملة الحياة سنة	ذكر الملوك العثمانية
١	٦٥٨	٦٩٩				٢٧	٧٢٦	٦٩	السلطان عثمان خان غازي بن ارطغرل خان غازي بن سليمان شاه
٢	٦٨٠	٧٢٦				٣٥	٧٦١	٨١	السلطان أورخان ابن السلطان عثمان .
٣	٧٢٧	٧٦١				٣١	٧٩٢	٦٥	السلطان مراد خان أول ابن السلطان أورخان .
٤	٧٦١	٧٩٢				١٣	٨٠٥	٤٤	السلطان بايزيد خان أول ابن السلطان مراد
٥	٧٨١	٨١٦		٢٥	١١	٧	٨٢٤	٤٣	السلطان محمد جلبي خان أول ابن السلطان بايزيد .
٦	٨٠٦	٨٢٤		٧	٧	٣٠	٨٥٥	٤٩	السلطان مراد خان ثاني ابن السلطان محمد .
٧	٨٣٣	٨٥٥	١٦م	–	–	٣١	٨٨٦	٥٣	السلطان محمد أبو الفتح خان ثاني ابن السلطان مراد .
٨	٨٥١	٨٨٦	٢١را	–	–	٣٢	٩١٨	٦٧	السلطان بايزيد ولي خان ثاني ابن السلطان محمد .
٩	٨٧٥	٩١٨	٨ ص	–	٩	٨	٩٢٦	٥١	السلطان سليم خان أول ابن السلطان بايزيد .
١٠	٩٠٠	٩٢٦	١٣ ل	–	٥	٤٨	٩٧٤	٧٤	السلطان سليمان خان أول ابن السلطان سليم .
١١	٩٣٩	٩٧٤	١را	٢٢	٥	٨	٩٨٢	٥٣	السلطان سليم خان ثاني ابن السلطان سليمان .
١٢	٩٥٣	٩٨٢	٨ش	–	–	٢١	١٠٠٣	٥٠	السلطان مراد خان ثالث ابن السلطان سليم .
١٣	٩٧٢ (١)	١٠٠٣	جا	–	٢	٩	١٠١٢	٣٧	السلطان محمد خان ثالث ابن السلطان مراد .
١٤	٩٩٨		١٨ب	–	–	١٤	١٠٢٦	٣٨	السلطان أحمد خان أول ابن السلطان محمد .
		١٠١٢						يوم شهر ١١ ٨	

م = محرم، ص = صفر، ش = شعبان، ب = رجب، را = ربيع الأول، ل = شوال، ج ١ = جمادى الأولى

(١) الصواب عام ٩٧٥هـ وفي خلاصة الأثر ٩٧٤هـ.

مسلسل	المولد سنة	بدأ الجلوس سنة	بدأ الجلوس يوم شهر	مدة الجلوس يوم	مدة الجلوس شهر	مدة الجلوس سنة	الوفاة سنة	جملة الحياة سنة	ذكر الملوك العثمانية
١٥	١٠٠٥	١٠٢٦	١٠ را	١٠	١٠ (١)	–	١٠٤٨	٤٣	السلطان مصطفى خان أول ابن السلطان محمد الثالث خلع سنة ١٠٢٧
١٦	١٠١٣	١٠٢٧	غرة ر		٤	٤	١٠٣١	١٩	السلطان عثمان خان ثاني ابن السلطان محمد الثالث
١٧		١٠٣١	ب	١٥	٤	١			السلطان مصطفى خان أول ابن السلطان محمد خان ثالث (٢)
١٨	١٠١٨	١٠٣٢	٢٤ ذا	–	–	١٧	١٠٤٩	٣١	السلطان مراد خان رابع ابن السلطان أحمد خان أول
١٩	١٠٢٤	١٠٤٩	١٦ ل	–	٩	٨	١٠٥٨	٣٤	السلطان إبراهيم خان ابن السلطان أحمد خان أول
٢٠	١٠٥١	١٠٥٨ (٣)	١٨ ب	–	٧	٤٠	١١٠٤	٥٣	السلطان محمد خان رابع ابن السلطان إبراهيم خان
٢١	١٠٥٢	١٠٩٩	٢ م	٢٥	٨	٣	١١٠٢	٥٠	السلطان سليمان خان ثاني ابن السلطان إبراهيم خان
٢٢	١٠٥٢	١١٠٢	٢٢ ن	٢٥	٨	٣	١١٠٦	٥٤	السلطان أحمد خان ثاني ابن السلطان إبراهيم خان
٢٣	١٠٧٤	١١٠٦	٢٢ ج	–	٦	٩	١١١٥	٤٠	السلطان مصطفى خان ثاني ابن السلطان محمد خان رابع
٢٤	١٠٨٤	١١١٥	٣ ر	١٠	١١	٢٧	١١٤٩	٦٧	السلطان أحمد خان ثالث ابن السلطان محمد خان رابع خلع سنة ١١٤٣
٢٥	١١٠٨	١١٤٣	١٥ را	–	–	٢٥	١١٦٨	٦٠	السلطان محمود خان أول ابن السلطان مصطفى خان ثاني
٢٦	١١١٠	١١٦٨	٢٨ ص	٢٨	١١	٢	١١٧١	٦١	السلطان عثمان خان ثالث ابن السلطان مصطفى خان ثاني
٢٧	١١٢٩	١١٧١	٢٧ ص	٢١	٨	١٦	١١٨٧	٥٨	السلطان مصطفى خان ثالث ابن السلطان أحمد خان ثالث
٢٨	١١٣٧	١١٨٧	٨ ذا	٢	٨	١٥	١٢٠٣	٦٦	السلطان عبد الحميد خان أول ابن السلطان أحمد خان ثالث
								يوم شهر ١٠ ٤	

را = ربيع أول، ب = رجب، ل = شوال، ن = رمضان، ص = صفر، ر = ربيع الآخر،
ذا = ذو القعدة، م = محرم، ج = جمادى الآخرة، ذ = ذو الحجة

(١) الصواب ثلاثة أشهر (٢) المرة الثانية

(٣) الصواب ١٠٦٤ هـ وفي البدر الطالع ولد عام ١٠٤٦ هـ وسلطن عام ١٠٥٨ هـ وتوفي عام ١٠٩٩ هـ

مسلسل	المولد سنة	بدأ الجلوس سنة	بدأ الجلوس يوم شهر	مدة الجلوس يوم	مدة الجلوس شهر	مدة الجلوس سنة	الوفاة سنة	جملة الحياة سنة	ذكر الملوك العثمانية
٢٩	١١٧٥	١٢٠٣	١١ ب	٩	٨	١٨	١٢٢٥	٤٨	السلطان سليم خان ثالث ابن السلطان مصطفى خان ثالث خلع سنة ١٢٢٢
٣٠	١١٩٣	١٢٢٢	٢١ را	١٢	٢	١	١٢٢٣	٣٠	السلطان مصطفى خان رابع ابن السلطان عبد الحميد خان أول
٣١	١١٩٩	١٢٢٣	٤ ج	١٤	١٠	٣٢	١٢٥٥	٥٦	السلطان محمود غازي خان ثاني ابن السلطان عبد الحميد خان
٣٢	١٢٤٧	١٢٥٥	١٩ ر	-	٦	٢٢	١٢٧٧	٤٠	السلطان عبد الحميد خان أول ابن السلطان محمود غازي
٣٣	١٢٤٥	١٢٧٧	١٨ ذ	١٩	٤	١٥	١٢٩٣	٥٨	السلطان عبد العزيز خان ابن السلطان محمود خلع سنة ١٢٩٣
٣٤	١٢٥٦ (١)	١٢٩٣	٧ جا	١٤	٣	-	١٢٩٣	٤٧	السلطان مراد خان الخامس ابن السلطان عبد المجيد خلع سنة ١٢٩٣
٣٥	١٢٥٩	١٢٩٣	١٠ ر			٣٣	١٣٢٨	٦٩	السلطان عبد الحميد خان ثاني ابن السلطان عبد المجيد خلع سنة ١٣٢٧
٣٦	١٢٦٠	١٣٢٧				١٠	١٣٣٧	٧٧	السلطان محمد رشاد خان الخامس ابن السلطان عبد المجيد خلع سنة ١٣٣٦
٣٧	١٢٧٧	١٣٣٦				٨	١٣٤٤	٦٣	السلطان محمد خان السادس ابن السلطان عبد المجيد خلع سنة ١٣٤٠
٣٨	١٢٨٣	١٣٤٠			٥		١٣٤١	٥٧	السلطان عبد المجيد خان ثاني ابن السلطان عبد العزيز.
									وقد عين خليفة في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣م
									ثم ألغيت الخلافة في ٣٠ مارس ١٩٢٤م

ب = رجب، را = ربيع الأول، ج = جمادى الآخرة

(١) أضفنا هؤلاء السلاطين الخمسة للتكملة وتركنا بعض البيانات لحين توافر المعلومات الدقيقة في جولة قادمة.

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر الوزراء الصدور	عصر
	٧٢٨	–	–	١٠	علاء الدين باشا شهزاده بن السلطان عثمان خان غازي	السلطان بايزيد خان
	٧٣٨	–	–	٢٣	سليمان باشا شهزداه بن السلطان أور خان غازي	» » »
	٧٧٠	–	–	١٨	خير الدين باشا قرة خليل الجندري	عصر مراد خان أول
	٨١٣	–	–	٢٥	علي باشا ابن خير الدين باشا ———— {	عصر السلطان مراد أول (1) ديلد يوم بايزيد خان
	٨١٥	–	–	١٥	إبراهيم باشا ابن علي باشا ———— {	السلطان محمد خان أول والسلطان مراد خان ثاني
	٨٣١	–	–	٢٦	خليل باشا ابن إبراهيم باشا ———— {	السلطان مراد ثاني وفاتح محمد ثاني
	٨٥٧	–	–	١٥	محمود باشا أولا دفعتين ١٦ سنة	السلطان محمد الفاتح
	٨٧٢	–	–	٣	محمد باشا روم	» » »
	٨٧٥	–	–	٢	إسحق باشا أولا – دفعتين ٤ سنوات	» » »
	٨٧٧	–	–	١	محمود باشا ثانيًا	» » »
	٨٧٨	–	–	٤	أحمد باشا كدك	» » »
	٨٨٢	–	–	٤	محمد باشاي قرماني	» » »
	٨٨٦	–	–	٢	إسحق باشا ثانيًا	عصر السلطان بايزيد ولي
	٨٨٨	–	–	١٤	داود باشا	» » »
	٩٠٢	–	–	١	أحمد باشا زاده هرسك أولا دفعات أربع سنوات	» » »
	٩٠٣	–	–	٢	إبراهيم باشا خليل باشا	» » »
	٩٠٥	–	–	٢	مسيح باشا	» » »

(١) لم يكن في زمن مراد الأول، بل في عصر بايزيد.

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر الوزراء الصدور	عصر
	٩٠٧	-	-	٢	علي باشا خادم/ أولا: دفعتين ٧ سنوات	السلطان بايزيد خان
	٩٠٩	-	-	٣	أحمد باشا زاده هرسك ثانيا	» » »
	٩١٢	-	-	٥	علي باشا خادم ثانيًا	» » »
	٩١٧	-	٦	-	أحمد باشا زاده هرسك ثالثا	» » »
	٩١٧	-	١١	-	مصطفى باشا قرجة	» » »
	٩١٨	-	٦	٢	أحمد باشا زاده هرسك رابعا	السلطان سليم أول
	٩٢٠	-	-	٣	سنان باشا خادم	» » »
	٩٢٣	-	٨	-	يونس باشا	» » »
	٩٢٣	-	-	٦	محمد باشا فره ماني افرنجي الأصل	» » »
	٩٢٩	-	-	١٣	إبراهيم باشا	السلطان سليم أول وسليمان أول
	٩٤٢	-	٠٢	٠٤	إياس باشا أرنؤدي الأصل	السلطان سليمان أول
ذ	٩٤٤	-	٤	٢	لطفي باشا	» » »
	٩٤٧	-	-	٤	سليمان باشا خادم	» » »
	٩٥١	-	-	٩	رستم باشا أولا دفعتين ١٥ سنة خردادي الأصل	» » »
	٩٦٠	-	-	٢	أحمد باشا قرة	» » »
	٩٦٢	-	-	٦	رستم باشا ثانيا	» » »
	٩٦٨	-	-	٤	علي باشا سموز	» » »
	٩٧٢	-	-	١٥	محمد باشا بوسنوي الطويل	سليمان أول وسليم ثاني ومراد ثالث

ذ = ذو الحجة

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر الوزراء الصدور	عصر
ش	٩٨٧	–	٦	–	أحمد باشا	السلطان مراد ثالث
	٩٨٨	–	١٠	١	سنان باشا أرنبود أولاً دفعات خمسة ماه ١٠ سنة ٦	» » »
	٩٩٠	–	–	٢	سياوش باشا أولا دفعات ثلاثة ٦٢ خردادي الأصل	» » »
ذ	٩٩٢	–	–	١	عثمان باشا ين أوز دمود باشا	السلطان مراد ثالث
	٩٩٣	–	٤	–	مسيح باشا خادم	» » »
را	٩٩٤	–	–	٣	سيأوش باشا ثانيًا	» » »
	٩٩٧	–	–	٢	سنان باشا ثانيًا	» » »
	٩٩٩	–	٨	–	فرهاد باشا أولاً دفعتين ماه ٢ سنة ١ ارنبودي الأصل	السلطان مراد ثالث السلطان محمد خان ثالث
ج	١٠٠٠	–	٢	١	سياوش باشا ثانيًا	» » »
ر	١٠٠١	–	٢	٢	سنان باشا ثالثًا	» » »
جا	١٠٠٣	–	٦	–	فرهاد باشا	» » »
ل	١٠٠٣	–	٥	–	سنان باشا	السلطان محمد خان ثالث
را	١٠٠٤	١٠	–	–	محمد باشا لالا	» » »
را	١٠٠٤	–	٥	–	سنان باشا	» » »
ش	١٠٠٤	–	٧	–	إبراهيم باشا أولا دفعات ثلاثة ماه ٤ سنة ٣ بوسنوي	السلطان محمد ثالث
را	١٠٠٥	١٠	١	–	سنان باشا جغالة زادة افرنجي الأصل	» » »
ر	١٠٠٥	–	١١	–	إبراهيم باشا ثانيًا	» » »

ش = شعبان، را = ربيع أول، ر = ربيع الآخر، ل = شوال

ذ = ذو الحجة، ج = جمادى الآخرة، جا = جمادى الأولى، ر = ربيع الآخر.

تاريخ الصدارة شهر	سنة	مدة الصدارة يوم	شهر	سنة	ذكر الوزراء الصدور	عصر
را	١٠٠٦	-	٦	-	حسن باشا خادم	السلطان محمد خان ثالث
ن	١٠٠٦	-	١٠	-	محمد باشا جراح	» » »
ج	١٠٠٦	-	٩	٢	إبراهيم ثالثًا	» » »
م	١٠١٠	-	٣	٢	حسن باشا يمسيحي ارنؤدي الأصل	» » »
ب	١٠١٢	-	٧	-	علي باشا ياوز	السلطان أحمد أول
ص	١٠١٣	-	١١	١	محمد باشا لالا بوسنوي	» » »
م	١٠١٥	-	٧	-	محمد باشا درويش	» » »
ش	١٠١٥	-	١٠	٤	مراد باشا قوميجي خردادي الأصل	» » »
ج	١٠٢٠	-	١٠	٣	نصوح باشا	السلطان أحمد أول
ن	١٠٢٣	-	٤	٢	محمد باشا داماد أولا دفعتين ٤ ماه ٣ سنة	السلطان أحمد أول والسلطان مصطفى أول
م	١٠٢٦	-	-	٢	خليل باشا أولا دفعتين ٥ ٣	السلطان عثمان خان أول
ص	١٠٢٨	-	-	١	محمد باشا داماد ثانيًا	» » »
م	١٠٢٩	-	٢	١	علي باشا جلبي	» » »
ر	١٠٣٠	-	٦	-	حسين باشا أوحزى الأصل	» » »
ن	١٠٣٠	-	١٠	-	دلادر باشا خردادي الأصل	السلطان مصطفى خان أول
ب	١٠٣١	٢٦	-	-	داود باشا بوسنوي	» » »
ش	١٠٣١	٢٤	-	-	حسين باشا مرة دفعتين ٢٤ ماه ٧ سنة أرنؤدي الأصل	» » »

را = ربيع أول، ج = جمادى الآخرة، ب = رجب، ش = شعبان، ماه = أشهر

ن = رمضان، م = محرم، ص = صفر، ر = ربيع الآخر

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر الوزراء الصدور	عصر
ش	١٠٢١	–	٣	–	مصطفى باشا لنكه لي	السلطان مصطفى أول
ذا	١٠٣١	–	٥	–	محمد باشا كورجي	» » »
ر	١٠٣٢	–	٧	–	حسين باشا مرة ثانيًا	السلطان مصطفى أول
را	١٠٣٢	–	٧	–	علي باشا كما مكشر حميدي	السلطان مراد رابع
ج	١٠٣٣	–	١٠	–	محمد باشا جركس	» » »
ر	١٠٣٤	–	١١	–	أحمد باشا حافظ أولاً دفعتين أيا ٢٠ ماه ٢ سنة ١	» » »
را	١٠٣٦	–	٥	١	خليل باشا ثانيًا	» » »
ب	١٠٣٧	–	٨	٣	خرد باشا	» » »
را	١٠٤٠	–	٣	–	أحمد باشا حافظ ثانيًا	» » »
ب	١٠٤١	–	٣	–	رجب باشا	» » »
ل	١٠٤١	–	١١	٤	محمد باشا طياني بصي أرنؤدي الأصل	» » »
ن	١٠٤٦	–	٦	١	بيرام باشا	» » »
ن	١٠٤٨	–	٤	–	محمد باشا طيار	» » »
ش	١٠٤٨	–	٣	٥	مصطفى باشا قرة أرنؤدي الأصل	مراد خان رابع وإبراهيم خان
ل	١٠٥٣	–	١١	١	محمد باشا سلطان زاده	السلطان إبراهيم خان
ل	١٠٥٥	–	١٠	١	صالح باشا	» » »
ش	١٠٥٧	–	١١	–	أحمد باشا هزار ياده	» » »
ب	١٠٥٨	–	١١	–	محمد باشا صوفي	السلطان محمد رابع

ش = شعبان، ر = ربيع الآخر، را = ربيع الأول، ل = شوال، ماه = أشهر

ذا = ذو الحجة، ج = جمادى الآخرة، ب = رجب، ن = رمضان.

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر الوزراء الصدور	عصر
ج	١٠٥٩	–	٧	١	مراد باشا أولا دفعتين ماه ٦ سنة ١ أرنؤدي الأصل	السلطان مصطفى رابع
ش	١٠٦٠	–	٢	–	أحمد باشا ملك أبازه دي الأصل	» » »
ن	١٠٦١	١٥	١	–	سياوش باشا أولا دفعتين ماه ٦ أبازه دي الأصل	» » »
ذا	١٠٦١	٢٩	٧	–	محمد باشا كورجي	» » »
ب	١٠٦٢	١٥	٩	–	أحمد باشا طرجونجي أرنؤدي الأصل	» » »
٢٣ر	١٠٦٣	–	٩	١	محمد باشا درويش جركسي الأصل	» » »
ر	١٠٦٤	–	٢	–	مصطفى باشا أبشر	السلطان محمد خان رابع
ب	١٠٦٥	–	٣	–	مراد باشا ثانيًا	» » »
ل	١٠٦٥	١١	٦	–	سليمان باشا	» » »
جا	١٠٦٦	–	–	–	حسين باشا دلي	» » »
ج	١٠٦٦	ساعة ٤	–	–	مصطفى باشا سونازن	» » »
ج	١٠٦٦	١٥	١	–	سياوش باشا ثانيًا	» » »
	١٠٦٦	–	٤	–	محمد باشا بونبي أكري جانيكي الأصل	» » »
٢٥ ذا	١٠٦٦	١٠	٧	٥	محمد باشا كوبريلي أرنؤدي الأصل	» » »
٢ ذا	١٠٧٢	–	٦	١٥	أحمد باشا فاضل كوبريلي زاده	» » »
٢٢ ش	١٠٨٧	–	٩	٧	مصطفى باشا مقتول	» » »
م	١٠٩٥	–	–	٢	إبراهيم باشا قرة	» » »
٢٧ م	١٠٩٧	–	٧	–	سليمان باشا	السلطان محمد رابع

ج = جمادى الأخرة، ن = رمضان، ب = رجب، ل = شوال، م = محرم

ش = شعبان، ذ = ذو الحجة، ر = ربيع الآخر، جا = جمادى الأولى، ماه = أشهر

تاريخ الصدارة شهر	سنة	مدة الصدارة يوم	شهر	سنة	ذكر الوزراء الصدور	عصر
ذ ١	١٠٩٨	١٠	٣	–	سياوش باشا أبـازه	السلطان محمد خان رابع سليمان خان ثاني
ذ ١	١٠٩٩	٨	٣	–	إسماعيل باشا شابخي	السلطان سليمان ثاني
ب	١٠٩٩	–	٧	١	مصطفى باشا تكفور طاغلي	» » »
٢٣ م	١١٠٠	–	١٠	٢	مصطفى باشا زاده كوبريلي	السلطان سليمان ثاني وأحمد خان ثاني
٢٦ ذ	١١٠٢	١١	٧	–	علي باشا عربه جي	» » »
ب	١١٠٣	–	–	١	حاجي علي باشا	» » »
٧ ب	١١٠٤	٦	–	١	مصطفى باشا بيقلي بوازاد في الأصل	» » »
١٦ ب	١١٠٥	٢	٢	١	علي باشا سورمه لي	أحمد خان ثاني ومصطفي خان ثاني
ن	١١٠٦	٦	٥	٢	محمد باشا الماس	السلطان أحمد خان ومصطفي خان ثاني
٢٤ ص	١١٠٩	–	٣	٥	حسين باشا عموجه	
جا	١١١٤	–	٤	–	مصطفى باشا دال طبان	السلطان مصطفى خان ثاني
٧ ن	١١١٤	١٠	٧	–	محمد باشا رامي	» » »
٩ ر	١١١٥	–	٦	–	أحمد باشا فوانوز أوسي الأصل	السلطان أحمد ثالث
٩ ب	١١١٥	–	١١	–	حسن باشا داماد موره دي	السلطان أحمد ثالث
٩ ج	١١١٦	٢٠	٢	–	أحمد باشا قلايلي قوز قيصريه ولي	» » »
٢٣ ش	١١١٦	٢٦	٥	١	محمد باشا تيردار أولا دفعتين ٢٨ (أيام) ٨ (ماه) ٢ (سنة) قطموني الأصل	» » »
١٩ م	١١١٨	٢٤	٢	٤	علي باشا جورشلي	» » »

ذ ١ = ذو الحجة، م = محرم، ص = صفر، ر = ربيع الآخر، ج = جمادى الآخرة

ب =رجب، ن = رمضان، جا = جمادى الأولى، ش = شعبان، ماه = أشهر

تاريخ الصدارة شهر	سنة	مدة الصدارة يوم	شهر	سنة	ذكر الوزراء الصدور	عصر
١٧ ر	١١٢٢	٣	٢	–	نعمان باشا كوبريلي زاده	السلطان أحمد ثالث
٢٢ ج	١١٢٢	٢	٣	١	محمد باشا تبردار ثانيًا	» » »
٢ ل	١١٢٣	١٠	–	١	يوسف باشا كورجي الأصل	» » »
١٢ ل	١١٢٤	٢٨	٤	–	سليمان باشا أبازه دي الأصل	السلطان أحمد ثالث
را	١١٢٥	٢١	–	–	إبراهيم باشا الشهير بحلوحه أورله وي الأصل	» » »
غرة ر	١١٢٥	١٥	٤	٣	علي باشا داماد ازنيقي	» » »
٣ ن	١١٢٨	١٥	–	١	خليل باشا أرنودي الأصل	» » »
١٨ ن	١١٢٩	٢٠	٨	–	محمد باشا قيصريه وي	» » »
٨ ج	١١٣٠	١٠	٩	١٢	إبراهيم باشا داماد مقتول نوشهري الأصل	» » »
٣ ر	١١٤٣	١٠	٣	–	محمد باشا كتخدا	السلطان محمد خان أول
١٣ ب	١١٤٣	٥	٨	–	إبراهيم باشا قره حصاري	» » »
١٩ را	١١٤٤	٢٠	٥	–	عثمان باشا طوبال	» » »
١٥ ن	١١٤٤	٢٣	٤	٣	عثمان باشا حكيم زاده أولا دفعات ثلاثة (أيام ٢٥ ماه ٣ سنة ٥)	» » »
٨ ص	١١٤٨	٢٧	٢	–	إسماعيل باشا كورجي	» » »
٢٥ ش	١١٤٨	–	٨	١	السيد محمد باشا سلحدار	» » »
٢٥ ر	١١٥٠	١٥	٤	–	عبد الله باشا محسن زاده جلبي الأصل	السلطان محمود خان أول
٢٧ ش	١١٥٠	١٥	٤	١	محمد باشا يكن	» » »

ر = ربيع الآخر، ل = شوال، ن = رمضان، ص = صفر، ماه = أشهر

ج = جمادى الآخرة، را = ربيع الأول، ب = رجب، ش = شعبان

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر الوزراء الصدور	عصر
١٢ ذ	١١٥١	١٥	٤	١	محمد باشا عوض	السلطان محمود أول
٢٧ را	١١٥٣	١٥	١٠	١	أحمد باشا كور	» » »
١٥ ص	١١٥٥	–	٦	١	علي باشا حكيم زاده ثانيًا	» » »
٤ ش	١١٥٦	١٦	١١	٢	السيد حسن باشا أسكندري الأصل	» » »
٢٢ ب	١١٥٩	٢٥	–	١	محمود باشا ترياكي	» » »
١٧ ش	١١٦٠	١٩	٥	٢	السيد عبد الله باشا	» » »
٢ ص	١١٦٣	١٥	٥	٢	محمد باشا دواتدار	» » »
١٨ ش	١١٦٥	٢٢	٧	٢	مصطفى باشا باهير أولاً دفعات ثلاث (أيام ١٥ ماه ٩ سنة ٤)	السلطان محمود خان أول وعثمان خان ثالث
٥ جا	١١٦٨	٢	٣	–	علي باشا حكيم زاده ثالثًا	السلطان محمود أول وعثمان ثالث
٧ ش	١١٦٨	٩	٣	–	عبد الله باشا ثايلي	السلطان عثمان ثالث
١٦ ذا	١١٦٨	٣	٢	–	علي باشا مقتول	» » »
١٦ م	١١٦٩	١٩	٥	–	سعيد باشا	» » »
غرة ب	١١٦٩	٢٠	–	–	مصطفى باشا باهر ثانيًا	» » »
٢٠ ر	١١٧٠	١٥	١٠	٦	محمد باشا راغب	السلطان عثمان ثالث ومصطفى خان ثالث
٢٧ ن	١١٧٦	٢٧	٦	–	حمزة باشا حامد توقيعي	السلطان مصطفى ثالث
٢٤ ر	١١٧٧	٣	٦	١	مصطفى باشا باهر ثالثًا	» » »
٧ ل	١١٧٨	١٣	٦	٣	محمد باشا محسن زاده أولا دفعتين (أيام ٢٣ ماه ٣ سنة ٦)	» » »
٢٠ ر	١١٨٢	١٥	١	–	حمزة باشا سلحدار ماهر	» » »

ذ = ذو القعدة، ص = صفر، ب = رجب، ذ ا = ذو الحجة، ر = ربيع الآخر

را = ربيع الأول، ش = شعبان، جا = جمادى الأولى، م = محرم، ل = شوال

ن = رمضان ماه = أشهر

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر الوزراء الصدور	عصر
٥ ج	١١٨٢	–	١٠	–	محمد أمين باشا ياغلفجي زاده	السلطان مصطفى ثالث
٩ ر	١١٨٣	٥	٤	–	علي باشا مولد واتي فسطموني	» » »
١٤ ش	١١٨٣	١٨	–	١	خليل باشا عوض زادة	» » »
٢ ن	١١٨٤	١٨	١١	–	محمد باشا سلحدار	» » »
٢٠ ش	١١٨٥	١٠	٩	٢	محمد باشا محسن زادة	» » »
٣ ج	١١٨٨	٦	١١	–	عزت محمد باشا أولا دفعتين (أيام ٦، ماه ٤، سنة ٢)	السلطان مصطفى ثالث والسلطان عبد الحميد حسان
٨ جا	١١٨٩	١٧	٦	١	محمد باشا درويش	» » »
٢٥ ذا	١١٩٠	١٣	٨	١	محمد باشا دارنده لي	» » »
٨ ش	١١٩٢	١	–	١	محمد باشا بلغاري الأصل	» » »
٩ ش	١٩٩٣	١٦	٦	١	السيد محمد باشا سلحدار	» » »
٢٥ ش	١٩٩٥	–	٥	–	عزت محمد باشا	» » »
١٦ ن	١١٩٦	٩	٤	–	الحاج محمد باشا يكن	» » »
٢٥ م	١١٩٧	٢٥	٣	٢	محمد خليل باشا	» » »
٢٠ جا	١١٩٩	٢٤	٨	–	شاهين علي باشا كوريجي الأصل	السلطان عبد الحميد
٢٤ را	١٢٠٠	٨	٥	٣	يوسف باشا أولا دفعتين (أيام ١، ماه ٨، سنة ٤)	السلطان عبد الحميد وسليم الثالث
٣ ن	١٢٠٣	١٠	٥	–	حسن باشا كتخدا جركسي الأصل	السلطان سليم الثالث
٥ را	١٢٠٤	١٥	٢	–	حسن باشا غازي	» » »
غرة ش	١٢٠٤	١٠	١٠	–	حسن باشا روسلجقلي	» » »

ج = جمادى الآخرة، ش = شعبان، جا = جمادى الأولى، م = محرم، ماه = أشهر

ر = ربيع الآخر، ن = رمضان، ذا = ذو الحجة، را = ربيع الأول.

تاريخ الصدارة		مدة الصدارة			ذكر الوزراء الصدور	عصر
شهر	سنة	يوم	شهر	سنة		
١٣ ج	١٢٠٥	٢٢	٢	١	يوسف باشا ثانيًا	السلطان سليم ثالث
١٧ ل	١٢٠٦	٧	٥	٢	محمد باشا ملك	» » »
٢٥ را	١٢٠٩	٢٣	١١	٣	عزت محمد باشا	» » »
١٣ جا	١٢١٣	٣	٨	٦	يوسف باشا ضيا أولا دفعتين ١٠ أيام ٨ ماه ٨ سنة كورجي الأصل	» » »
٢٤ م	١٢٢٠	٦	٥	١	إسماعيل باشا حافظ	» » »
غرة ب	١٢٢١	٢٥	٨	–	إبراهيم باشا حلمي	» » »
٢٦ را	١٢٢٢	٨	٢	١	مصطفى باشا حلبي	السلطان مصطفى رابع
٥ ج	١٢٢٣	٢٢	٣	–	مصطفى باشا روسجقلي	السلطان محمود خان ثاني
٢ ل	١٢٢٣	١٧	٥	–	ممشر باشا أرنبود	» » »
١٩ را	١٢٢٤	٢٧	١١	١	يوسف باشا ضيا ثانيًا	» » »
١٦ را	١٢٢٦	١٤	٥	١	أحمد باشا	» » »
غرة ن	١٢٢٧	١٧	٧	٢	خورشيد أحمد باشا	» » »
١٨ ر	١٢٣٠	١٠	١٠	٢	محمد أمين رؤوف باشا أولا دفعات أربع ١٤ أيام ١ ماه ١٥ سنة	» » »
٢٧ ص	١٢٣٣	٢١	–	٢	محمد باشا درويش	» » »
١٨ را	١٢٣٥	–	٤	١	السيد علي باشا	» » »
١٨ ب	١٢٣٦	٩	–	–	علي باشا بندلي	» » »
٢٧ ب	١٢٣٦	٢٨	٦	١	الحاج صالح باشا	» » »

ج = جمادى الآخرة، را = ربيع الأول، م = محرم، ن = رمضان، ص = صفر

ل = شوال، جا = جمادى الأولى، ب = رجب، ر = ربيع الثاني، ماه = أشهر

تاريخ الصدارة		مدة الصدارة			ذكر الوزراء الصدور	عصر
شهر	سنة	يوم	شهر	سنة		
٢٥ ص	١٢٣٨	٢٥	٩	–	عبد الله باشا	السلطان محمود ثاني
٢٠ ج	١٢٣٨	–	١٠	–	علي باشا سلحدار	» » »
ر	١٢٣٩	–	٩	–	محمد باشا غالب	» » »
٢٠ م	١٢٤٠	٢٩	٣	٤	محمد باشا سليم	» » »
١٩ ر	١٢٤٤	–	٣	–	محمد باشا عزت أولا دفعتين (أيام ٧ سنة ١)	» » »
ب	١٢٤٤	٨	٢	٤	محمد باشا رشيد	» » »
٢٧ ن	١٢٤٨	٢١	٥	٦	محمد أمين رؤوف باشا ثانيًا	» » »
١٩ ر	١٢٥٥	١٨	١١	–	محمد باشا خسرو	» » »
٧ ر	١٢٥٦	١٣	٦	١	محمد أمين رؤوف باشا ثالثًا	السلطان عبد الحميد
٢٠ ل	١٢٥٧	٧	١	–	محمد باشا عزت ثانيًا	» » »
٢٧ ب	١٢٥٨	–	٣	٤	محمد أمين رؤوف باشا رابعًا	» » »

قد بلغ تعداد الوزراء الصدور مائتي وزير وثلاثة رحمة الله عليهم

ص = صفر، ر = ربيع الآخر، ب = رجب، ل = شوال

ج = جمادى الآخرة، م = محرم، ن = رمضان

تاريخ الصدارة شهر	سنة	مدة الصدارة يوم	شهر	سنة	ذكر مشايخ الإسلام	عصر
ب	٨٢٨	–	–	٦	محمد شمس الدين فنارلي أفندي	
ب	٨٣٤	–	٦	٣٠	فخر الدين العجمي أفندي	السلطان مراد ثاني
م	٨٦٥	–	٤	٢٠	متلا خسرو محمد أفندي صاحب الدرر والفرر	السلطان مراد ثاني ومحمد ثاني
جا	٨٨٥	–	١	٨	أحمد شمس الدين أفندي متلا كوراني	محمد خان وبايزيد ولى
ج	٨٩٣	–	–	٧	عبد الكريم أفندي	السلطان بايزيد خان
ب	٩٠٠	–	١	١	علاء الدين أفندي الحلبي	» » »
ب	٩٠١	–	١	٧	حميد الحسني أفندي أفضل زاده	» » »
ش	٩٠٨	–	–	٢٦	علاء الدين علي الجمالي أفندي زنبيلي	السلطان بايزولي وسليم وسليمان أول
ش	٩٣٢	–	–	٨	أحمد شمس الدين أفندي كمال باشا زاده	السلطان سليمان أول
ش	٩٤٠	–	٢	٥	سعدي أفندي سعد الله	» » »
ل	٩٤٥	–	٩	٣	محيي الدين أفندي جوي زاده	» » »
ب	٩٤٨	–	٣	–	حميد أفندي عبد القادر حلبي	» » »
ل	٩٤٨	–	٦	٣	محيي الدين أفندي فناري زاده	» » »
جا	٩٥٢	–	–	٣٠	محمد أفندي أبو السعود صاحب الفتاوى	السلطان سليمان أول وسليم ثاني
جا	٩٨٢	–	٣	٣	حامد أفندي جوي زاده وامادي صاحب الفتاوى	مراد خان ثالث
ش	٩٨٥	–	–	٣	أحمد شمس الدين أفندي قاضي زاده	السلطان مراد ثالث
ش	٩٨٨	–	٣	١	السيد محمد أفندي معلول زاده	» » »

ب = رجب، جا = جمادى الأولى، ش = شعبان، ن = رمضان

م = محرم، ج = جمادى الآخرة، ل = شوال

تاريخ الصدارة شهر	سنة	مدة الصدارة يوم	شهر	سنة	ذكر مشايخ الإسلام	عصر
ذ	٩٨٩	–	٥	٥	محمد أفندي جوى زاده	السلطان مراد ثالث
جا	٩٩٥	–	–	٢	أبو السعود أفندي يكتى عبد القادر شمى أفندي	» » »
جا	٩٩٧	–	٢	٣	محمد أفندي أولاً بوستان زاده دفعتين ٨ ٧	» » »
ب	١٠٠٠	–	٥	١	زكريا أفندي بيرام زاده	» » »
م	١٠٠٢	–	٦	٤	محمد أفندي ثانيًا بوستان زاده	السلطان مراد خان ثالث ومحمد خان ثالث
ش	١٠٠٦	–	٨	١	محمد سعد الدين أفندي جامع لورباستين خواجه	السلطان محمد خان ثالث
ر ١	١٠٠٨	–	٥	١	جعفر أفندي زاده صنع الله أفندي أولا دفعات اربع أيام ٨ سنة ٥	» » »
ص	١٠١٠	–	٥	١	خواجة سعد الدين أفندي زاده محمد جلبي أفندي أولا دفعتين أيام ١١ سنة ٨	» » »
	١٠١١	–	٦	–	جعفر أفندي زاده صنع الله أفندي ثانيًا	السلطان محمد خان ثالث وأحمد خان أول
ش	١٠١٢	–	٦	١	مصطفى أفندي أبو الميامن أولا دفعتين أيام ١ سنة ١	السلطان أحمد أول
م	١٠١٣	–	٥	٢	جعفر أفندي زاده صنع الله أفندي ثالثًا	» » »
ر ١	١٠١٥	–	٤	–	مصطفى أفندي أبو الميامن ثانيًا	» » »
ب	١٠١٥	–	٥	١	جعفر أفندي زاده صنع الله أفندي رابعًا	» » »
ش	١٠١٧	–	٦	٧	خواجه سعد الدين أفندي زاده محمد جلبي أفندي ثانيًا	» » »
ج	١٠٢٤	–	–	٧	خواجه سعد الدين أفندي زاده محمد أسعد أفندي أولاً دفعتين أيام ٦ سنة ٨	» » »
ب	١٠٣١	–	٥	١	زكريا أفندي زاده يحيى أفندي أولا دفعات ثلاث أيام ٩ سنة ١٨	» » »
ذ	١٠٣٢	–	٥	١	خواجه سعد الدين أفندي زاده محمد أسعد أفندي ثانيًا	السلطان مصطفى خان أول ومراد خان رابع
ش	١٠٣٤	–	١١	٦	زكريا أفندي زاده يحيى أفندي	السلطان مراد رابع

ذ = ذو القعدة، ب = رجب، ش = شعبان، ص = صفر، ماه = أشهر

جا = جمادى الأولى، م = محرم، ر ١ = ربيع الأول، ج = جمادى الآخرة

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر مشايخ الإسلام	عصر
ب	١٠٤١	–	–	٢	أخي زاده شهيد حسين أفندي	السلطان مراد رابع
ب	١٠٤٣	–	٥	١٠	زكريا أفندي زاده يحيى أفندي ثالثًا	» » »
ذ ا	١٠٥٣	–	–	٢	أسعد أفندي زاده أبو اسعيد أفندي أولا دفعات ثلاثة ماه ٥ سنة ٤	السلطان مراد خان رابع (١)
ذ ا	١٠٥٥	–	٤	١	معيد أحمد أفندي	السلطان إبراهيم خان
ر ا	١٠٥٧	–	٣	٢	عبد الرحيم أفندي صاحب الفتاوى	السلطان إبراهيم خان ومحمد رابع
ب	١٠٥٩	–	١١	١	بهائي محمد أفندي أولا دفعتين ٥ ٤	السلطان محمد رابع
جا	١٠٦١	–	٥	–	قره جلبي زاده عبد العزيز أفندي	السلطان محمد خان رابع
ن	١٠٦١	–	–	١	أسعد أفندي زاده أبوا سعيد أفندي ثانيًا	» » »
ن	١٠٦٢	–	٦	٢	بهائي أفندي ثانيًا	» » »
ص	١٠٦٤	–	٥	–	أسعد أفندي زاده أبوا سعيد أفندي ثالثا	» » »
ب	١٠٦٥	–	١١	–	حسام زاده عبد الرحمن أفندي	» » »
ج	١٠٦٦	ساعة ٣	–	–	حك زاده مصطفى أفندي مغنى فتته ١٠٦٦	» » »
ج	١٠٦٦	–	٤	–	خواجه زاده شهيد مسعود أفندي	» » »
ل	١٠٦٦	–	٤	–	حنفي أفندي	» » »
ص	١٠٦٧	٢٠	٦	–	بالي زاده مصطفى أفندي	» » »
ش	١٠٦٧	١٠	١١	١	بولولي مصطفى أفندي	» » »
ب	١٠٦٩	–	–	٣	بروسه دي أسيري محمد أفندي	» » »
ب	١٠٧٢	–	١١	–	صنعى زاده السيد محمد أفندي	السلطان محمد خان رابع

ب = رجب، ر ١ = ربيع أول، ن = رمضان، ج = جمادى الآخرة، ش = شعبان

ذ ١ = ذو الحجة، جا = جمادى الأولى، ص = صفر، ل = شوال، ماه = أشهر

(١) الأصح السلطان إبراهيم خان بن أحمد الأول

تاريخ الصدارة		مدة الصدارة			ذكر مشايخ الإسلام	عصر
شهر	سنة	يوم	شهر	سنة		
ر ١	١٠٧٣	–	٨	١١	منقارلي زاده يحيى أفندي	السلطان محمد رابع
ذ ١	١٠٨٤	١٥	٢	١٣	علي أفندي أولا دفعتين ماه ٤ سنة ١٣ صاحب الفتاوى	» » »
ذ ١	١٠٩٧	١٥	–	١	أنقره ولي أفندي صاحب الفتاوى	» » »
ذ ١	١٠٩٨	–	٦	–	دباغ زاده محمد أفندي أولا دفعتين ماه ٧ سنة ٢	السلطان محمد خان رابع سليمان ثاني
ر ١	١٠٩٩	١٥	٢	–	جامع الربا ستين شهيد السيد فيض أفندي أولا دفعتين ماه ٨ سنة ٨	أصحاب الفتاوى السلطان سليمان ثاني
ج	١٠٩٩	–	١	٢	دباغ زاده محمد أفندي ثانيًا	السلطان سليمان ثاني
ن	١١٠١	–	٩	١	أبو أسعيد زاده فيض الله أفندي أولا دفعتين ماه ١١ سنة ٣	السلطان سليمان خان ثاني وأحمد ثاني
ج	١١٠٣	–	٢	–	علي أفندي	السلطان أحمد ثان
ش	١١٠٣	–	٢	٢	أبو أسعيد زاده فيض الله أفندي ثانيًا	» » »
ل	١٠٠٥	–	٩	–	محمد صادق أفندي أولا دفعتين ماه ٩ سنة ١	» » »
ش	١١٠٦	٦	٢	–	أمام سلطاني محمد أفندي أولا دفعتين ماه ٦ سنة ٨	السلطان مصطفى خان ثاني
ل	١١٠٦	–	٦	٨	السيد فيض الله أفندي ثانيًا	» » »
ر ١	١١١٥	–	٦	–	أمام سلطاني محمد أفندي ثانيًا	» » »
ن	١١١٥	–	١	٩	يشمقجي زاده السيد علي أفندي أولا دفعتين أيام ١٥ ماه ٨ سنة ٤	» » »
ل	١١١٨	–	–	١	محمد صادق أفندي ثانيًا	» » »
ل	١١١٩	١٥	٦	٢	ابه زاده عبد الله أفندي أولا دفعتين أيام ١٥ ماه ٨ سنة ٣	» » »
جا	١١٢٢	١٥	٧	١	يشمقجي زاده السيد علي أفندي ثانيًا	» » »

ر ١ = ربيع الأول، ج = جمادى الآخرة، ش = شعبان، جا = جمادى الأولى،

ذ ١ = ذو الحجة، ن = رمضان، ل = شوال، ماه = أشهر

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر مشايخ الإسلام	عصر
م	١١٢٤	–	٢	١	أيه زاده عبد الله أفندي ثانيا	السلطان مصطفى خان رابع
ص	١١٢٥	٢٠	٢	–	محمد عطا الله أفندي صاحب الفتاوى	» » »
ر	١١٢٥	–	٧	١	أمام شهرياري محمود أفندي	» » »
ذ	١١٢٦	–	٥	–	ميرزا مصطفى أفندي	» » »
ر	١١٢٧	–	٨	١	منتش زاده عبد الرحيم أفندي	السلطان أحمد خان ثالث
ذ	١١٢٨	--	٦	١	أبو إسحق إسماعيل أفندي	» » »
جا	١١٣٠	–	١٠	١٢	يكيشهري عبد الله بهجة الفتاوى بوتلدكدر	» » »
ر ١	١١٤٣	–	٧	–	ميرزا زاده شيخ محمد أفندي	السلطان محمود خان أول
ل	١١٤٣	–	١٠	–	يشمفجي زاده السيد عبد الله أفندي	» » »
ص	١١٤٤	–	٨	١	راماد زاده أبو الخير أحمد أفندي	» » »
جا	١١٤٦	–	–	١	أبو إسحق أفندي زاده إسحق أفندي	» » »
جا	١١٤٧	–	٧	١	درى محمد أفندي	» » »
ذ	١١٤٨	–	٣	٩	السيد فيض الله أفندي زاده السيد مصطفى أفندي	» » »
ص	١١٥٨	١٥	١	١	أمام شهرياري بيري زاده محمد صاحب أفندي ترجم ابن خلدون	» » »
ر ١	١١٥٩	–	٧	–	رئيس الأطب حياتي زاده محمد أمين أفندي	» » »
ل	١١٥٩	–	١٠	١	آق محمود زاده السيد محمد ذيني أفندي	السلطان محمود خان أول
ب	١١٦١	–	١	١	أبو إسحق أفندي زاده محمد أسعد أفندي بهجة للغات صاحي	» » »
ش	١١٦٢	–	١٠	–	خليل أفندي زاده محمد سعيد أفندي	» » »

م = محرم، ر = ربيع الآخر، جا = جمادى الأولى، ص = صفر، ش = شعبان

ص = صفر، ذ = ذو الحجة، ل = شوال، ر ١ = ربيع الأول، ب = رجب

تاريخ الصدارة		مدة الصدارة			ذكر مشايخ الإسلام	عصر
شهر	سنة	يوم	شهر	سنة		
ج	١١٦٣	-	١٠	٤	السيد مرتضى أفندي	السلطان محمود خان أول وعثمان ثالث
سلخ را	١١٦٨	-	٥	-	وصاف عبد الله أفندي	السلطان عثمان ثالث
سلخ ش	١١٦٨	-	٢	١	راماد زاده فيض الله أفندي أولا دفعتين أيام ١٥ ماه ٠ سنة ٣	» » »
ل	١١٦٩	-	٨	-	درى زاده مصطفى أفندي أولا دفعات ثلاثة أيام ١٩ ماه ٣ سنة ٣	» » »
ج	١١٧٠	١٥	١٠	-	داماد زاده فيض الله أفندي ثانيًا	» » »
جا	١١٧١	١٥	١٠	-	محمد صالح أفندي	عثمان ثالث ومصطفى ثالث
ذ ا	١١٧٢	-	٨	-	جلبي زاده إسماعيل عاصم أفندي	السلطان مصطفى ثالث
ج	١١٧٣	-	٧	١	الحاج ولي الدين أفندي أولا دفعتين ماه ١ سنة ٧	» » »
ص	١١٧٥	-	٨	-	تبره وي أبو أبكر أفندي زاده أحمد أفندي	السلطان مصطفى خان ثالث
ل	١١٧٥	١٩	١	١	درى زاده مصطفى أفندي ثانيًا	» » »
٢٤ ذ ا	١١٧٦	-	٦	٥	الحاج ولي الدين أفندي ثانيًا	» » »
ج	١١٨٢	-	٤	١	يبري زاده عثمان أفندي	» » »
ذ ا	١١٨٣	-	٧	٣	ميرزا زاده السيد محمد سعيد أفندي	» » »
ج	١١٨٧	١٥	٦	-	شريف زاده السيد محمد أفندي	» » »
١٤ ذ	١١٨٧	-	٦	-	درى زاده مصطفى أفندي ثالثًا	السلطان عبد الحميد خان
ب	١١٨٨	١٥	١١	-	عوض باشا إبراهيم بك أفندي أولا دفعتين ماه ١٤	» » »

ج = جمادى الآخرة، ش = شعبان، جا = جمادى الأولى، ص = صفر، ب = رجب

ر ١ = ربيع الأول، ل = شوال، ذ ١ = ذو القعدة، ذ = ذو الحجة، ماه = أشهر

تاريخ الصدارة شهر	سنة	مدة الصدارة يوم	شهر	سنة	ذكر مشايخ الإسلام	عصر
ج	١١٨٩	–	٥	١	صالح زاده محمد أمين أفندي	السلطان عبد الحميد خان
ل	١١٩٠	–	٨	١	وصاف زاده محمد أسعد أفندي	» » »
جا	١١٩٢	–	٣	٤	أسعد زاده محمد شريف أفندي أولا دفعتين ماه ٥ سنة ٤ صاحب ديوان شعر	» » »
ل	١١٩٦	١٥	٨	–	قره خصاري السيد إبراهيم أفندي	السلطان عبد الحميد خان
ج	١١٩٧	–	١١	٢	دري زاده السيد محمد عطا الله أفندي	» » »
جا	١١٩٩	١٥	٢	-٠	عوض باشا زاده إبراهيم بك أفندي ثانيًا	» » »
١٤ ش	١١٩٩	١٥	١	–	عرب زاده عطا الله أفندي	» » »
١٨ ل	١١٩٩	–	٦	–	دري زاده السيد محمد عارف أفندي أولا دفعتين أيام ٢٥ ماه ٩ سنة ٦	» » »
١٥ ر	١٢٠٠	١٥	١	٢	مفتي زاده أحمد أفندي	» » »
١٥ ص	١٢٠٢	١٤	٣	–	مكي محمد أفندي أولا دفعتين أيام ١٤ ماه ٧ سنة ١	» » »
٢٦ جا	١٢٠٢	–	٦	١	السيد محمد كامل أفندي	السلطان عبد الحميد وسليم ثالث
٢٧ ذا	١٢٠٣	–	٢	–	أسعد زاده محمد شريف أفندي ثانيا	السلطان سليم ثالث
م	١٢٠٤	١٠	٧	١	حيدلي زاده مصطفى أفندي	» » »
ب	١٢٠٥	١٣	–	–	السيد يحيى توفيق أفندي	» » »
٢٢ ب	١٢٠٥	–	٤	١	مكي محمد أفندي	السلطان سليم ثالث
٢٢ ذا	١٢٠٦	٢٥	٣	٦	دري زاده محمد عارف أفندي ثانيًا	» » »
١٨ را	١٢١٣	–	١١	١	مصطفى عاشر أفندي	» » »
١٨ را	١٢١٥	–	١١	٢	عمر خلوصي أفندي أولا دفعات ثلاثة أيام ٢٣ ماه ١ سنة ٥	» » »

ج = جمادى الآخرة، جا = جمادى الأولى، ر = ربيع الآخر، ذ ا = ذو القعدة، ب = رجب

ل = شوال، ش = شعبان، ص = صفر م = محرم، ر ا = ربيع الأول

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر مشايخ الإسلام	عصر
م	١٢١٨	–	٦	٣	صالح زاده أحمد سعد أفندي أولا دفعتين (أيام ١٢ ماه ٩ سنة ٣)	السلطان سليم ثالث
غرة ب	١٢٢١	٧	١٠	–	شريف زاده السيد محمد عطا الله أفندي أولا دفعتين (أيام ١٦ ماه ١٠ سنة ١)	السلطان سليم الثالث ومصطفى رابع
٧ جا	١٢٢٢	١	–	–	عمر خلوص أفندي ثانيًا	السلطان مصطفى رابع
٨ جا	١٢٢٢	١٩	–	١	شريف زاده السيد محمد عطا الله أفندي ثانيًا	» » »
٢٧ جا	١٢٢٣	٢٥	–	–	عرب زاده محمد عارف أفندي	السلطان مصطفى خان رابع ومحمد ثاني
٢٢ ج	١٢٢٣	١٠	٣	–	صالح زاده أحمد أسعد أفندي	السلطان محمود غازي ثاني
٢ ل	١٢٢٣	١٠	١١	١	دري زاده السيد عبد الله أفندي أولا دفعتين (أيام ١٨ ماه ١٠ سنة ٤)	» » »
٢٢ ص	١٢٢٥	٢٢	٢	٢	عمر خلوصي أفندي ثانيًا[1]	السلطان محمود غازي ثاني
غرة ج	١٢٢٧	٨	١١	٢	درس زاده السيد عبد الله أفندي ثانيًا	» » »
١٠ ر	١٢٣٠	٩	١١	٢	السيد محمد زين العابدين أفندي	» » »
١٩ را	١٢٣٣	١٩	٧	١	مكي زاده مصطفى عاصم أفندي أولا دفعات ثلاثة (ماه ٢٥ سنة ١٨)	» » »
٨ ذا	١٢٣٤	١٦	٧	١	الحاج خليل أفندي	» » »
٢٤ ج	١٢٣٦	١	٨	١	يسنجي زاده عبد الوهاب أفندي أولا دفعتين (أيام ٢٧ ماه ٦ سنة ٦)	» » »
٢٥ ص	١٢٣٨	٢٦	١٠	–	صدقي زاده أحمد رشيد أفندي	» » »
١٩ م	١٢٣٩	٢٣	٢	٢	مكي زاده مصطفى عاصم أفندي ثانيًا	» » »
١٣ ر	١٢٤١	٢٥	٦	٢	قاضي زاده محمد طاهر أفندي	» » »
٢٢ ل	١٢٤٣	٢٦	١٠	٤	يسنجي زاده عبد الوهاب أفندي ثانيًا	» » »
١٨ ن	١٢٤٨	١٣	٢	١٤	مكي زاده مصطفى عاصم أفندي ثالثًا	السلطان محمود ثاني وهمايدين

وقد بلغ عدد مشايخ الإسلام مائة وأربعين رحمهم الله أجمعين

م = محرم، جا = جمادى الأولى، ل = شوال، ر = ربيع الآخر، ذا = ذو القعدة

ب = رجب، ج = جمادى الآخرة، ص = صفر، را = ربيع الأول، ن = رمضان

(١) الأصح: ثالثًا.

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر القبودانــــات		عصر
	٨٥٥	-	-	٧	سليمان بك		أبو الفتوح محمد خان
	٨٦٢	-	-	١٠	خاص يونس		» » »
	٨٧٢	-	-	٨	محمود باشا		» » »
	٨٨٠	-	-	٤	كدك أحمد باشا		» » »
	٨٨٤	-	-	١٢	مسيح أحمد باشا		» » »
	٨٩٧	-	-	١	كويكو سنان باشا		بايزيد خان ثاني
	٨٩٨	-	-	١٤	داود باشا		» » »
	٩١٢	-	-	٥	هرسك زاده أحمد باشا		» » »
	٩١٧	-	-	٩	جعفر بك		(١) السلطان سليم قديم
	٩٢٦	-	-	١٤	يبلاق مصطفى باشا		سليمان خان أول
	٩٤٠	-	-	١	كما نكش أحمد بك		» » »
	٩٤١	-	-	٩	خير الدين باشا		» » »
	٩٥٠	-	-	٦	طويل محمد باشا	بوسنوي الأصل	» » »
	٩٥٧	-	-	٤	سنان باشا	خردادي الأصل	» » »
	٩٦١	-	-	١٤	يبساله باشا	خردادي الأصل	» » »
	٩٧٥	-	-	٤	شهيد علي باشا		السلطان سليم ثاني
	٩٧٩	-	-	١٦	قلبج علي باشا		» » »
	٩٩٥	-	-	١	إبراهيم باشا	بوسنوي الأصل	مراد ثالث
	٩٩٦	-	-	٥	الوج حسن باشا		السلطان مراد ثالث

(١) الأصح السلطان بايزيد ثاني وسليم أول .

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر القبودانـــــات	عصر
	٩٩٨	–	–	٥	جفالة زادة سنان أولا أفرنجي الأصل دفعتين ٩ سنة	السلطان محمد ثالث
	١٠٠٢	–	–	٢	خليل باشا بوسنوي الأصل	السلطان مراد ثالث (١)
٩ ل	١٠٠٦	–	–	٤	جفالة زاده سنان باشا ثانيًا	السلطان محمد ثالث
	١٠١٠	–	–	٤	مصطفى باشا	» » »
١١ ص	١٠١٤	–	–	١	درويش محمد باشا	السلطان أحمد أول (٢)
	١٠١٥	–	–	١	جعفر باشا	السلطان أحمد أول
	١٠١٦	–	–	٢	حافظ أحمد باشا	» » »
	١٠١٨	–	–	١	خليل باشا أولا دفعات أربعة (أيام ماه سنة) ٢٠ ٥ ٧	» » »
	١٠١٩	–	–	٣	أوكور محمد باشا	» » »
	١٠٢٢	–	–	٤	خليل باشا ثانيًا	» » »
	١٠٢٦	١٠	١	–	جلبي علي باشا أولا دفعتين (أيام ماه سنة) ١٠ ١ ٢	» » »
	١٠٢٦	–	–	١	داود باشا بوسنوي الأصل	» » »
	١٠٢٧	–	–	٢	جلبي علي باشا ثانيًا	السلطان عثمان ثاني
	١٠٢٩	–	–	١	خليل باشا ثالثًا	السلطان عثمان ثاني
	١٠٣٠	١٠	٦	–	دفتردار مصطفى باشا	» » »
	١٠٣٠	٢٠	٥	١	خليل باشا رابعًا	» » »
	١٠٣٢	–	–	٣	رجب باشا بوسنوي	مصطفى خان أول
١٨ ل	١٠٣٥	–	–	٦	حسن باشا	» » »
	١٠٤١	–	٤	–	مصطفى باشا	» » »

ل = شوال ص = صفر

١ - الأصح السلطان م راد الثالث

٢ - الأصح السلطان مراد الثالث

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر القبودانـــات	عصر
١٣ ذ	١٠٤١	–	٨	٢	جعفر باشا	مصطفى خان أول
٤ م	١٠٤٤	–	–	١	ولي حسين باشا أولا دفعات ثلاثة أيام ٢٣ ماه ٤ سنة ٣	» » »
	١٠٤٥	–	–	٢	مصطفى باشا أرنؤدي الأصل	» » »
	١٠٤٧	–	–	٢	سلحدار مصطفى باشا	» » »
	١٠٤٩	–	–	٢	ولي حسين باشا ثانيا	السلطان إبراهي خان
	١٠٥١	–	–	١	سياوش باشا خردادي الأصل	» » »
	١٠٥٢	–	–	١	أوزن بياله باشا	» » »
٥ م	١٠٥٣	–	–	١	أبو بكر باشا	» » »
غرة م	١٠٥٤	–	–	١	يوسف باشا	» » »
٥ ذ	١٠٥٥	–	–	٢	موسى باشا	» » »
	١٠٥٧	–	–	١	فضلي باشا	» » »
٢٨ ذ١	١٠٥٨	–	٨	١	عماد زاده محمد باشا	محمد خان رابع
١٨ ب	١٠٥٩	٢١	٢	–	يقلي مصطفى باشا	» » »
٣ ل	١٠٥٩	–	–	١	حيدر أغا زاده محمد باشا	» » »
١١ ل	١٠٦٠	–	–	١	حسام بك زاده علي باشا أولا دفعتين أيام ١٧ ماه ١٠ سنة ١٠	» » »
٢٩ ل	١٠٦٢	–	–	١	درويش محمد باشا	السلطان محمد خان رابع
٢ ر	١٠٦٣	١٠	١	–	جاويش زاده محمد باشا أولا دفعتين أيام ٢٦ ماه ٨ سنة ٢	» » »
م	١٠٦٤	١٥	٦	١	مراد باشا	» » »
١٥ ب	١٠٦٥	١٥	١١	–	زود نازن مصطفى باشا	» » »

ل = شوال، م = محرم، ب = رجب، ماه = أشهر

ذ = ذو الحجة، ذ١ = ذو القعدة،

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر القبودانـــات	عصر
غرة ب	١٠٦٦	–	٢	–	حاليجي زاده دامادي مصطفى باشا	السلطان محمد خان رابع
ن	١٠٦٦	–	١	–	كنعان باشا جركسي الأصل	» » »
ل	١٠٦٦	–	٥	–	سيدي أحمد باشا	» » »
ص	١٠٦٧	١٤	٢	١	طوبال محمد باشا	» » »
١٤ ر ١	١٠٦٨	١٦	٧	١	جاويش زاده محمد باشا ثانيًا	» » »
١٤ ل	١٠٦٨	٢٣	٤	–	ولي حسين باشا ثالثًا	» » »
٧ ر ١	١٠٦٩	–	٦	١	علي باشا أولا دفعتين ماه ٦ سنة ٦	» » »
٥ ص	١٠٧٠	١٧	١٠	–	حسام بك علي باشا ثانيًا	» » »
٢٢ ج	١٠٧٢	٢٣	–	–	عبد القادر باشا	» » »
١٥ ب	١٠٧٢	–	٢	٣	قره مصطفى باشا	» » »
٢١ ن	١٠٧٦	–	–	٦	قبلا مصطفى باشا دفعتين سنة ٧	» » »
ذ	١٠٨٢	–	–	٥	علي باشا ثانيًا	» » »
غرة ش	١٠٨٧	–	–	١	سيدي باشا زاده محمد باشا	» » »
١٧ ن	١٠٨٨	–	–	٢	قره إبراهيم باشا	» » »
١٢ ر ١	١٠٩٠	–	–	١	قبلان مصطفى باشا ثانيًا	السلطان محمد الرابع
١٣ ذا	١٠٩١	–	–	٤	سلحدار مصطفى باشا	» » »
م	١٠٩٥	–	–	٢	مصاحب مصطفى باشا	» » »
١ ذ	١٠٩٧	–	–	٢	ماهرلي زاده مصطفى باشا أولاً دفعتين سنة ٤	» » »
ل	١٠٩٩	–	–	٢	قلايلي أحمد باشا	السلطان سليمان ثاني

ل = شوال، م = محرم، ن = رمضان، ر ١ = ربيع الأول، ذ = ذو الحجة

ر = ربيع الآخر، ب = رجب، ص = صفر، ج = جمادى الآخرة، ش = شعبان

ماه = أشهر

تاريخ الصدارة شهر	سنة	مدة الصدارة يوم	شهر	سنة	ذكر القبودانـــات	عصر
٤ جا	١١٠١	–	–	٢	ماهر لي زاده إبراهيم باشا ثانيًا	السلطان سليمان ثاني
٢٧ ب	١١٠٣	–	٥	٢	يوسف باشا	أحمد خان ثاني
م	١١٠٦	–	–	١	عمويه زاده حسين باشا	مصطفى خان ثاني
م	١١٠٧	١٥	٢	٦	مزة موربة حسين باشا	» » »
١٥ ر ١	١١١٣	–	٤	١	عبد الفتاح باشا	» » »
١٧ ش	١١١٤	–	–	١	اشجي محمد باشا أولا دفعتين أيام ماه سنة ١٩ ١ ١	» » »
٤ ش	١١١٥	١٥	٣	١	عثمان باشا	السلطان أحمد ثالث
١٦ ج	١١١٦	١٣	٢	–	بالته جي محمد باشا	» » »
٢٧ ش	١١١٦	٢	١	–	عبد الرحمن باشا	» » »
٢٨ ن	١١١٦	–	–	٢	مولى باشا	» » »
ن	١١١٨	–	–	٣	جور ليل كتخداسي إبراهيم أولا دفعتين	» » »
٢٢ ش	١١٢١	١٣	٢	٢	محمد باشا	» » »
١٣ ذ	١١٢٣	–	–	١	الحاج أحمد باشا	» » »
٢٢ ر	١١٢٤	–	٢	١	أورضيوحه إبراهيم خواجه بهلوان زاده	» » »
٧ ر ١	١١٢٥	–	٧	–	سليمان باشا اباذه الأصل	» » »
٢٢ ل	١١٢٥	١٩	١	–	اشجي محمد باشا ثانيًا	» » »
١٩ ذ	١١٢٥	–	–	١	خواجه سليمان باشا أولا دفعتين	» » »
١٦ ذ	١١٢٦	–	٢	٣	جانم خواجه محمد باشا أولا دفعات ثلاثة	» » »
٢ ر ١	١١٢٩	–	–	–	كتخدا إبراهيم محمد باشا ثانيًا	» » »

ل = شوال، م = محرم، ن = رمضان، ر ١ = ربيع الأول، ذ = ذو الحجة

ر = ربيع الآخر، ب = رجب، ص = صفر، ج = جمادى الآخرة، ش = شعبان

ماه = أشهر

تاريخ الصدارة		مدة الصدارة			ذكر القبودانـــات		عصر
شهر	سنة	يوم	شهر	سنة			
٤ جا	١١٣٠	–	–	–	خواجه سليمان باشا	ثانيًا	السلطان أحمد خان ثالث
	١١٣٢	–	–	–	اتلجي مصطفى باشا		» » »
	١١٤٣	–	–	–	عبدي باشا أولاً دفعتين		» » »
	١١٤٣	–	–	–	داماد حافظ أحمد باشا		» » »
	١١٤٤	–	–	–	جانم محمد باشا	ثانيًا	السلطان محمود أول
	١١٤٤	–	–	–	شاهين باشا		» » »
	١١٤٤	–	–	–	عبدي باشا	ثانيًا	» » »
	١١٤٤	–	–	–	مرابط سليمان باشا		» » »
	١١٤٤	–	–	–	سلحدار أبو أبكر باشا		» » »
	١١٤٥	–	–	–	جانم محمد بات	ثالثًا	» » »
	١١٤٥	–	–	–	لازغلي باشا		» » »
	١١٤٩	–	–	–	سليمان باشا		» » »
	١١٥٣	–	–	–	صاري مصطفى باشا		» » »
	١١٥٧	–	–	–	شهوار زاده مصطفى باشا		» » »
	١١٥٧	–	–	–	طوبال عثمان باشا زاده أحمد باشا		» » »
	١١٥٩	–	–	–	صوغان يمز محمود باشا		» » »
	١١٥٩	–	–	–	طوراق محمد باشا		» » »
	١١٦١	–	–	–	ملك محمد باشا		محمود خان أول
	١١٦٨	–	–	–	قره باغلي سليمان باشا		» » »

جا = جمادى الأولى

تاريخ الصدارة شهر	سنة	مدة الصدارة يوم	شهر	سنة	ذكر القبودانـــات	عصر
	١١٧٣	–	–	–	عبد الكريم باشا	مصطفى خان ثالث
	١١٧٤	–	–	–	مير أخور مصطفى باشا	» » »
	١١٧٤	–	–	–	حسن باشا	» » »
	١١٧٥	–	–	–	كتخدا محمد باشا	» » »
	١١٧٦	–	–	–	سنك مصطفى باشا	» » »
	١١٧٧	–	–	–	ملك محمد باشا ثانيًا	» » »
	١١٨٠	–	–	–	أغا محمد باشا	» » »
	١١٨١	–	–	–	أغا حسين حسني باشا	» » »
	١١٨٦	–	–	–	طوسون باشا	» » »
	١١٨٦	–	–	–	سليمان باشا زاده محمد باشا	» » »
	١١٨٦	–	–	–	أغريبوزي إبراهيم باشا	» » »
	١١٨٦	–	–	–	حسام الدين باشا	» » »
	١١٨٧	–	–	–	جعفر باشا	السلطان عبد الحميد خان
	١١٨٨	–	–	–	جزايرلي غازي باشا	» » »
	١٢٠٣	–	–	–	كريدلي حسين باشا	السلطان سليم خان ثالث
	١٢٠٦	–	–	–	كوجك حسين باشا	» » »
	١٢١٨	–	–	–	محمد قدري باشا	» » »
	١٢١٩	–	–	–	بوستانجي باشـي حافظ إسماعيل باشا	» » »
	١٢٢٠	–	–	–	بوستانجي باشـي حاجي محمد باشا	» » »
	١٢٢١	–	–	–	حاجي صالح زعفران أولى	» » »
	١٢٢١	–	–	–	سيد علي باشا	سليم خان ثالث

تاريخ الصدارة شهر	تاريخ الصدارة سنة	مدة الصدارة يوم	مدة الصدارة شهر	مدة الصدارة سنة	ذكر القبودانـــات		عصر
	١٢٢٣	–	–	–	سيد عبد الله رامز باشا		محمود غازي ثاني
م	١٢٢٤	–	–	–	جرخه جي علي باشا		» » »
ج	١٢٢٥	–	–	–	حافظ علي باشا		» » »
ل	١٢٢٦	–	–	–	قره محمد باشا		» » »
ذ	١٢٢٦	–	–	–	محمد خسرو باشا أولا دفعتين كرجي الأصل		» » »
ر	١٢٣٣	–	–	–	اريج اللي أحمد باشا		» » »
	١٢٣٣	–	–	–	حسن باشا		» » »
ن	١٢٣٤	–	–	–	ولي عبد الله باشا		» » »
ص	١٢٣٧	–	–	–	نصوح زاده علي باشا		» » »
ل	١٢٣٧	–	–	–	طوبجي باشي قره محمد باشا		» » »
	١٢٣٧	–	–	–	خسرو محمد باشا	ثانيًا	» » »
	١٢٤٢	–	–	–	عزت محمد باشا		» » »
ب	١٢٤٤	–	–	–	بابو ججي أحمد باشا		» » »
	١٢٤٥	–	–	–	خليل رفعت باشا		» » »
	١٢٤٨	–	–	–	جنكال أوغلي طاهر باشا	أولاً	» » »
	١٢٥٣	–	–	–	فراري فوزي أحمد باشا		» » »
	١٢٥٦	–	–	–	سعيد باشا		السلطان عبد الحميد خان
	١٢٥٧	–	–	–	جنكال أوغلي طاهر باشا	ثانيًا	» » »
	١٢٥٩	–	–	–	خليل رفعت باشا	ثانيًا	» » »

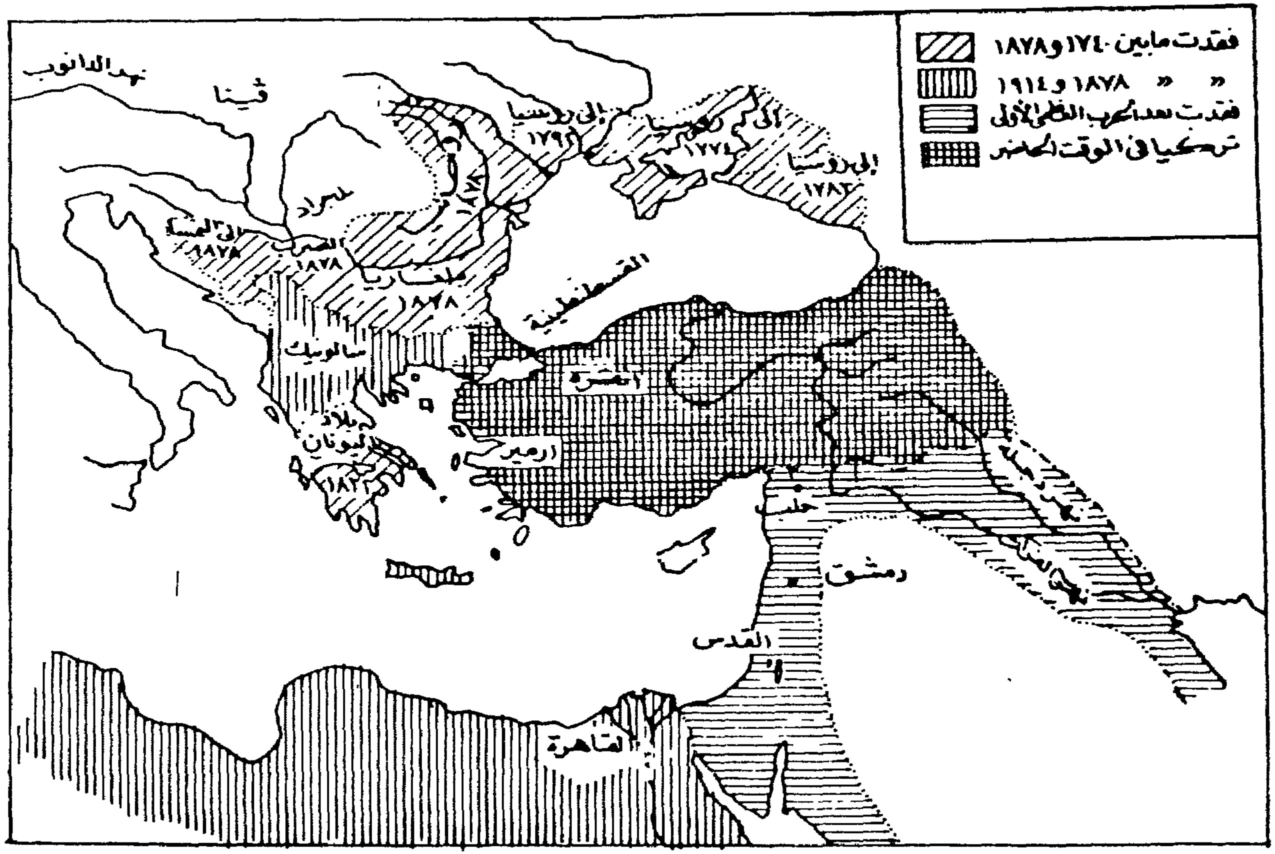
م = محرم، ج = جمادى الآخرة، ل = شوال، ذ = ذو الحجة

ر = ربيع الآخر، ن = رمضان، ص = صفر، ب = رجب

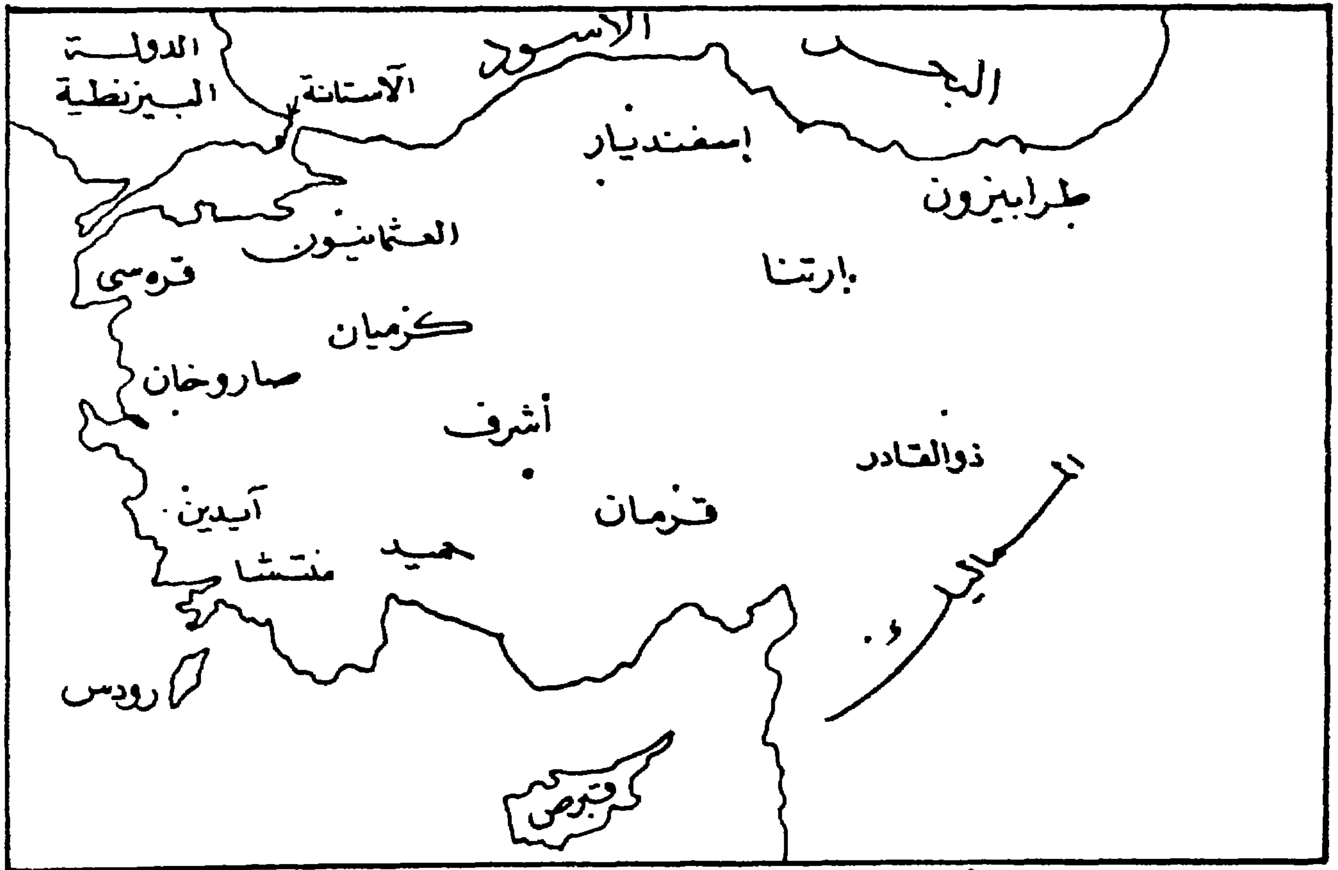
تاريخ الصدارة شهر	سنة	مدة الصدارة يوم	شهر	سنة	ذكر القبودانات		عصر
	١٢٦١	–	–	–	داماد محمد علي باشا	أولاً	السلطان عبد الحميد خان
	١٢٦٣	–	–	–	خليل رفعت باشا	ثالثًا	» » »
	١٢٦٤	–	–	–	داماد محمد علي باشا	ثانيًا	» » »
	١٢٦٥	–	–	–	سليمان باشا		» » »

قد بلغ عدد القبودانات مائة وتسعة وخمسين رحمهم الله تعالى أجمعين

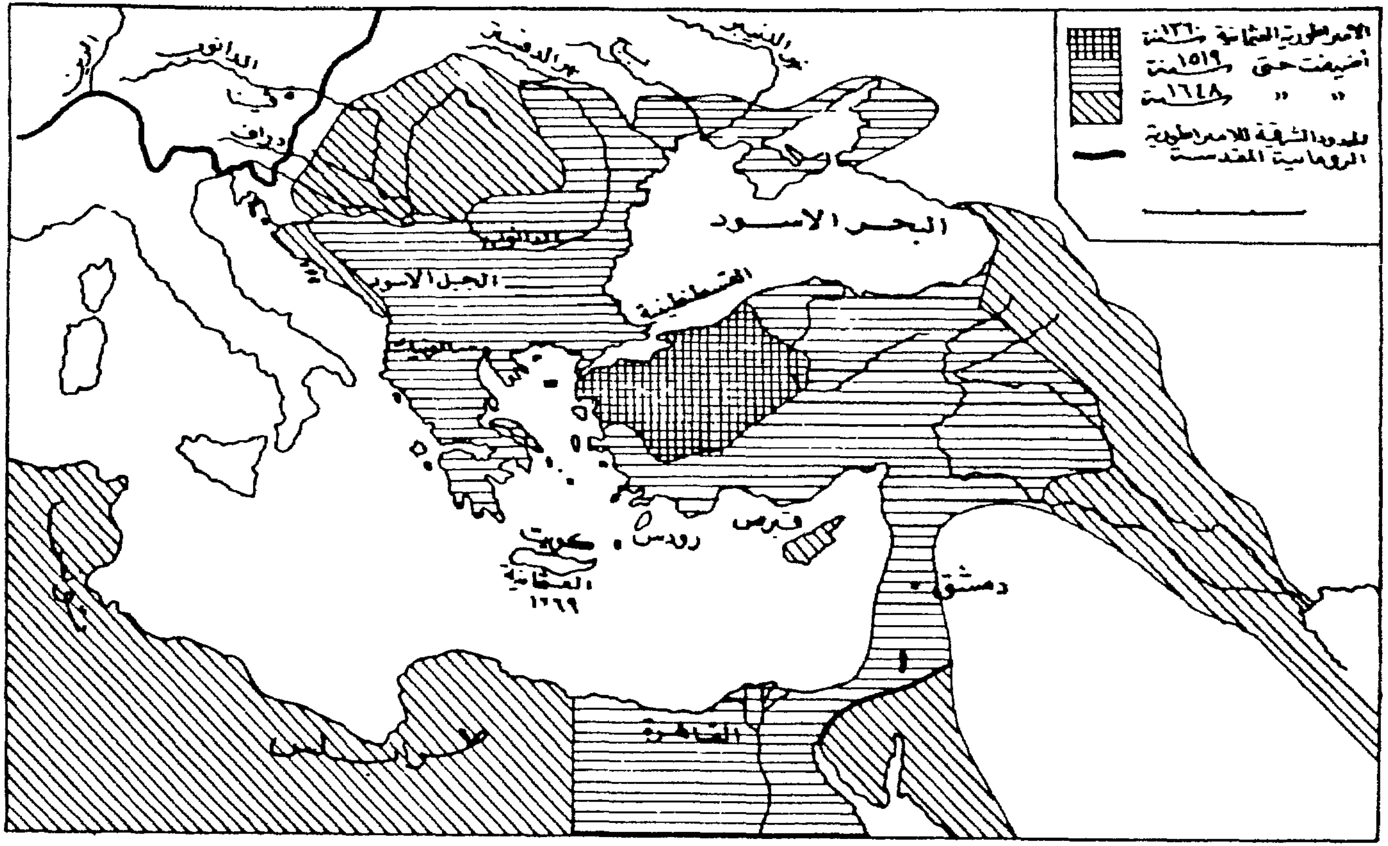
ملحق الخرائط



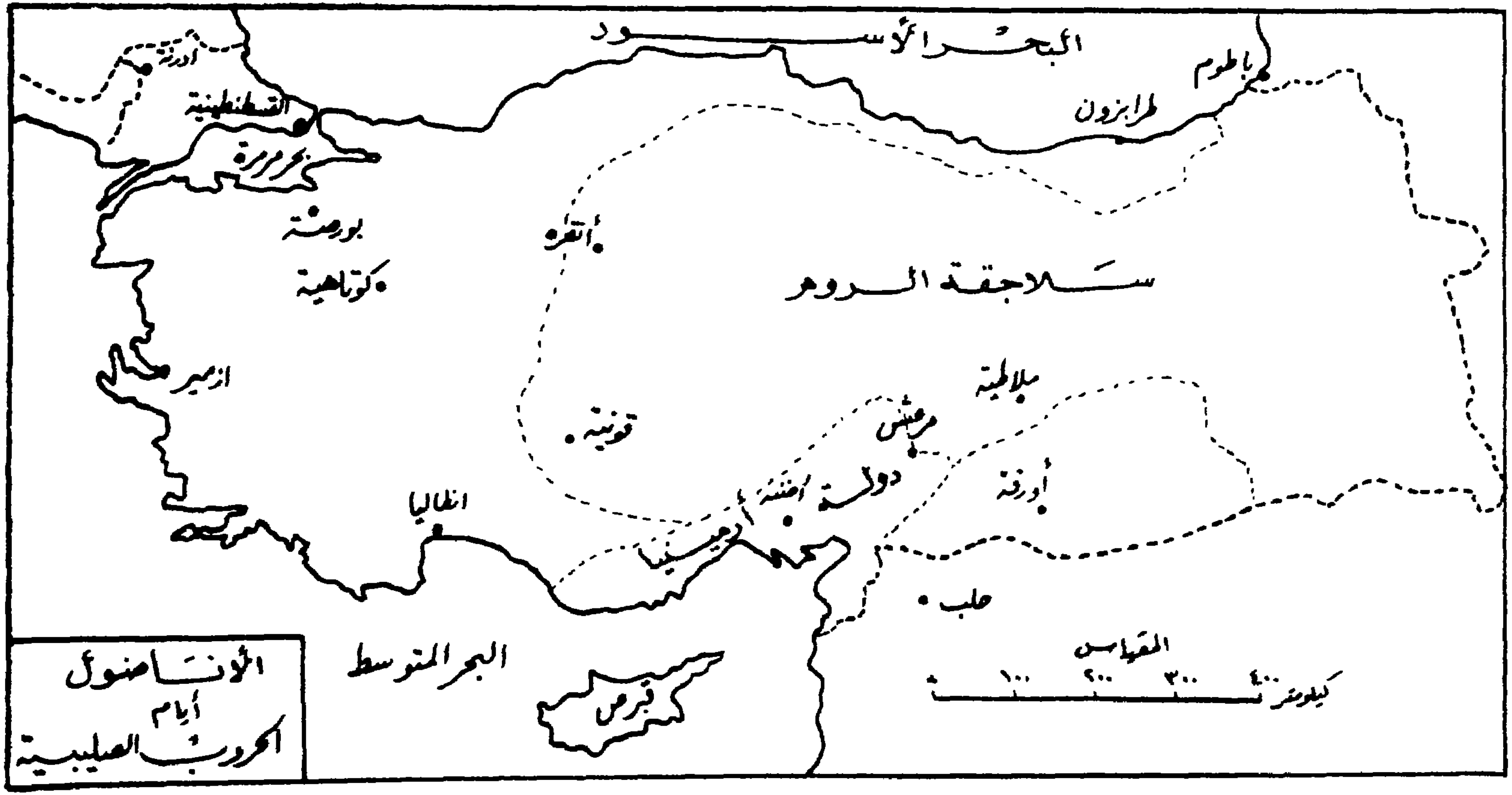
ضعف الامبراطورية العثمانية



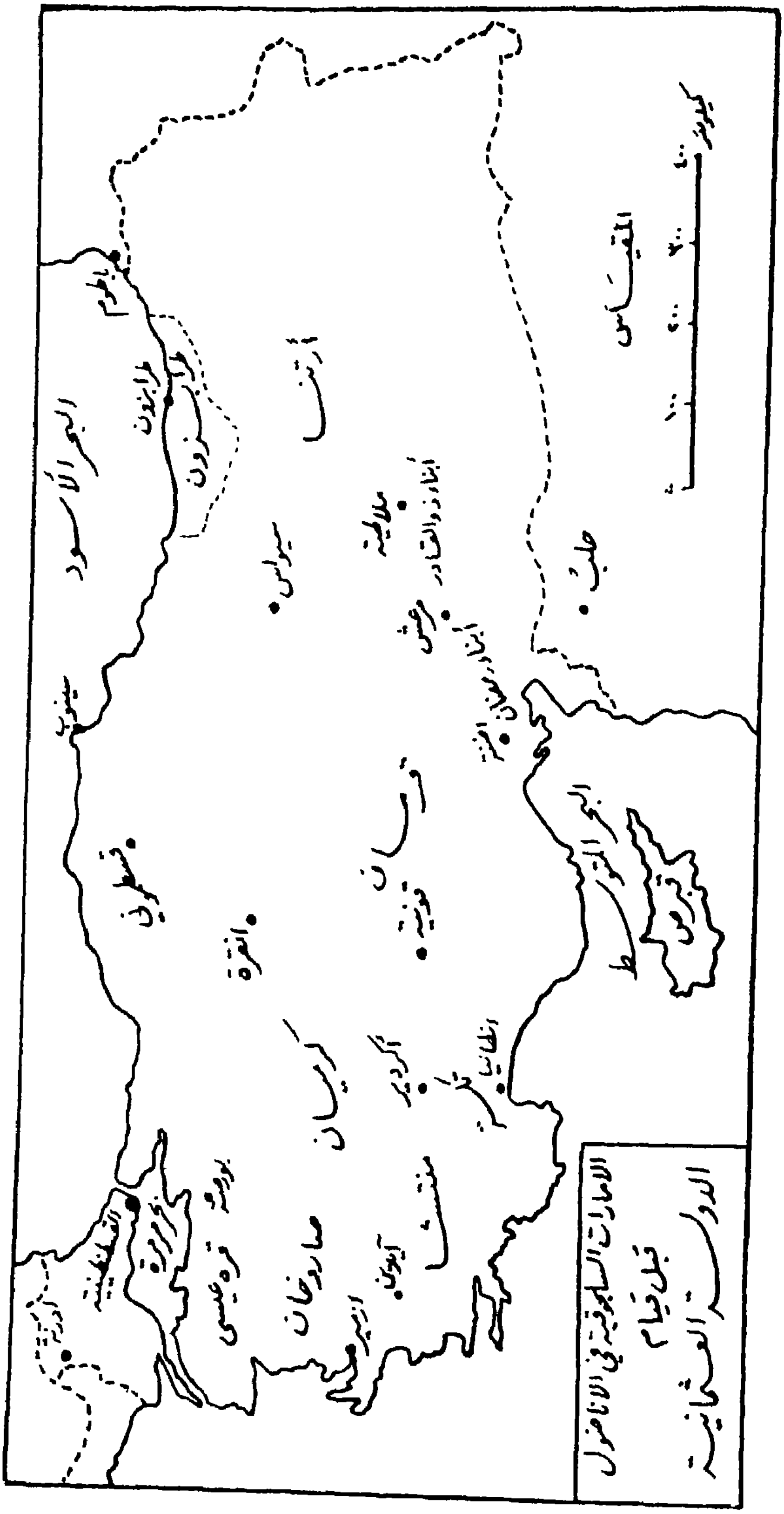
الأناضول في أواسط القرن الرابع عشر



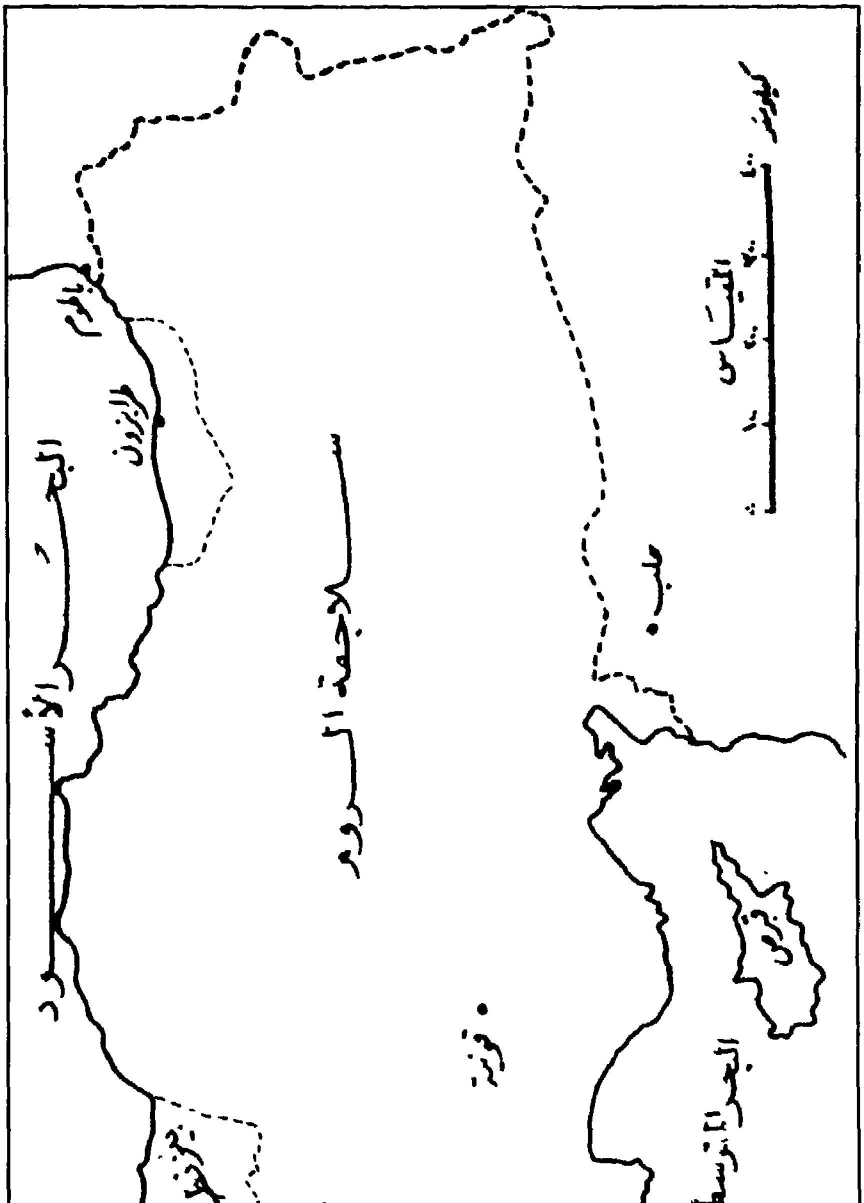
توسع الامبراطورية العثمانية إلى سنة ١٦٤٨

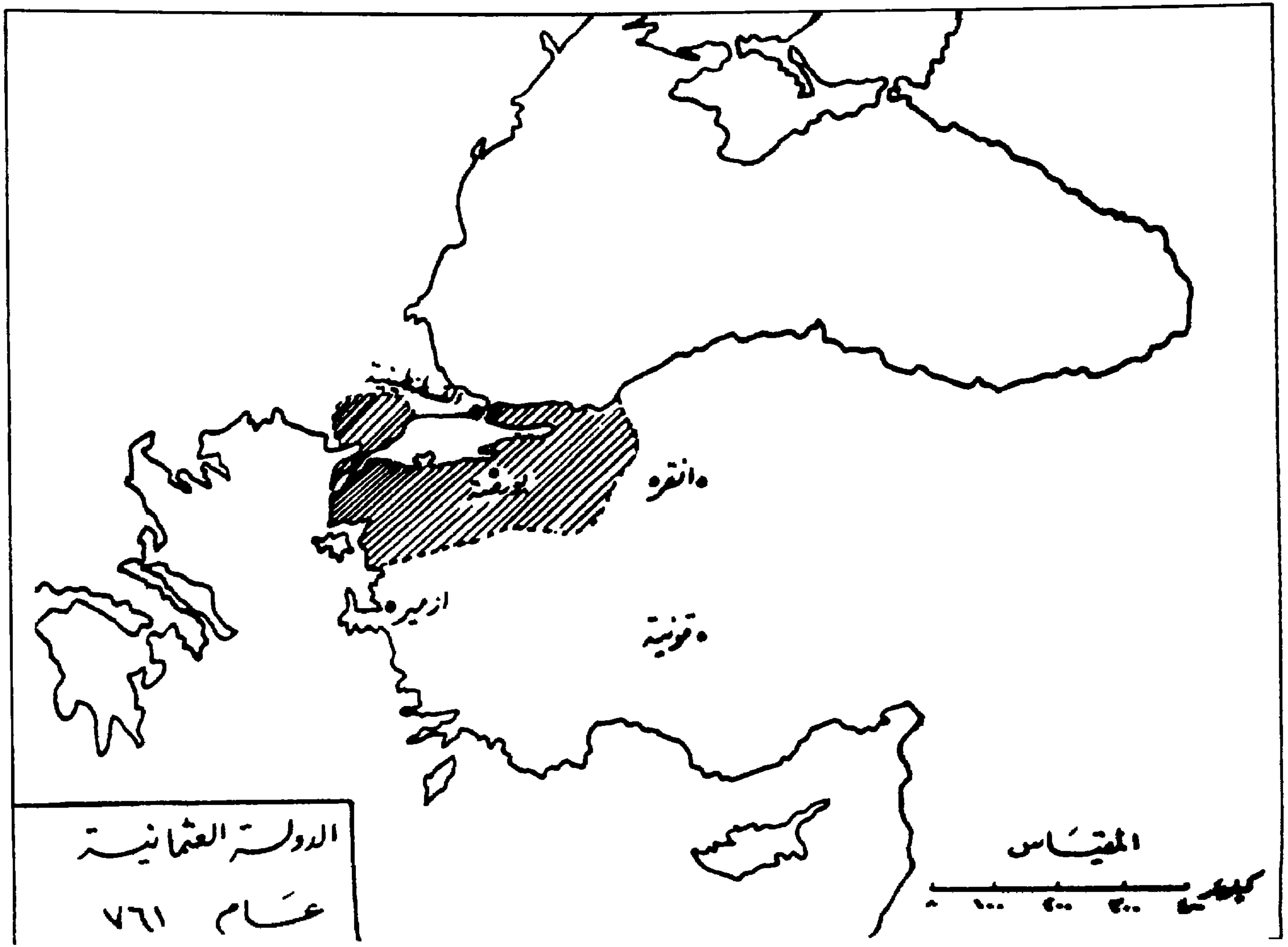


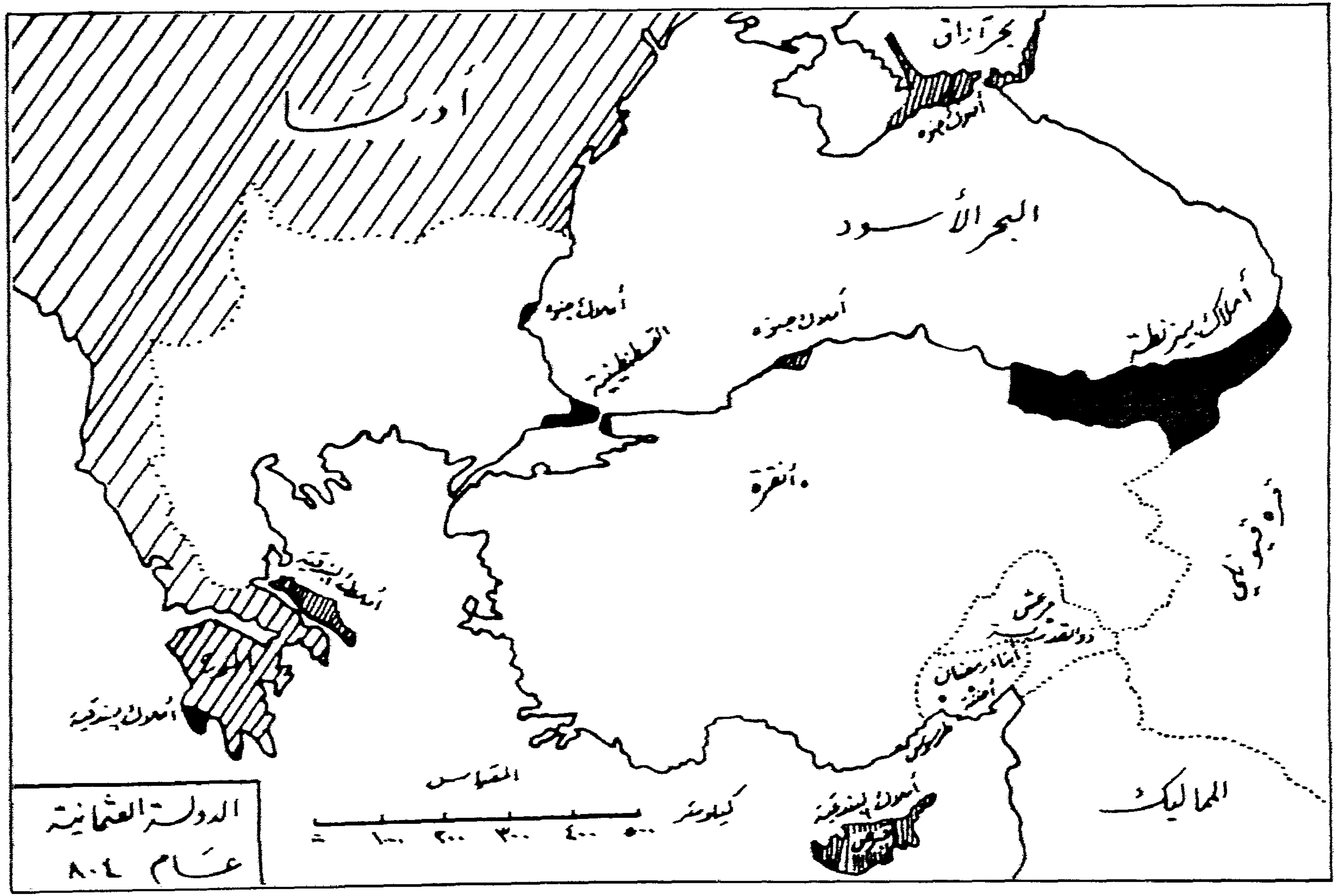
مصور رقم [٢] تراجع سلاجقة الروم أيام الحروب الصليبية وقيام دولة أرمينيا في كيليكيا وقيام
امارة اورفة الصليبية

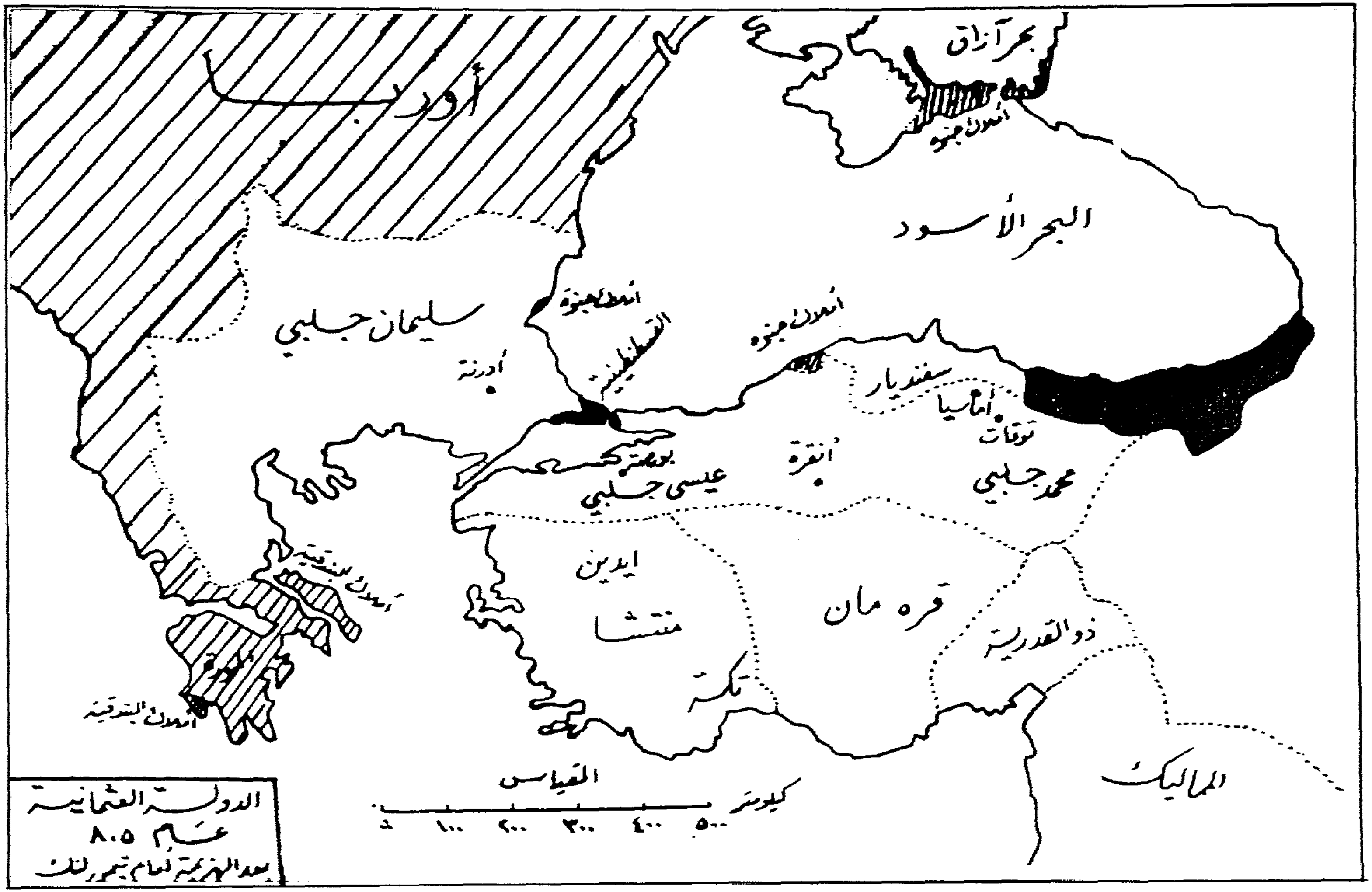

الامارات السلجوقية في الاناضول
قبل قيام
الدولة العثمانية
البحر الأسود
البحر المتوسط
قبرص
طرابزون
باطوم
سيواس
ملاطية
مرعش
حلب
سينوب
قسطموني
أنقرة
قونية
قرمان
كرميان
صاروخان
القسطنطينية
بروسة
المقياس
كيلومتر

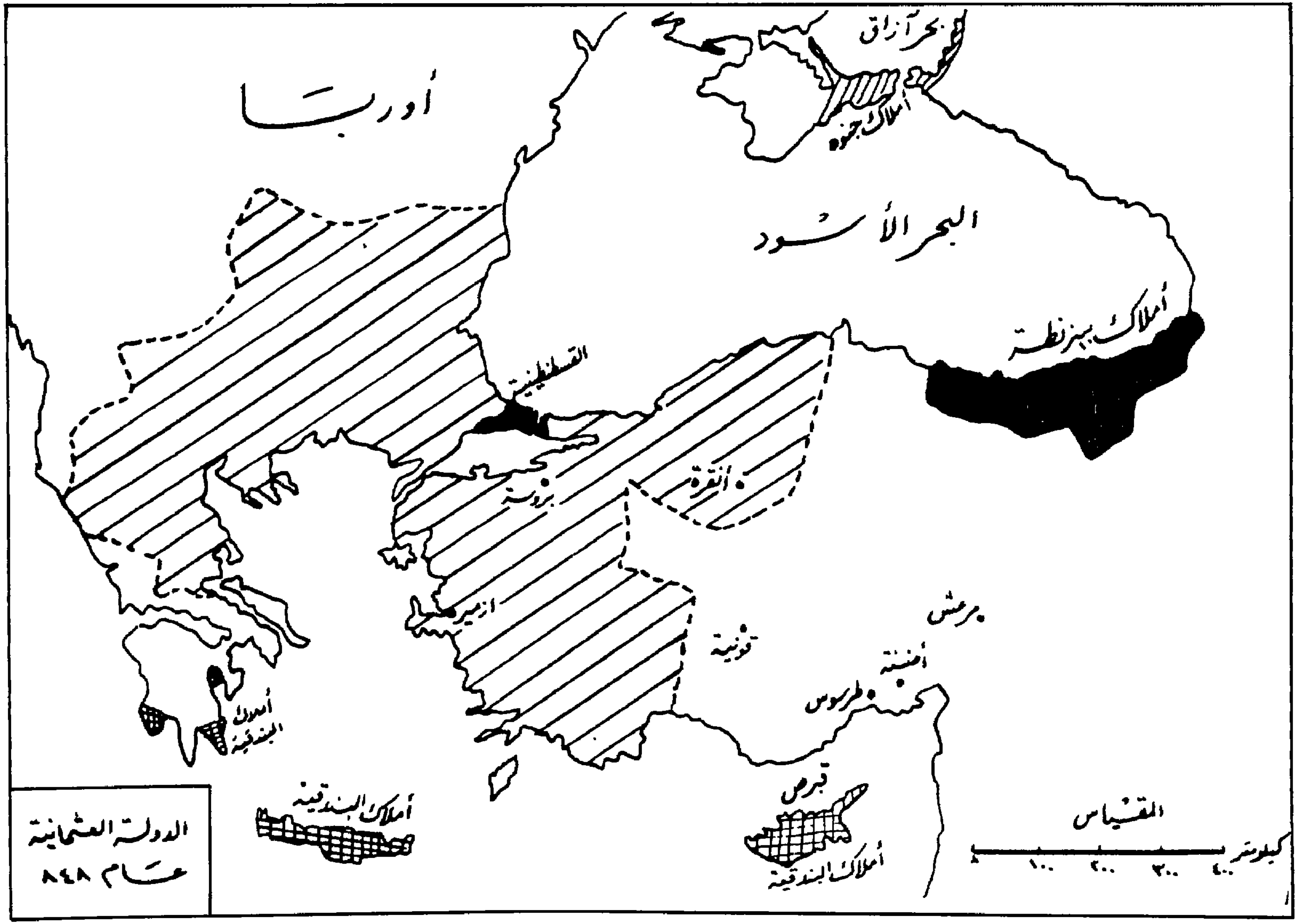
مصور رقم [٢]


المناطق التي قامت عليها الدولة العثمانية
البحر الأسود
باطوم
طرابزون
سلاجقة الروم
حلب
قونية
قبرص
البحر المتوسط
القسطنطينية
أزمير
المقياس
كيلومتر

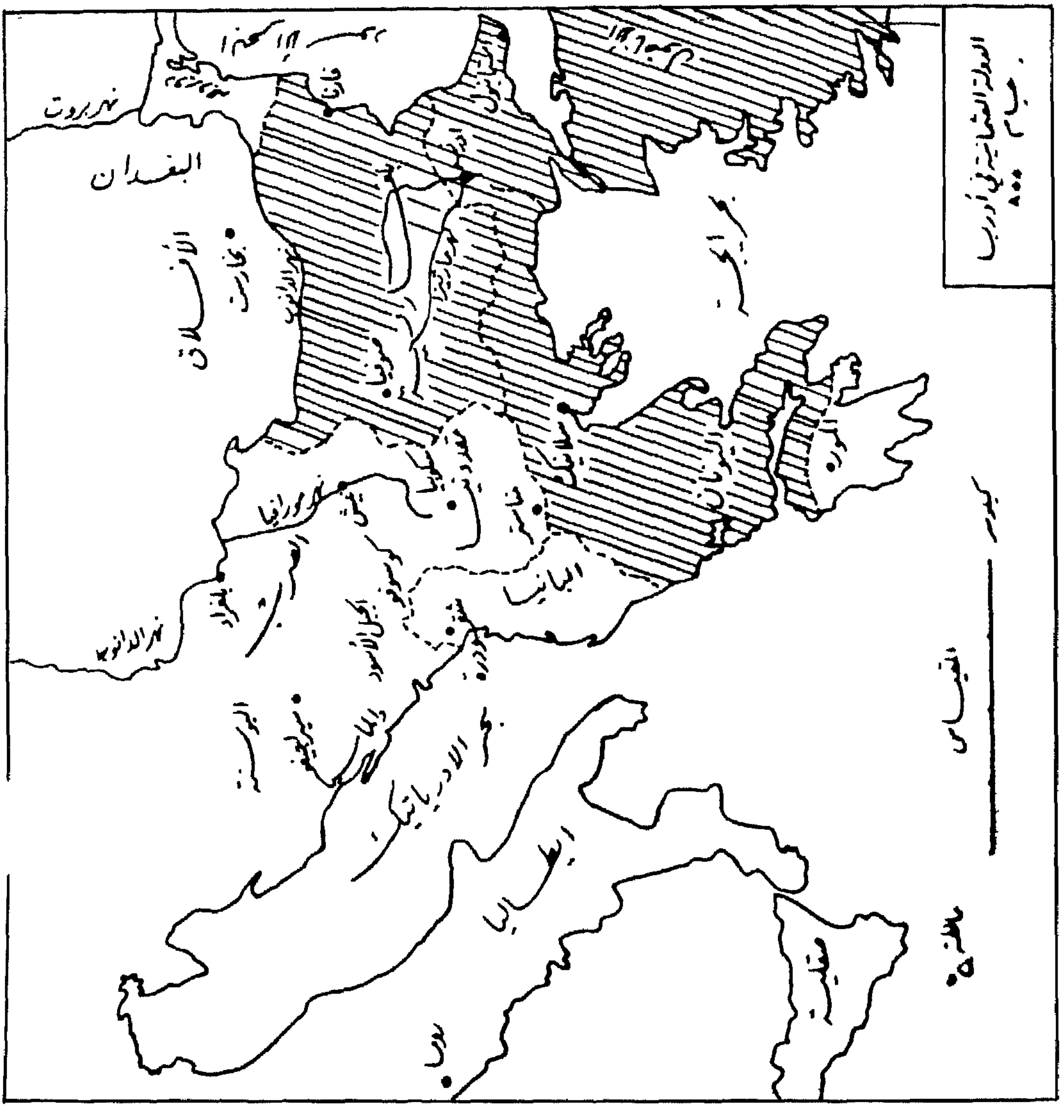

الدولة العثمانية
عام ٧٦١
المقياس
انقرة
قونية
ازمير


الدولة العثمانية
عام ٨٠٤
بحر آزاق
أملاك جنوه
البحر الأسود
أملاك جنوه
أملاك جنوه
القسطنطينية
أملاك بيزنطة
أنقرة
مرعش
ذو القدر
أبناء رمضان
أضنة
أملاك البندقية
أملاك البندقية
أملاك البندقية
المماليك
كيلومتر
٥٠٠ ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠

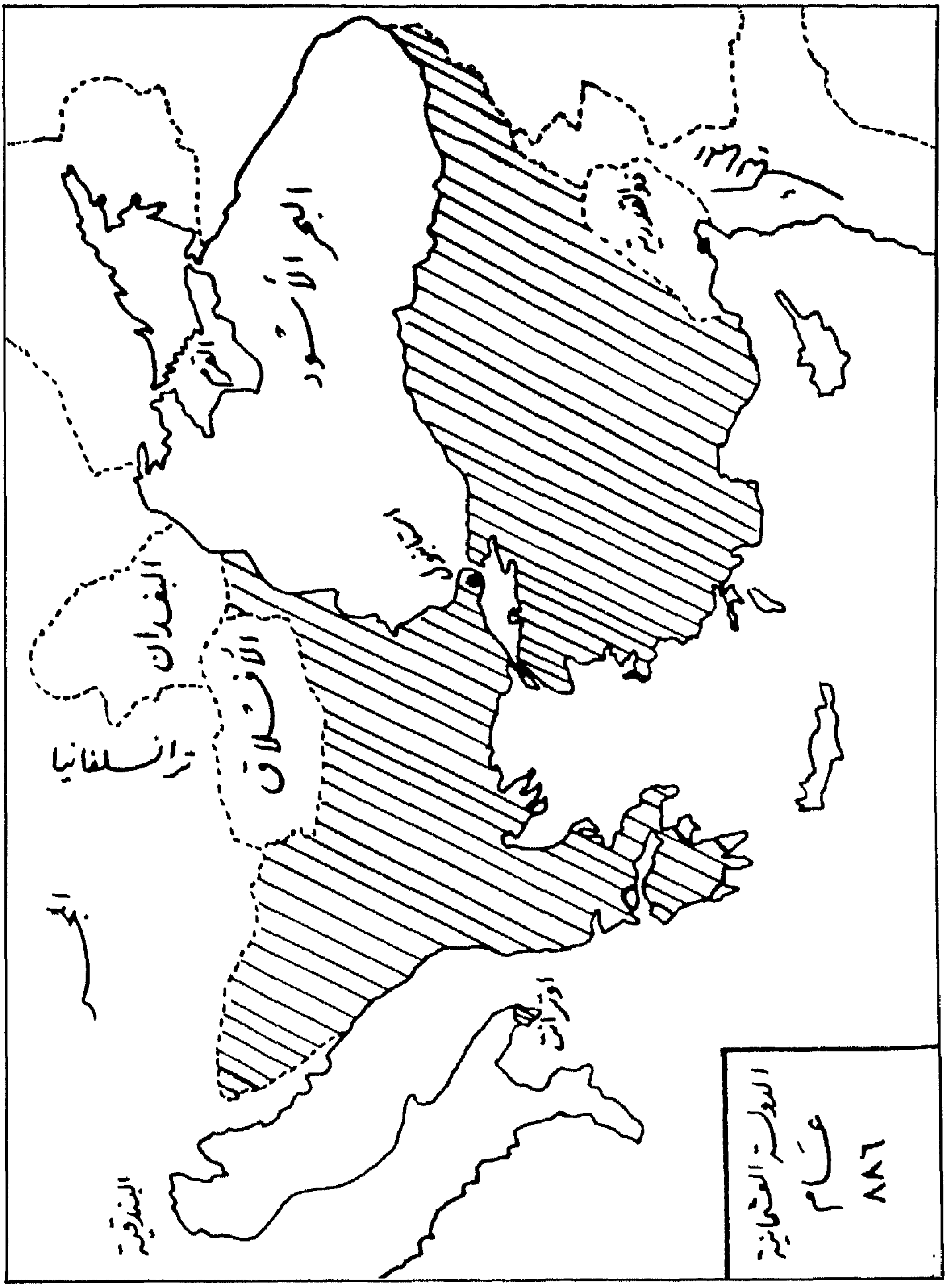

الدولة العثمانية
عام ٨٠٥
بعد الهزيمة أمام تيمورلنك
أوربا
بحر آزاق
أملاك جنوة
البحر الأسود
أملاك جنوة
أملاك جنوة
القسطنطينية
سليمان جلبي
أدرنة
سفنديار
أماسيا
توقات
أنقرة
بورصة
عيسى جلبي
محمد جلبي
أملاك البندقية
أيدين
منتشا
قره مان
ذو القدرية
تكه
المورة
أملاك البندقية
المماليك
المقياس
كيلومتر
٥٠٠ ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠

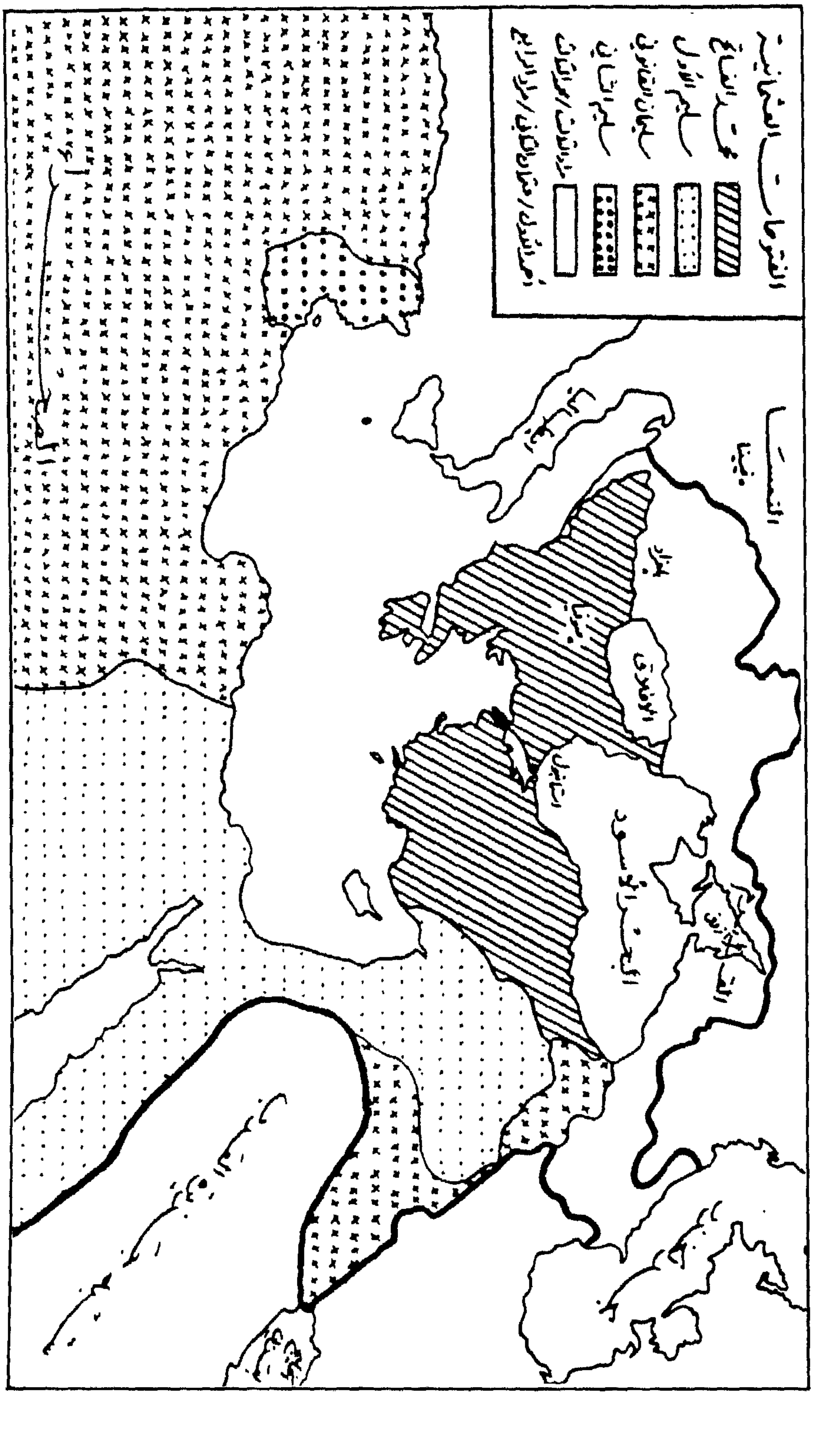


الدولة العثمانية
عام ٨٤٨
أوربا
البحر الأسود
بحر آزاق
أملاك جنوه
أملاك بيزنطة
القسطنطينية
بروسة
أنقرة
ازمير
قونية
مرعش
أضنة
طرسوس
قبرص
أملاك البندقية
أملاك البندقية
أملاك البندقية
المقيباس
كيلومتر ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠



البغدان
الأفلاق
نهر بروت
نهر الدانوب
ألبانيا
بحر الادرياتيك
إيطاليا


الدولة العثمانية
عام


الفتوحات العثمانية
محمد الفاتح
سليم الأول
سليمان القانوني
سليم الثاني
مراد الثالث / محمد الثالث
أحمد الأول / عثمان الثاني / مراد الرابع
النمسا
فيينا
بلغراد
الأفلاق
البحر الأسود
بوسنيا
استانبول
إيطاليا
شبه جزيرة العرب

القرن الأول الهجري

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
١	٧-١٦	٦٢٢	١١	٣-٢٩	٦٣٢	٢١	١٢-١٠	٦٤١	٣١	٨-٢٤	٦٥١	٤١	٥-٧	٦٦١
٢	٧-٥	٦٢٣	١٢	٣-١٨	٦٣٣	٢٢	١١-٣٠	٦٤٢	٣٢	٨-١٢	٦٥٢	٤٢	٤-٢٦	٦٦٢
٣	٦-٢٤	٦٢٤	١٣	٣-٧	٦٣٤	٢٣	١١-١٩	٦٤٣	٣٣	٨-٢	٦٥٣	٤٣	٤-١٥	٦٦٣
٤	٦-١٣	٦٢٥	١٤	٢-٢٥	٦٣٥	٢٤	١١-٧	٦٤٤	٣٤	٧-٢٢	٦٥٤	٤٤	٤-٤	٦٦٤
٥	٦-٢	٦٢٦	١٥	٢-١٤	٦٣٦	٢٥	١٠-٢٨	٦٤٥	٣٥	٧-١١	٦٥٥	٤٥	٣-٢٤	٦٦٥
٦	٥-٢٣	٦٢٧	١٦	٢-٢	٦٣٧	٢٦	١٠-١٧	٦٤٦	٣٦	٦-٣٠	٦٥٦	٤٦	٣-١٣	٦٦٦
٧	٥-١١	٦٢٨	١٧	١-٢٣	٦٣٨	٢٧	١٠-٧	٦٤٧	٣٧	٦-١٩	٦٥٧	٤٧	٣-٣	٦٦٧
٨	٥-١	٦٢٩	١٨	١-١٢	٦٣٩	٢٨	٩-٢٥	٦٤٨	٣٨	٦-٩	٦٥٨	٤٨	٢-٢٠	٦٦٨
٩	٤-٢٠	٦٣٠	١٩	١-٢	٦٤٠	٢٩	٩-١٤	٦٤٩	٣٩	٥-٢٩	٦٥٩	٤٩	٢-٩	٦٦٩
١٠	٤-٩	٦٣١	٢٠	١٢-٢١	٦٤٠	٣٠	٩-٤	٦٥٠	٤٠	٥-١٧	٦٦٠	٥٠	١-٢٩	٦٧٠

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
٥١	١-١٨	٦٧١	٦١	١٠-١	٦٨٠	٧١	٦-١٥	٦٩٠	٨١	٢-٢٦	٧٠٠	٩١	١١-٩	٧٠٩
٥٢	١-٨	٦٧٢	٦٢	٩-٢٠	٦٨١	٧٢	٦-٤	٦٩١	٨٢	٢-١٥	٧٠١	٩٢	١٠-٢٩	٧١٠
٥٣	١٢-٢٧	٦٧٢	٦٣	٩-١٠	٦٨٢	٧٣	٥-٢٣	٦٩٢	٨٣	٢-٤	٧٠٢	٩٣	١٠-١٩	٧١١
٥٤	١٢-١٦	٦٧٣	٦٤	٨-٣٠	٦٨٣	٧٤	٥-١٣	٦٩٣	٨٤	١-٢٤	٧٠٣	٩٤	١٠-٧	٧١٢
٥٥	١٢-٦	٦٧٤	٦٥	٨-١٨	٦٨٤	٧٥	٥-٢	٦٩٤	٨٥	١-١٤	٧٠٤	٩٥	٩-٢٦	٧١٣
٥٦	١١-٢٥	٦٧٥	٦٦	٨-٨	٦٨٥	٧٦	٤-٢١	٦٩٥	٨٦	١-٢	٧٠٥	٩٦	٩-١٦	٧١٤
٥٧	١١-١٤	٦٧٦	٦٧	٧-٢٨	٦٨٦	٧٧	٤-١٠	٦٩٦	٨٧	١٢-٢٣	٧٠٥	٩٧	٩-٥	٧١٥
٥٨	١١-٣	٦٧٧	٦٨	٧-١٨	٦٨٧	٧٨	٣-٣٠	٦٩٧	٨٨	١٢-١٢	٧٠٦	٩٨	٨-٢٥	٧١٦
٥٩	١٠-٢٣	٦٧٨	٦٩	٧-٦	٦٨٨	٧٩	٣-٢٠	٦٩٨	٨٩	١٢-١	٧٠٧	٩٩	٨-١٧	٧١٧
٦٠	١٠-١٣	٦٧٩	٧٠	٨-٢٥	٦٨٩	٨٠	٣-٩	٦٩٩	٩٠	١١-٢٠	٧٠٨	١٠٠	٨-٣	٧١٨

القرن الثاني الهجري

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
١٠١	٧-٢٤	٧١٩	١١١	٤-٥	٧٢٩	١٢١	١٢-١٨	٧٣٨	١٣١	٨-٣١	٧٤٨	١٤١	٥-١٤	٧٥٨
١٠٢	٧-١٢	٧٢٠	١١٢	٣-٢٦	٧٣٠	١٢٢	١٢-٧	٧٣٩	١٣٢	٨-٢٠	٧٤٩	١٤٢	٥-٤	٧٥٩
١٠٣	٧-١	٧٢١	١١٣	٣-١٥	٧٣١	١٢٣	١١-٢٦	٧٤٠	١٣٣	٨-٩	٧٥٠	١٤٣	٤-٢٢	٧٦٠
١٠٤	٦-٢١	٧٢٢	١١٤	٣-٣	٧٣٢	١٢٤	١١-١٥	٧٤١	١٣٤	٧-٣٠	٧٥١	١٤٤	٤-١١	٧٦١
١٠٥	٦-١٠	٧٢٣	١١٥	٢-٢١	٧٣٣	١٢٥	١١-٤	٧٤٢	١٣٥	٧-١٨	٧٥٢	١٤٥	٤-١	٧٦٢
١٠٦	٥-٢٩	٧٢٤	١١٦	٢-١٠	٧٣٤	١٢٦	١٠-٢٥	٧٤٣	١٣٦	٧-٧	٧٥٣	١٤٦	٣-٢١	٧٦٣
١٠٧	٥-١٩	٧٢٥	١١٧	١-٣١	٧٣٥	١٢٧	١٠-١٣	٧٤٤	١٣٧	٦-٢٧	٧٥٤	١٤٧	٣-١٠	٧٦٤
١٠٨	٥-٨	٧٢٦	١١٨	١-٢٠	٧٣٦	١٢٨	١٠-٣	٧٤٥	١٣٨	٦-١٦	٧٥٥	١٤٨	٢-٢٧	٧٦٥
١٠٩	٤-٢٨	٧٢٧	١١٩	١-٨	٧٣٧	١٢٩	٩-٢٢	٧٤٦	١٣٩	٦-٥	٧٥٦	١٤٩	٢-١٦	٧٦٦
١١٠	٤-١٦	٧٢٨	١٢٠	١٢-٢٩	٧٣٧	١٣٠	٩-١١	٧٤٧	١٤٠	٥-٢٥	٧٥٧	١٥٠	٢-٦	٧٦٧

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
١٥١	١-٢٦	٧٦٨	١٦١	١٠-٩	٧٧٧	١٧١	٦-٢٢	٧٨٧	١٨١	٣-٥	٧٩٧	١٩١	١١-١٧	٨٠٦
١٥٢	١-١٤	٧٦٩	١٦٢	٩-٢٨	٧٧٨	١٧٢	٦-١١	٧٨٨	١٨٢	٢-٢٣	٧٩٨	١٩٢	١١-٦	٨٠٧
١٥٣	١-٤	٧٧٠	١٦٣	٩-١٧	٧٧٩	١٧٣	٥-٣١	٧٨٩	١٨٣	٢-١٢	٧٩٩	١٩٣	١٠-٢٥	٨٠٨
١٥٤	١٢-٢٤	٧٧٠	١٦٤	٩-٦	٧٨٠	١٧٤	٥-٢٠	٧٩٠	١٨٤	٢-١	٨٠٠	١٩٤	١٠-١٥	٨١٩
١٥٥	١٢-١٣	٧٧١	١٦٥	٨-٢٦	٧٨١	١٧٥	٥-١٠	٧٩١	١٨٥	١-٢٠	٨٠١	١٩٥	١٠-٤	٨١٠
١٥٦	١٢-٢	٧٧٢	١٦٦	٨-١٥	٧٨٢	١٧٦	٥-٢٨	٧٩٢	١٨٦	١-١٠	٨٠٢	١٩٦	٩-٢٣	٨١١
١٥٧	١١-٢١	٧٧٣	١٦٧	٨-٥	٧٨٣	١٧٧	٤-١٨	٧٩٣	١٨٧	١٢-٣٠	٨٠٢	١٩٧	٩-١٢	٨١٢
١٥٨	١١-١١	٧٧٤	١٦٨	٧-٢٤	٧٨٤	١٧٨	٤-٧	٧٩٤	١٨٨	١٢-٢٠	٨٠٣	١٩٨	٩-١	٨١٣
١٥٩	١٠-٣١	٧٧٥	١٦٩	٧-١٤	٧٨٥	١٧٩	٣-٢٧	٧٩٥	١٨٩	١٢-٨	٨٠٤	١٩٩	٨-٢٢	٨١٤
١٦٠	١٠-١٩	٧٧٦	١٧٠	٧-٣	٧٨٦	١٨٠	٣-١٦	٧٩٦	١٩٠	١١-٢٧	٨٠٥	٢٠٠	٨-١١	٨١٥

القرن الثالث الهجري

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
٢٠١	٣٠-٧	٨١٦	٢١١	١٣-٤	٨٢٦	٢٢١	٢٦-١٢	٨٣٥	٢٣١	٧-٩	٨٤٥	٢٤١	٢٢-٥	٨٥٥	٢٥١	٢-٢	٨٦٥	٢٦١	١٦-١٠	٨٧٤	٢٧١	٢٩-٦	٨٨٤	٢٨١	١٣-٣	٨٩٤	٢٩١	٢٤-١١	٩٠٣
٢٠٢	٢٠-٧	٨١٧	٢١٢	٢-٤	٨٢٧	٢٢٢	١٤-١٢	٨٣٦	٢٣٢	٢٨-٨	٨٤٦	٢٤٢	١٠-٥	٨٥٦	٢٥٢	٢٢-١	٨٦٦	٢٦٢	٦-١٠	٨٧٥	٢٧٢	١٨-٦	٨٨٥	٢٨٢	٢-٣	٨٩٥	٢٩٢	١٣-١١	٩٠٤
٢٠٣	٩-٧	٨١٨	٢١٣	٢٢-٣	٨٢٨	٢٢٣	٣-١٢	٨٣٧	٢٣٣	١٧-٨	٨٤٧	٢٤٣	٣٠-٤	٨٥٧	٢٥٣	١١-١	٨٦٧	٢٦٣	٢٤-٩	٨٧٦	٢٧٣	٨-٦	٨٨٦	٢٨٣	١٩-٢	٨٩٦	٢٩٣	٢-١١	٩٠٥
٢٠٤	٢٨-٦	٨١٩	٢١٤	١١-٣	٧٢٩	٢٢٤	٢٣-١١	٨٣٨	٢٣٤	٥-٨	٨٤٨	٢٤٤	١٩-٤	٨٥٨	٢٥٤	١-١	٨٦٨	٢٦٤	١٣-٩	٨٧٧	٢٧٤	٢٨-٥	٨٨٧	٢٨٤	٨-٢	٨٩٧	٢٩٤	٢٢-١٠	٩٠٦
٢٠٥	١٧-٦	٨٢٠	٢١٥	٢٨-٢	٧٣٠	٢٢٥	١٢-١١	٨٣٩	٢٣٥	٢٦-٧	٨٤٩	٢٤٥	٨-٤	٨٥٩	٢٥٥	٢٠-١٢	٨٦٨	٢٦٥	٣-٩	٨٧٨	٢٧٥	١٦-٥	٨٨٨	٢٨٥	٢٨-١	٨٩٨	٢٩٥	١٢-١٠	٩٠٧
٢٠٦	٦-٦	٨٢١	٢١٦	١٨-٢	٧٣١	٢٢٦	٣١-١٠	٨٤٠	٢٣٦	١٥-٧	٨٥٠	٢٤٦	٢٨-٣	٨٦٠	٢٥٦	٩-١٢	٨٦٩	٢٦٦	٢٣-٨	٨٧٩	٢٧٦	٦-٥	٨٨٩	٢٨٦	١٧-١	٨٩٩	٢٩٦	٣٠-٩	٩٠٨
٢٠٧	٢٧-٥	٨٢٢	٢١٧	٧-٢	٧٣٢	٢٢٧	٢١-١٠	٨٤١	٢٣٧	٥-٧	٨٥١	٢٤٧	١٧-٣	٨٦١	٢٥٧	٢٩-١١	٨٧٠	٢٦٧	١٢-٨	٨٨٠	٢٧٧	٢٥-٤	٨٩٠	٢٨٧	٧-١	٩٠٠	٢٩٧	٢٠-٩	٩٠٩
٢٠٨	١٦-٥	٨٢٣	٢١٨	٢٧-١	٧٣٣	٢٢٨	١٠-١٠	٨٤٢	٢٣٨	٢٣-٦	٨٥٢	٢٤٨	٧-٣	٨٦٢	٢٥٨	١٨-١١	٨٧١	٢٦٨	١-٨	٨٨١	٢٧٨	١٥-٤	٨٩١	٢٨٨	٢٦-١٢	٩٠٠	٢٩٨	٩-٩	٩١٠
٢٠٩	٤-٥	٨٢٤	٢١٩	١٦-١	٧٣٤	٢٢٩	٣٠-٩	٨٤٣	٢٣٩	١٢-٦	٨٥٣	٢٤٩	٢٤-٢	٨٦٣	٢٥٩	٧-١١	٨٧٢	٢٦٩	٢١-٧	٨٨٢	٢٧٩	٣-٤	٨٩٢	٢٨٩	١٦-١٢	٩٠١	٢٩٩	٢٩-٨	٩١١
٢١٠	٢٤-٤	٨٢٥	٢٢٠	٥-١	٧٣٥	٢٣٠	١٨-٩	٨٤٤	٢٤٠	٢-٦	٨٥٤	٢٥٠	١٣-٢	٨٦٤	٢٦٠	٢٧-١٠	٨٧٣	٢٧٠	١١-٧	٨٨٣	٢٨٠	٢٣-٣	٨٩٣	٢٩٠	٥-١٢	٩٠٢	٣٠٠	١٨-٨	٩١٢

القرن الرابع الهجري

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
٣٠١	٧-٨	٩١٣	٣١١	٢١-٤	٩٢٣	٣٢١	١-١	٩٣٣	٣٣١	١٥-٩	٩٤٢	٣٤١	٢٩-٥	٩٥٢	٣٥١	٩-٢	٩٦٢	٣٦١	٢٤-١٠	٩٧١	٣٧١	٧-٧	٩٨١	٣٨١	٢٠-٣	٩٩١	٣٩١	١-١٢	١٠٠٠
٣٠٢	٢٧-٧	٩١٤	٣١٢	٩-٤	٩٢٤	٣٢٢	٢٢-١٢	٩٣٣	٣٣٢	٤-٩	٩٤٣	٣٤٢	١٨-٥	٩٥٣	٣٥٢	٣٠-١	٩٦٣	٣٦٢	١٣-١٠	٩٧٢	٣٧٢	٢٦-٦	٩٨٢	٣٨٢	٩-٣	٩٩٢	٣٩٢	٢٠-١١	١٠٠١
٣٠٣	١٧-٧	٩١٥	٣١٣	٢٩-٣	٩٢٥	٣٢٣	١١-١٢	٩٣٤	٣٣٣	٢٤-٨	٩٤٤	٣٤٣	٧-٥	٩٥٤	٣٥٣	١٩-١	٩٦٤	٣٦٣	٢-١٠	٩٧٣	٣٧٣	١٥-٦	٩٨٣	٣٨٣	٢٦-٢	٩٩٣	٣٩٣	١٠-١١	١٠٠٢
٣٠٤	٥-٧	٩١٦	٣١٤	١٩-٣	٩٢٦	٣٢٤	٣٠-١١	٩٣٥	٣٣٤	١٣-٨	٩٤٥	٣٤٤	٢٧-٤	٩٥٥	٣٥٤	٧-١	٩٦٥	٣٦٤	٢١-٩	٩٧٤	٣٧٤	٤-٦	٩٨٤	٣٨٤	١٥-٢	٩٩٤	٣٩٤	٣٠-١٠	١٠٠٣
٣٠٥	٢٤-٦	٩١٧	٣١٥	٨-٣	٩٢٧	٣٢٥	١٩-١١	٩٣٦	٣٣٥	٢-٨	٩٤٦	٣٤٥	١٥-٤	٩٥٦	٣٥٥	٢٨-١٢	٩٦٥	٣٦٥	١٠-٩	٩٧٥	٣٧٥	٢٤-٥	٩٨٥	٣٨٥	٥-٢	٩٩٥	٣٩٥	١٨-١٠	١٠٠٤
٣٠٦	١٤-٦	٩١٨	٣١٦	٢٥-٢	٩٢٨	٣٢٦	٨-١١	٩٣٧	٣٣٦	٢٢-٧	٩٤٧	٣٤٦	٤-٤	٩٥٧	٣٥٦	١٧-١٢	٩٦٦	٣٦٦	٣٠-٨	٩٧٦	٣٧٦	١٣-٥	٩٨٦	٣٨٦	٢٥-١	٩٩٦	٣٩٦	٨-١٠	١٠٠٥
٣٠٧	٣-٦	٩١٩	٣١٧	١٤-٢	٩٢٩	٣٢٧	٢٩-١٠	٩٣٨	٣٣٧	١١-٧	٩٤٨	٣٤٧	٢٥-٣	٩٥٨	٣٥٧	٧-١٢	٩٦٧	٣٦٧	١٩-٨	٩٧٧	٣٧٧	٣-٥	٩٨٧	٣٨٧	١٤-١	٩٩٧	٣٩٧	٢٧-٩	١٠٠٦
٣٠٨	٢٣-٥	٩٢٠	٣١٨	٣-٢	٩٣٠	٣٢٨	١٨-١٠	٩٣٩	٣٣٨	١-٧	٩٤٩	٣٤٨	١٤-٣	٩٥٩	٣٥٨	٢٥-١١	٩٦٨	٣٦٨	٩-٨	٩٧٨	٣٧٨	٢١-٤	٩٨٨	٣٨٨	٣-١	٩٩٨	٣٩٨	١٧-٩	١٠٠٧
٣٠٩	١٢-٥	٩٢١	٣١٩	٢٤-١	٩٣١	٣٢٩	٦-١٠	٩٤٠	٣٣٩	٢٠-٦	٩٥٠	٣٤٩	٣-٣	٩٦٠	٣٥٩	١٤-١١	٩٦٩	٣٦٩	٢٩-٧	٩٧٩	٣٧٩	١١-٤	٩٨٩	٣٨٩	٢٣-١٢	٩٩٨	٣٩٩	٥-٩	١٠٠٨
٣١٠	١-٥	٩٢٢	٣٢٠	١٣-١	٩٣٢	٣٣٠	٢٦-٩	٩٤١	٣٤٠	٩-٦	٩٥١	٣٥٠	٢٠-٢	٩٦١	٣٦٠	٤-١١	٩٧٠	٣٧٠	١٧-٧	٩٨٠	٣٨٠	٣١-٣	٩٩٠	٣٩٠	١٣-١٢	١٩٩	٤٠٠	٢٥-٨	١٠٠٩

القرن الخامس الهجري

سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م
٤٠١	١٥-٨	١٠١٠	٤١١	٢٧-٤	١٠٢٠	٤٢١	٩-١	١٠٣٠	٤٣١	٢٣-٩	١٠٣٩	٤٤١	٥-٦	١٠٤٩	٤٥١	١٧-٢	١٠٥٩	٤٦١	٣١-١٠	١٠٦٨	٤٧١	١٤-٧	١٠٧٨	٤٨١	٢٧-٣	١٠٨٨	٤٩١	٩-١٢	١٠٩٧
٤٠٢	٤-٨	١٠١١	٤١٢	١٧-٤	١٠٢١	٤٢٢	٢٩-١٢	١٠٣٠	٤٣٢	١١-٩	١٠٤٠	٤٤٢	٢٦-٥	١٠٥٠	٤٥٢	٦-٢	١٠٦٠	٤٦٢	٢٠-١٠	١٠٦٩	٤٧٢	٤-٧	١٠٧٩	٤٨٢	١٦-٣	١٠٨٩	٤٩٢	٢٨-١١	١٠٩٨
٤٠٣	٢٣-٧	١٠١٢	٤١٣	٦-٤	١٠٢٢	٤٢٣	١٩-١٢	١٠٣١	٤٣٣	٣١-٨	١٠٤١	٤٤٣	١٥-٥	١٠٥١	٤٥٣	٢٦-١	١٠٦١	٤٦٣	٩-١٠	١٠٧٠	٤٧٣	٢٢-٦	١٠٨٠	٤٨٣	٦-٣	١٠٩٠	٤٩٣	١٧-١١	١٠٩٩
٤٠٤	١٣-٧	١٠١٣	٤١٤	٢٦-٣	١٠٢٣	٤٢٤	٧-١٢	١٠٣٢	٤٣٤	٢١-٨	١٠٤٢	٤٤٤	٣-٥	١٠٥٢	٤٥٤	١٦-١	١٠٦٢	٤٦٤	٢٩-٩	١٠٧١	٤٧٤	١١-٦	١٠٨١	٤٨٤	٢٣-٢	١٠٩١	٤٩٤	٦-١١	١١٠٠
٤٠٥	٢-٧	١٠١٤	٤١٥	١٥-٣	١٠٢٤	٤٢٥	٢٦-١١	١٠٣٣	٤٣٥	١٠-٨	١٠٤٣	٤٤٥	٢٣-٤	١٠٥٣	٤٥٥	٤-١	١٠٦٣	٤٦٥	١٧-٩	١٠٧٢	٤٧٥	١-٦	١٠٨٢	٤٨٥	١٢-٢	١٠٩٢	٤٩٥	٢٦-١٠	١١٠١
٤٠٦	٢١-٦	١٠١٥	٤١٦	٤-٣	١٠٢٥	٤٢٦	١٦-١١	١٠٣٤	٤٣٦	٢٩-٧	١٠٤٤	٤٤٦	١٢-٤	١٠٥٤	٤٥٦	٢٥-١٢	١٠٦٣	٤٦٦	٦-٩	١٠٧٣	٤٧٦	٢١-٥	١٠٨٣	٤٨٦	١-٢	١٠٩٣	٤٩٦	١٥-١٠	١١٠٢
٤٠٧	١٠-٦	١٠١٦	٤١٧	٢٢-٢	١٠٢٦	٤٢٧	٥-١١	١٠٣٥	٤٣٧	١٩-٧	١٠٤٥	٤٤٧	٢-٤	١٠٥٥	٤٥٧	١٤-١٢	١٠٦٤	٤٦٧	٢٧-٨	١٠٧٤	٤٧٧	١٠-٥	١٠٨٤	٤٨٧	٢١-١	١٠٩٤	٤٩٧	٥-١٠	١١٠٣
٤٠٨	٣٠-٥	١٠١٧	٤١٨	١١-٢	١٠٢٧	٤٢٨	٢٥-١٠	١٠٣٦	٤٣٨	٨-٧	١٠٤٦	٤٤٨	٢١-٣	١٠٥٦	٤٥٨	٣-١٢	١٠٦٥	٤٦٨	١٦-٨	١٠٧٥	٤٧٨	٢٩-٤	١٠٨٥	٤٨٨	١١-١	١٠٩٥	٤٩٨	٢٣-٩	١١٠٤
٤٠٩	٢٠-٥	١٠١٨	٤١٩	٣١-١	١٠٢٨	٤٢٩	١٤-١٠	١٠٣٧	٤٣٩	٢٦-٦	١٠٤٧	٤٤٩	١٠-٣	١٠٥٧	٤٥٩	٢٢-١١	١٠٦٦	٤٦٩	٥-٨	١٠٧٦	٤٧٩	١٨-٤	١٠٨٦	٤٨٩	٣١-١٢	١٠٩٥	٤٩٩	١٣-٩	١١٠٥
٤١٠	٩-٥	١٠١٩	٤٢٠	٢٠-١	١٠٢٩	٤٣٠	٣-١٠	١٠٣٨	٤٤٠	١٦-٦	١٠٤٨	٤٥٠	٢٨-٢	١٠٥٨	٤٦٠	١١-١١	١٠٦٧	٤٧٠	٢٥-٧	١٠٧٧	٤٨٠	٨-٤	١٠٨٧	٤٩٠	١٩-١٢	١٠٩٦	٥٠٠	٢-٩	١١٠٦

القرن السادس الهجري

سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم - شهر	سنة م
٥٠١	٢٢-٨	١١٠٧	٥١١	٥-٥	١١١٧	٥٢١	١٧-١	١١٢٧	٥٣١	٢٩-٩	١١٣٦	٥٤١	١٣-٦	١١٤٦	٥٥١	٢٥-٢	١١٥٦	٥٦١	٧-١١	١١٦٥	٥٧١	٢٢-٧	١١٧٥	٥٨١	٤-٤	١١٨٥	٥٩١	١٦-١٢	١١٩٤
٥٠٢	١١-٨	١١٠٨	٥١٢	٢٤-٤	١١١٨	٥٢٢	٦-١	١١٢٨	٥٣٢	١٩-٩	١١٣٧	٥٤٢	٢-٦	١١٤٧	٥٥٢	١٣-٢	١١٥٧	٥٦٢	٢٨-١٠	١١٦٦	٥٧٢	١٠-٧	١١٧٦	٥٨٢	٢٤-٣	١١٨٦	٥٩٢	٦-١٢	١١٩٥
٥٠٣	٣١-٧	١١٠٩	٥١٣	١٤-٤	١١١٩	٥٢٣	٢٥-١٢	١١٢٨	٥٣٣	٨-٩	١١٣٨	٥٤٣	٢٢-٥	١١٤٨	٥٥٣	٢-٢	١١٥٨	٥٦٣	١٧-١٠	١١٦٧	٥٧٣	٣٠-٦	١١٧٧	٥٨٣	١٣-٣	١١٨٧	٥٩٣	٢٤-١١	١١٩٦
٥٠٤	٢٠-٧	١١١٠	٥١٤	٢-٤	١١٢٠	٥٢٤	١٥-١٢	١١٢٩	٥٣٤	٢٨-٨	١١٣٩	٥٤٤	١١-٥	١١٤٩	٥٥٤	٢٣-١	١١٥٩	٥٦٤	٥-١٠	١١٦٨	٥٧٤	١٩-٦	١١٧٨	٥٨٤	٢-٣	١١٨٨	٥٩٤	١٣-١١	١١٩٧
٥٠٥	١٠-٧	١١١١	٥١٥	٢٢-٣	١١٢١	٥٢٥	٤-١٢	١١٣٠	٥٣٥	١٧-٨	١١٤٠	٥٤٥	٣٠-٤	١١٥٠	٥٥٥	١٢-١	١١٦٠	٥٦٥	٢٥-٩	١١٦٩	٥٧٥	٨-٦	١١٧٩	٥٨٥	١٩-٢	١١٨٩	٥٩٥	٣-١١	١١٩٨
٥٠٦	٢٨-٦	١١١٢	٥١٦	١٢-٣	١١٢٢	٥٢٦	٢٣-١١	١١٣١	٥٣٦	٦-٨	١١٤١	٥٤٦	٢٠-٤	١١٥١	٥٥٦	٣١-١٢	١١٦٠	٥٦٦	١٤-٩	١١٧٠	٥٧٦	٢٨-٥	١١٨٠	٥٨٦	٨-٢	١١٩٠	٥٩٦	٢٣-١٠	١١٩٩
٥٠٧	١٨-٦	١١١٣	٥١٧	١-٣	١١٢٣	٥٢٧	١٢-١١	١١٣٢	٥٣٧	٢٧-٧	١١٤٢	٥٤٧	٨-٤	١١٥٢	٥٥٧	٢١-١٢	١١٦١	٥٦٧	٤-٩	١١٧١	٥٧٧	١٧-٥	١١٨١	٥٨٧	٢٩-١	١١٩١	٥٩٧	١٢-١٠	١٢٠٠
٥٠٨	٧-٦	١١١٤	٥١٨	١٩-٢	١١٢٤	٥٢٨	١-١١	١١٣٣	٥٣٨	١٦-٧	١١٤٣	٥٤٨	٢٩-٣	١١٥٣	٥٥٨	١٠-١٢	١١٦٢	٥٦٨	٢٣-٨	١١٧٢	٥٧٨	٧-٥	١١٨٢	٥٨٨	١٨-١	١١٩٢	٥٩٨	١-١٠	١٢٠١
٥٠٩	٢٧-٥	١١١٥	٥١٩	٧-٢	١١٢٥	٥٢٩	٢٢-١٠	١١٣٤	٥٣٩	٤-٧	١١٤٤	٥٤٩	١٨-٣	١١٥٤	٥٥٩	٣٠-١١	١١٦٣	٥٦٩	١٢-٨	١١٧٣	٥٧٩	٢٦-٤	١١٨٣	٥٨٩	٧-١	١١٩٣	٥٩٩	٢٠-٩	١٢٠٢
٥١٠	١٦-٥	١١١٦	٥٢٠	٢٧-١	١١٢٦	٥٣٠	١١-١٠	١١٣٥	٥٤٠	٢٤-٦	١١٤٥	٥٥٠	٧-٣	١١٥٥	٥٦٠	١٨-١١	١١٦٤	٥٧٠	٢-٨	١١٧٤	٥٨٠	١٤-٤	١١٨٤	٥٩٠	٢٧-١٢	١١٩٣	٦٠٠	١٠-٩	١٢٠٣

القرن السابع الهجري

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
٦٠١	٨-٢٩	١٢٠٤	٦١١	٥-١٣	١٢١٤	٦٢١	١-٢٤	١٢٢٤	٦٣١	١٠-٧	١٢٣٣	٦٤١	٦-٢١	١٢٤٣
٦٠٢	٨-١٨	١٢٠٥	٦١٢	٥-٢	١٢١٥	٦٢٢	١-١٣	١٢٢٥	٦٣٢	٩-٢٦	١٢٣٤	٦٤٢	٦-٩	١٢٤٤
٦٠٣	٨-٨	١٢٠٦	٦١٣	٤-٢٠	١٢١٦	٦٢٣	١-٢	١٢٢٦	٦٣٣	٩-١٦	١٢٣٥	٦٤٣	٥-٢٩	١٢٤٥
٦٠٤	٧-٢٨	١٢٠٧	٦١٤	٤-١٠	١٢١٧	٦٢٤	١٢-٢٢	١٢٢٦	٦٣٤	٩-٤	١٢٣٦	٦٤٤	٥-١٩	١٢٤٦
٦٠٥	٧-١٦	١٢٠٨	٦١٥	٣-٣٠	١٢١٨	٦٢٥	١٢-١٢	١٢٢٧	٦٣٥	٨-٢٤	١٢٣٧	٦٤٥	٥-٨	١٢٤٧
٦٠٦	٧-٦	١٢٠٩	٦١٦	٣-١٩	١٢١٩	٦٢٦	١١-٣٠	١٢٢٨	٦٣٦	٨-١٤	١٢٣٨	٦٤٦	٤-٢٦	١٢٤٨
٦٠٧	٦-٢٥	١٢١٠	٦١٧	٣-٨	١٢٢٠	٦٢٧	١١-٢٠	١٢٢٩	٦٣٧	٨-٣	١٢٣٩	٦٤٧	٤-١٦	١٢٤٩
٦٠٨	٦-١٥	١٢١١	٦١٨	٢-٢٥	١٢٢١	٦٢٨	١١-٩	١٢٣٠	٦٣٨	٧-٢٣	١٢٤٠	٦٤٨	٤-٥	١٢٥٠
٦٠٩	٦-٣	١٢١٢	٦١٩	٢-١٥	١٢٢٢	٦٢٩	١٠-٢٩	١٢٣١	٦٣٩	٧-١٢	١٢٤١	٦٤٩	٣-٢٦	١٢٥١
٦١٠	٥-٢٣	١٢١٣	٦٢٠	٢-٤	١٢٢٣	٦٣٠	١٠-١٨	١٢٣٢	٦٤٠	٧-١	١٢٤٢	٦٥٠	٣-١٤	١٢٥٢

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
٦٥١	٣-٣	١٢٥٣	٦٦١	١١-١٥	١٢٦٢	٦٧١	٧-٢٩	١٢٧٢	٦٨١	٤-١١	١٢٨٢	٦٩١	١٢-٢٤	١٢٩١
٦٥٢	٢-٢١	١٢٥٤	٦٦٢	١١-٤	١٢٦٣	٦٧٢	٧-١٨	١٢٧٣	٦٨٢	٤-١	١٢٨٣	٦٩٢	١٢-١٢	١٢٩٢
٦٥٣	٢-١٠	١٢٥٥	٦٦٣	١٠-٢٤	١٢٦٤	٦٧٣	٧-٧	١٢٧٤	٦٨٣	٣-٢٠	١٢٨٤	٦٩٣	١٢-٢	١٢٩٣
٦٥٤	١-٣٠	١٢٥٦	٦٦٤	١٠-١٣	١٢٦٥	٦٧٤	٦-٢٧	١٢٧٥	٦٨٤	٣-٩	١٢٨٥	٦٩٤	١١-٢١	١٢٩٤
٦٥٥	١-١٩	١٢٥٧	٦٦٥	١٠-٢	١٢٦٦	٦٧٥	٦-١٥	١٢٧٦	٦٨٥	٢-٢٧	١٢٨٦	٦٩٥	١١-١٠	١٢٩٥
٦٥٦	١-٨	١٢٥٨	٦٦٦	٩-٢٢	١٢٦٧	٦٧٦	٦-٤	١٢٧٧	٦٨٦	٢-١٦	١٢٨٧	٦٩٦	١٠-٣٠	١٢٩٦
٦٥٧	١٢-٢٩	١٢٥٨	٦٦٧	٩-١٠	١٢٦٨	٦٧٧	٥-٢٥	١٢٧٨	٦٨٧	٢-٦	١٢٨٨	٦٩٧	١٠-١٩	١٢٩٧
٦٥٨	١٢-١٨	١٢٥٩	٦٦٨	٨-٣١	١٢٦٩	٦٧٨	٥-١٤	١٢٧٩	٦٨٨	١-٢٥	١٢٨٩	٦٩٨	١٠-٩	١٢٩٨
٦٥٩	١٢-٦	١٢٦٠	٦٦٩	٨-٢٠	١٢٧٠	٦٧٩	٥-٣	١٢٨٠	٦٨٩	١-١٤	١٢٩٠	٦٩٩	٩-٢٨	١٢٩٩
٦٦٠	١١-٢٦	١٢٦١	٦٧٠	٨-٩	١٢٧١	٦٨٠	٤-٢٢	١٢٨١	٦٩٠	١-٤	١٢٩١	٧٠٠	٩-١٦	١٣٠٠

القرن الثامن الهجري

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
٧٠١	٩-٦	١٣٠١	٧١١	٥-٢٠	١٣١١	٧٢١	١-٣١	١٣٢١	٧٣١	١٠-١٥	١٣٣٠	٧٤١	٦-٢٧	١٣٤٠
٧٠٢	٨-٢٦	١٣٠٢	٧١٢	٥-٩	١٣١٢	٧٢٢	١-٢٠	١٣٢٢	٧٣٢	١٠-٤	١٣٣١	٧٤٢	٦-١٧	١٣٤١
٧٠٣	٨-١٥	١٣٠٣	٧١٣	٤-٢٨	١٣١٣	٧٢٣	١-١٠	١٣٢٣	٧٣٣	٩-٢٢	١٣٣٢	٧٤٣	٦-٦	١٣٤٢
٧٠٤	٨-٤	١٣٠٤	٧١٤	٤-١٧	١٣١٤	٧٢٤	١٢-٣٠	١٣٢٣	٧٣٤	٩-١٢	١٣٣٣	٧٤٤	٥-٢٦	١٣٤٣
٧٠٥	٧-٢٤	١٣٠٥	٧١٥	٤-٧	١٣١٥	٧٢٥	١٢-١٨	١٣٢٤	٧٣٥	٩-١	١٣٣٤	٧٤٥	٥-١٥	١٣٤٤
٧٠٦	٧-١٣	١٣٠٦	٧١٦	٣-٢٦	١٣١٦	٧٢٦	١٢-٨	١٣٢٥	٧٣٦	٨-٢١	١٣٣٥	٧٤٦	٥-٤	١٣٤٥
٧٠٧	٧-٣	١٣٠٧	٧١٧	٣-١٦	١٣١٧	٧٢٧	١١-٢٧	١٣٢٦	٧٣٧	٨-١٠	١٣٣٦	٧٤٧	٤-٢٤	١٣٤٦
٧٠٨	٦-٢١	١٣٠٨	٧١٨	٣-٥	١٣١٨	٧٢٨	١١-١٧	١٣٢٧	٧٣٨	٧-٣٠	١٣٣٧	٧٤٨	٤-١٣	١٣٤٧
٧٠٩	٦-١١	١٣٠٩	٧١٩	٢-٢٢	١٣١٩	٧٢٩	١١-٥	١٣٢٨	٧٣٩	٧-٢٠	١٣٣٨	٧٤٩	٤-١	١٣٤٨
٧١٠	٥-٣١	١٣١٠	٧٢٠	٢-١٢	١٣٢٠	٧٣٠	١٠-٢٥	١٣٢٩	٧٤٠	٧-٩	١٣٣٩	٧٥٠	٣-٢٢	١٣٤٩

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
٧٥١	٣-١١	١٣٥٠	٧٦١	١١-٢٣	١٣٥٩	٧٧١	٨-٥	١٣٦٩	٧٨١	٤-١٩	١٣٧٩	٧٩١	١٢-٣١	١٣٨٨
٧٥٢	٢-٢٨	١٣٥١	٧٦٢	١١-١١	١٣٦٠	٧٧٢	٧-٢٦	١٣٧٠	٧٨٢	٤-٧	١٣٨٠	٧٩٢	١٢-٢٠	١٣٨٩
٧٥٣	٢-١٨	١٣٥٢	٧٦٣	١٠-٣١	١٣٦١	٧٧٣	٧-١٥	١٣٧١	٧٨٣	٣-٢٨	١٣٨١	٧٩٣	١٢-٩	١٣٩٠
٧٥٤	٢-٦	١٣٥٣	٧٦٤	١٠-٢١	١٣٦٢	٧٧٤	٧-٣	١٣٧٢	٧٨٤	٣-١٧	١٣٨٢	٧٩٤	١١-٢٩	١٣٩١
٧٥٥	١-٢٦	١٣٥٤	٧٦٥	١٠-١٠	١٣٦٣	٧٧٥	٦-٢٣	١٣٧٣	٧٨٥	٣-٦	١٣٨٣	٧٩٥	١١-١٧	١٣٩٢
٧٥٦	١-١٦	١٣٥٥	٧٦٦	٩-٢٨	١٣٦٤	٧٧٦	٦-١٢	١٣٧٤	٧٨٦	٢-٢٤	١٣٨٤	٧٩٦	١١-٦	١٣٩٣
٧٥٧	١-٥	١٣٥٦	٧٦٧	٩-١٨	١٣٦٥	٧٧٧	٦-٢	١٣٧٥	٧٨٧	٢-١٢	١٣٨٥	٧٩٧	١٠-٢٧	١٣٩٤
٧٥٨	١٢-٢٥	١٣٥٦	٧٦٨	٩-٧	١٣٦٦	٧٧٨	٥-٢١	١٣٧٦	٧٨٨	٢-٢	١٣٨٦	٧٩٨	١٠-١٦	١٣٩٥
٧٥٩	١٢-١٤	١٣٥٧	٧٦٩	٨-٢٨	١٣٦٧	٧٧٩	٥-١٠	١٣٧٧	٧٨٩	١-٢٢	١٣٨٧	٧٩٩	١٠-٥	١٣٩٦
٧٦٠	١٢-٣	١٣٥٨	٧٧٠	٨-١٦	١٣٦٨	٧٨٠	٤-٣٠	١٣٧٨	٧٩٠	١-١١	١٣٨٨	٨٠٠	٩-٢٤	١٣٩٧

القرن التاسع الهجري

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
٨٠١	١٣-٩	١٣٩٨	٨١١	٢٧-٥	١٤٠٨	٨٢١	٨-٢	١٤١٨	٨٣١	٢٢-١٠	١٤٢٧	٨٤١	٥-٧	١٤٣٧
٨٠٢	٣-٩	١٣٩٩	٨١٢	١٦-٥	١٤٠٩	٨٢٢	٢٨-١	١٤١٩	٨٣٢	١١-١٠	١٤٢٨	٨٤٢	٢٤-٦	١٤٣٨
٨٠٣	٢٢-٨	١٤٠٠	٨١٣	٦-٥	١٤١٠	٨٢٣	١٧-١	١٤٢٠	٨٣٣	٣٠-٩	١٤٢٩	٨٤٣	١٤-٦	١٤٣٩
٨٠٤	١١-٨	١٤٠١	٨١٤	٢٥-٤	١٤١١	٨٢٤	٦-١	١٤٢١	٨٣٤	١٩-٩	١٤٣٠	٨٤٤	٢-٦	١٤٤٠
٨٠٥	١-٨	١٤٠٢	٨١٥	١٣-٤	١٤١٢	٨٢٥	٢٦-١٢	١٤٢٢	٨٣٥	٩-٩	١٤٣١	٨٤٥	٢٢-٥	١٤٤١
٨٠٦	٢١-٧	١٤٠٣	٨١٦	٣-٤	١٤١٣	٨٢٦	١٥-١٢	١٤٢٣	٨٣٦	٢٨-٨	١٤٣٢	٨٤٦	١٢-٥	١٤٤٢
٨٠٧	١٠-٧	١٤٠٤	٨١٧	٢٣-٣	١٤١٤	٨٢٧	٥-١٢	١٤٢٣	٨٣٧	١٨-٨	١٤٣٣	٨٤٧	١-٥	١٤٤٣
٨٠٨	٢٩-٦	١٤٠٥	٨١٨	١٣-٣	١٤١٥	٨٢٨	٢٣-١١	١٤٢٤	٨٣٨	٧-٨	١٤٣٤	٨٤٨	٢٠-٤	١٤٤٤
٨٠٩	١٨-٦	١٤٠٦	٨١٩	١-٣	١٤١٦	٨٢٩	١٣-١١	١٤٢٥	٨٣٩	٢٧-٧	١٤٣٥	٨٤٩	٩-٤	١٤٤٥
٨١٠	٨-٦	١٤٠٧	٨٢٠	١٨-٢	١٤١٧	٨٣٠	٢-١١	١٤٢٦	٨٤٠	١٦-٧	١٤٣٦	٨٥٠	٢٩-٣	١٤٤٦

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
٨٥١	١٩-٣	١٤٤٧	٨٦١	٢٩-١١	١٤٥٦	٨٧١	١٣-٨	١٤٦٦	٨٨١	٢٦-٤	١٤٧٦	٨٩١	٧-١	١٤٨٦
٨٥٢	٧-٣	١٤٤٨	٨٦٢	١٩-١١	١٤٥٧	٨٧٢	٢-٨	١٤٦٧	٨٨٢	١٥-٤	١٤٧٧	٨٩٢	٢٨-١٢	١٤٨٦
٨٥٣	٢٤-٢	١٤٤٩	٨٦٣	٨-١١	١٤٥٨	٨٧٣	٢٢-٧	١٤٦٨	٨٨٣	٤-٤	١٤٧٨	٨٩٣	١٧-١٢	١٤٨٧
٨٥٤	١٤-٢	١٤٥٠	٨٦٤	٢٨-١٠	١٤٥٩	٨٧٤	١١-٧	١٤٦٩	٨٨٤	٢٥-٣	١٤٧٩	٨٩٤	٥-١٢	١٤٨٨
٨٥٥	٣-٢	١٤٥١	٨٦٥	١٧-١٠	١٤٦٠	٨٧٥	٣٠-٦	١٤٧٠	٨٨٥	١٣-٣	١٤٨٠	٨٩٥	٢٥-١١	١٤٨٩
٨٥٦	٢٣-١	١٤٥٢	٨٦٦	٦-١٠	١٤٦١	٨٧٦	٢٠-٦	١٤٧١	٨٨٦	٢-٣	١٤٨١	٨٩٦	١٤-١١	١٤٩٠
٨٥٧	١٢-١	١٤٥٣	٨٦٧	٢٦-٩	١٤٦٢	٨٧٧	٨-٦	١٤٧٢	٨٨٧	٢٠-٢	١٤٨٢	٨٩٧	٤-١١	١٤٩١
٨٥٨	١-١	١٤٥٤	٨٦٨	١٥-٩	١٤٦٣	٨٧٨	٢٩-٥	١٤٧٣	٨٨٨	٩-٢	١٤٨٣	٨٩٨	٢٣-١٠	١٤٩٢
٨٥٩	٢٢-١٢	١٤٥٤	٨٦٩	٣-٩	١٤٦٤	٨٧٩	١٨-٥	١٤٧٤	٨٨٩	٣٠-١	١٤٨٤	٨٩٩	١٢-١٠	١٤٩٣
٨٦٠	١١-١٢	١٤٥٥	٨٧٠	٢٤-٨	١٤٦٥	٨٨٠	٧-٥	١٤٧٥	٨٩٠	١٨-١	١٤٨٥	٩٠٠	٢-١٠	١٤٩٤

القرن العاشر الهجري

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
٩٠١	٢١-٩	١٤٩٥	٩١١	٤-٦	١٥٠٥	٩٢١	١٥-٢	١٥١٥	٩٣١	٢٩-١٠	١٥٢٤	٩٤١	١٣-٧	١٥٣٤
٩٠٢	٩-٩	١٤٩٦	٩١٢	٢٤-٥	١٥٠٦	٩٢٢	٥-٢	١٥١٦	٩٣٢	١٨-١٠	١٥٢٥	٩٤٢	٢-٧	١٥٣٥
٩٠٣	٣٠-٨	١٤٩٧	٩١٣	١٣-٥	١٥٠٧	٩٢٣	٢٤-١	١٥١٧	٩٣٣	٨-١٠	١٥٢٦	٩٤٣	٢٠-٦	١٥٣٦
٩٠٤	١٩-٨	١٤٩٨	٩١٤	٢-٥	١٥٠٨	٩٢٤	١٣-١	١٥١٨	٩٣٤	٢٧-٩	١٥٢٧	٩٤٤	١٠-٦	١٥٣٧
٩٠٥	٨-٨	١٤٩٩	٩١٥	٢١-٤	١٥٠٩	٩٢٥	٣-١	١٥١٩	٩٣٥	١٥-٩	١٥٢٨	٩٤٥	٣٠-٥	١٥٣٨
٩٠٦	٢٨-٧	١٥٠٠	٩١٦	١٠-٤	١٥١٠	٩٢٦	٢٣-١٢	١٥١٩	٩٣٦	٥-٩	١٥٢٩	٩٤٦	١٩-٥	١٥٣٩
٩٠٧	١٧-٧	١٥٠١	٩١٧	٣١-٣	١٥١١	٩٢٧	١٢-١٢	١٥٢٠	٩٣٧	٢٥-٨	١٥٣٠	٩٤٧	٨-٥	١٥٤٠
٩٠٨	٧-٧	١٥٠٢	٩١٨	١٩-٣	١٥١٢	٩٢٨	١-١٢	١٥٢١	٩٣٨	١٥-٨	١٥٣١	٩٤٨	٢٧-٤	١٥٤١
٩٠٩	٢٦-٦	١٥٠٣	٩١٩	٩-٣	١٥١٣	٩٢٩	٢٠-١١	١٥٢٢	٩٣٩	٣-٨	١٥٣٢	٩٤٩	١٧-٤	١٥٤٢
٩١٠	[illegible]-٦	١٥٠٤	٩٢٠	٢٦-٢	١٥١٤	٩٣٠	١٠-١١	١٥٢٣	٩٤٠	٢٣-٧	١٥٣٣	٩٥٠	٦-٤	١٥٤٣

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
٩٥١	٢٥-٣	١٥٤٤	٩٦١	٧-١٢	١٥٥٣	٩٧١	٢١-٨	١٥٦٣	٩٨١	٣-٥	١٥٧٣	٩٩١	٢٥-١	١٥٨٣
٩٥٢	١٥-٣	١٥٤٥	٩٦٢	٢٦-١١	١٥٥٤	٩٧٢	٩-٨	١٥٦٤	٩٨٢	٢٣-٤	١٥٧٤	٩٩٢	١٤-١	١٥٨٤
٩٥٣	٤-٣	١٥٤٦	٩٦٣	١٦-١١	١٥٥٥	٩٧٣	٢٩-٧	١٥٦٥	٩٨٣	١٢-٤	١٥٧٥	٩٩٣	٣-١	١٥٨٥
٩٥٤	٢١-٢	١٥٤٧	٩٦٤	٤-١١	١٥٥٦	٩٧٤	١٩-٧	١٥٦٦	٩٨٤	٣١-٣	١٥٧٦	٩٩٤	٢٣-١٢	١٥٨٥
٩٥٥	١١-٢	١٥٤٨	٩٦٥	٢٤-١٠	١٥٥٧	٩٧٥	٨-٧	١٥٦٧	٩٨٥	٢١-٣	١٥٧٧	٩٩٥	١٢-١٢	١٥٨٦
٩٥٦	٣٠-١	١٥٤٩	٩٦٦	١٤-١٠	١٥٥٨	٩٧٦	٢٦-٦	١٥٦٨	٩٨٦	١٠-٣	١٥٧٨	٩٩٦	٢-١٢	١٥٨٧
٩٥٧	٢٠-١	١٥٥٠	٩٦٧	٣-١٠	١٥٥٩	٩٧٧	١٦-٦	١٥٦٩	٩٨٧	٢٨-٢	١٥٧٩	٩٩٧	٢٠-١١	١٥٨٨
٩٥٨	٩-١	١٥٥١	٩٦٨	٢٢-٩	١٥٦٠	٩٧٨	٥-٦	١٥٧٠	٩٨٨	١٧-٢	١٥٨٠	٩٩٨	١٠-١١	١٥٨٩
٩٥٩	٢٩-١٢	١٥٥١	٩٦٩	١١-٩	١٥٦١	٩٧٩	٢٦-٥	١٥٧١	٩٨٩	٥-٢	١٥٨١	٩٩٩	٣٠-١٠	١٥٩٠
٩٦٠	١٨-١٢	١٥٥٢	٩٧٠	٣١-٨	١٥٦٢	٩٨٠	١٤-٥	١٥٧٢	٩٩٠	٢٦-١	١٥٨٢	١٠٠٠	١٩-١٠	١٥٩١

القرن الحادي عشر الهجري

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
١٠٠١	١٠-٨	١٥٩٢	١٠١١	٦-٢١	١٦٠٢	١٠٢١	٣-٤	١٦١٢	١٠٣١	١١-١٦	١٦٢١	١٠٤١	٧-٣٠	١٦٣١	١٠٥١	٤-١٢	١٦٤١	١٠٦١	١٢-٢٥	١٦٥٠	١٠٧١	٩-٦	١٦٦٠	١٠٨١	٥-٢١	١٦٧٠	١٠٩١	٢-٢	١٦٨٠
١٠٠٢	٩-٢٧	١٥٩٣	١٠١٢	٦-١١	١٦٠٣	١٠٢٢	٢-٢١	١٦١٣	١٠٣٢	١١-٥	١٦٢٢	١٠٤٢	٧-١٩	١٦٣٢	١٠٥٢	٤-١	١٦٤٢	١٠٦٢	١٢-١٤	١٦٥١	١٠٧٢	٨-٢٧	١٦٦١	١٠٨٢	٥-١٠	١٦٧١	١٠٩٢	١-٢١	١٦٨١
١٠٠٣	٩-١٦	١٥٩٤	١٠١٣	٥-٣٠	١٦٠٤	١٠٢٣	٢-١١	١٦١٤	١٠٣٣	١٠-٢٥	١٦٢٣	١٠٤٣	٧-٨	١٦٣٣	١٠٥٣	٣-٢٢	١٦٤٣	١٠٦٣	١٢-٢	١٦٥٢	١٠٧٣	٨-١٦	١٦٦٢	١٠٨٣	٤-٢٩	١٦٧٢	١٠٩٣	١-١٠	١٦٨٢
١٠٠٤	٩-٦	١٥٩٥	١٠١٤	٥-١٩	١٦٠٥	١٠٢٤	١-٣١	١٦١٥	١٠٣٤	١٠-١٤	١٦٢٤	١٠٤٤	٧-٢٧	١٦٣٤	١٠٥٤	٣-١٠	١٦٤٤	١٠٦٤	١١-٢٢	١٦٥٣	١٠٧٤	٨-٥	١٦٦٣	١٠٨٤	٤-١٨	١٦٧٣	١٠٩٤	١٢-٣١	١٦٨٢
١٠٠٥	٨-٢٥	١٥٩٦	١٠١٥	٥-٩	١٦٠٦	١٠٢٥	١-٢٠	١٦١٦	١٠٣٥	١٠-٣	١٦٢٥	١٠٤٥	٦-١٧	١٦٣٥	١٠٥٥	٢-٢٧	١٦٤٥	١٠٦٥	١١-١١	١٦٥٤	١٠٧٥	٧-٢٥	١٦٦٤	١٠٨٥	٤-٧	١٦٧٤	١٠٩٥	١٢-٢٠	١٦٨٣
١٠٠٦	٨-١٤	١٥٩٧	١٠١٦	٤-٢٨	١٦٠٧	١٠٢٦	١-٩	١٦١٧	١٠٣٦	٩-٢٢	١٦٢٦	١٠٤٦	٦-٥	١٦٣٦	١٠٥٦	٢-١٧	١٦٤٦	١٠٦٦	١٠-٣١	١٦٥٥	١٠٧٦	٧-١٤	١٦٦٥	١٠٨٦	٣-٢٨	١٦٧٥	١٠٩٦	١٢-٨	١٦٨٤
١٠٠٧	٨-٤	١٥٩٨	١٠١٧	٤-١٧	١٦٠٨	١٠٢٧	١٢-٢٩	١٦١٧	١٠٣٧	٩-١٢	١٦٢٧	١٠٤٧	٥-٢٦	١٦٣٧	١٠٥٧	٢-٦	١٦٤٧	١٠٦٧	١٠-٢٠	١٦٥٦	١٠٧٧	٧-٤	١٦٦٦	١٠٨٧	٣-١٦	١٦٧٦	١٠٩٧	١١-٢٨	١٦٨٥
١٠٠٨	٧-٢٤	١٥٩٩	١٠١٨	٤-٦	١٦٠٩	١٠٢٨	١٢-١٩	١٦١٨	١٠٣٨	٨-٣١	١٦٢٨	١٠٤٨	٥-١٥	١٦٣٨	١٠٥٨	١-٢٧	١٦٤٨	١٠٦٨	١٠-٩	١٦٥٧	١٠٧٨	٦-٢٣	١٦٦٧	١٠٨٨	٣-٦	١٦٧٧	١٠٩٨	١١-١٧	١٦٨٦
١٠٠٩	٧-١٣	١٦٠٠	١٠١٩	٣-٢٦	١٦١٠	١٠٢٩	١٢-٨	١٦١٩	١٠٣٩	٨-٢١	١٦٢٩	١٠٤٩	٥-٤	١٦٣٩	١٠٥٩	١-١٥	١٦٤٩	١٠٦٩	٩-٢٩	١٦٥٨	١٠٧٩	٦-١١	١٦٦٨	١٠٨٩	٢-٢٣	١٦٧٨	١٠٩٩	١١-٧	١٦٨٧
١٠١٠	٧-٢	١٦٠١	١٠٢٠	٣-١٦	١٦١١	١٠٣٠	١١-٢٦	١٦٢٠	١٠٤٠	٨-١٠	١٦٣٠	١٠٥٠	٤-٢٣	١٦٤٠	١٠٦٠	١-٤	١٦٥٠	١٠٧٠	٩-١٨	١٦٥٩	١٠٨٠	٦-١	١٦٦٩	١٠٩٠	٢-١٢	١٦٧٩	١١٠٠	١٠-٢٦	١٦٨٨

القرن الثاني عشر الهجري

س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م	س.هـ	تبدأ يوم-شهر	س.م
١١٠١	١٠-١٥	١٦٨٩	١١١١	٦-٢٩	١٦٩٩	١١٢١	٣-١٣	١٧٠٩	١١٣١	١١-٢٤	١٧١٨	١١٤١	٨-٧	١٧٢٨	١١٥١	٤-٢١	١٧٣٨	١١٦١	١-٢	١٧٤٨	١١٧١	٩-١٥	١٧٥٧	١١٨١	٥-٣٠	١٧٦٧	١١٩١	٢-٩	١٧٧٧
١١٠٢	١٠-٥	١٦٩٠	١١١٢	٦-١٨	١٧٠٠	١١٢٢	٣-٢	١٧١٠	١١٣٢	١١-١٤	١٧١٩	١١٤٢	٧-٢٧	١٧٢٩	١١٥٢	٤-١٠	١٧٣٩	١١٦٢	١٢-٢٢	١٧٤٨	١١٧٢	٩-٤	١٧٥٨	١١٨٢	٥-١٩	١٧٦٨	١١٩٢	١-٣٠	١٧٧٨
١١٠٣	١٠-٥	١٦٩١	١١١٣	٦-٨	١٧٠١	١١٢٣	٢-١٩	١٧١١	١١٣٣	١١-٢	١٧٢٠	١١٤٣	٧-١٧	١٧٣٠	١١٥٣	٣-٢٩	١٧٤٠	١١٦٣	١٢-١١	١٧٤٩	١١٧٣	٨-٢٥	١٧٥٩	١١٨٣	٥-٧	١٧٦٩	١١٩٣	١-١٩	١٧٧٩
١١٠٤	٩-٢٤	١٦٩٢	١١١٤	٥-٢٨	١٧٠٢	١١٢٤	٢-٩	١٧١٢	١١٣٤	١٠-٢٢	١٧٢١	١١٤٤	٧-٦	١٧٣١	١١٥٤	٣-١٩	١٧٤١	١١٦٤	١١-٣٠	١٧٥٠	١١٧٤	٨-١٣	١٧٦٠	١١٨٤	٤-٢٧	١٧٧٠	١١٩٤	١-٨	١٧٨٠
١١٠٥	٩-٢	١٦٩٣	١١١٥	٥-١٧	١٧٠٣	١١٢٥	١-٢٨	١٧١٣	١١٣٥	١٠-١٢	١٧٢٢	١١٤٥	٦-٢٤	١٧٣٢	١١٥٥	٣-٨	١٧٤٢	١١٦٥	١١-٢٠	١٧٥١	١١٧٥	٨-٢	١٧٦١	١١٨٥	٤-١٦	١٧٧١	١١٩٥	٢-٢٨	١٧٨٠
١١٠٦	٨-٢٢	١٦٩٤	١١١٦	٥-٦	١٧٠٤	١١٢٦	١-١٧	١٧١٤	١١٣٦	١٠-١	١٧٢٣	١١٤٦	٦-١٤	١٧٣٣	١١٥٦	٢-٢٥	١٧٤٣	١١٦٦	١١-٨	١٧٥٢	١١٧٦	٧-٢٣	١٧٦٢	١١٨٦	٤-٤	١٧٧٢	١١٩٦	١٢-١٧	١٧٨١
١١٠٧	٨-١٢	١٦٩٥	١١١٧	٤-٢٥	١٧٠٥	١١٢٧	١-٧	١٧١٥	١١٣٧	٩-٢٠	١٧٢٤	١١٤٧	٦-٣	١٧٣٤	١١٥٧	٢-١٥	١٧٤٤	١١٦٧	١٠-٢٩	١٧٥٣	١١٧٧	٧-١٢	١٧٦٣	١١٨٧	٣-٢٥	١٧٧٣	١١٩٧	١٢-٧	١٧٨٢
١١٠٨	٧-٣١	١٦٩٦	١١١٨	٤-١٥	١٧٠٦	١١٢٨	١٢-٢٧	١٧١٥	١١٣٨	٩-٩	١٧٢٥	١١٤٨	٥-٢٤	١٧٣٥	١١٥٨	٢-٣	١٧٤٥	١١٦٨	١٠-١٨	١٧٥٤	١١٧٨	٧-١	١٧٦٤	١١٨٨	٣-١٤	١٧٧٤	١١٩٨	١١-٢٦	١٧٨٣
١١٠٩	٧-٢٠	١٦٩٧	١١١٩	٤-٤	١٧٠٧	١١٢٩	١٢-١٦	١٧١٦	١١٣٩	٨-٢٩	١٧٢٦	١١٤٩	٥-١٢	١٧٣٦	١١٥٩	١-٢٤	١٧٤٦	١١٦٩	١٠-٧	١٧٥٥	١١٧٩	٦-٢٠	١٧٦٥	١١٨٩	٣-٤	١٧٧٥	١١٩٩	١١-١٤	١٧٨٤
١١١٠	٧-١٠	١٦٩٨	١١٢٠	٣-٢٣	١٧٠٨	١١٣٠	١٢-٥	١٧١٧	١١٤٠	٨-١٩	١٧٢٧	١١٥٠	٥-١	١٧٣٧	١١٦٠	١-١٣	١٧٤٧	١١٧٠	٩-٢٦	١٧٥٦	١١٨٠	٦-٩	١٧٦٦	١١٩٠	٢-٢١	١٧٧٦	١٢٠٠	١١-٤	١٧٨٥

القرن الثالث عشر الهجرى

سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م
١٢٠١	١٠-٢٤	١٧٨٦	١٢١١	٧-٧	١٧٩٦	١٢٢١	٣-٢١	١٨٠٦	١٢٣١	١٢-٣	١٨١٥	١٢٤١	٨-١٦	١٨٢٥
١٢٠٢	١٠-١٣	١٧٨٧	١٢١٢	٦-٢٦	١٧٩٧	١٢٢٢	٣-١١	١٨٠٧	١٢٣٢	١١-٢١	١٨١٦	١٢٤٢	٨-٥	١٨٢٦
١٢٠٣	١٠-٢	١٧٨٨	١٢١٣	٦-١٥	١٧٩٨	١٢٢٣	٢-٢٨	١٨٠٨	١٢٣٣	١١-١١	١٨١٧	١٢٤٣	٧-٢٥	١٨٢٧
١٢٠٤	٩-٢١	١٧٨٩	١٢١٤	٦-٥	١٧٩٩	١٢٢٤	٢-١٦	١٨٠٩	١٢٣٤	١٠-٣١	١٨١٨	١٢٤٤	٧-١٤	١٨٢٨
١٢٠٥	٩-١٠	١٧٩٠	١٢١٥	٥-٢٥	١٨٠٠	١٢٢٥	٢-٦	١٨١٠	١٢٣٥	١٠-٢٠	١٨١٩	١٢٤٥	٧-٣	١٨٢٩
١٢٠٦	٨-٣١	١٧٩١	١٢١٦	٥-١٤	١٨٠١	١٢٢٦	١-٢٦	١٨١١	١٢٣٦	١٠-٩	١٨٢٠	١٢٤٦	٦-٢٢	١٨٣٠
١٢٠٧	٨-١٩	١٧٩٢	١٢١٧	٥-٤	١٨٠٢	١٢٢٧	١-١٦	١٨١٢	١٢٣٧	٩-٢٨	١٨٢١	١٢٤٧	٦-١٢	١٨٣١
١٢٠٨	٨-٩	١٧٩٣	١٢١٨	٤-٢٣	١٨٠٣	١٢٢٨	١-٤	١٨١٣	١٢٣٨	٩-١٨	١٨٢٢	١٢٤٨	٥-٣١	١٨٣٢
١٢٠٩	٧-٢٩	١٧٩٤	١٢١٩	٤-١٢	١٨٠٤	١٢٢٩	١٢-٢٤	١٨١٣	١٢٣٩	٩-٧	١٨٢٣	١٢٤٩	٥-٢١	١٨٣٣
١٢١٠	٨-١٨	١٧٩٥	١٢٢٠	٤-١	١٨٠٥	١٢٣٠	١٢-١٤	١٨١٤	١٢٤٠	٨-٢٦	١٨٢٤	١٢٥٠	٥-١٠	١٨٣٤

سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م
١٢٥١	٤-٢٩	١٨٣٥	١٢٦١	١-١٠	١٨٤٥	١٢٧١	٩-٢٤	١٨٥٤	١٢٨١	٦-٦	١٨٦٤	١٢٩١	٢-١٨	١٨٧٤
١٢٥٢	٤-١٨	١٨٣٦	١٢٦٢	١٢-٣٠	١٨٤٥	١٢٧٢	٩-١٣	١٨٥٥	١٢٨٢	٥-٢٧	١٨٦٥	١٢٩٢	٢-٧	١٨٧٥
١٢٥٣	٤-٧	١٨٣٧	١٢٦٣	١٢-٢٠	١٨٤٦	١٢٧٣	٩-١	١٨٥٦	١٢٨٣	٥-١٦	١٨٦٦	١٢٩٣	١-٢٨	١٨٧٦
١٢٥٤	٣-٢٧	١٨٣٨	١٢٦٤	١٢-٩	١٨٤٧	١٢٧٤	٨-٢٢	١٨٥٧	١٢٨٤	٥-٥	١٨٦٧	١٢٩٤	١-١٦	١٨٧٧
١٢٥٥	٣-١٧	١٨٣٩	١٢٦٥	١١-٢٧	١٨٤٨	١٢٧٥	٨-١١	١٨٥٨	١٢٨٥	٤-٢٤	١٨٦٨	١٢٩٥	١-٥	١٨٧٨
١٢٥٦	٣-٥	١٨٤٠	١٢٦٦	١١-١٧	١٨٤٩	١٢٧٦	٧-٣١	١٨٥٩	١٢٨٦	٤-١٣	١٨٦٩	١٢٩٦	١٢-٢٦	١٨٧٨
١٢٥٧	٢-٢٣	١٨٤١	١٢٦٧	١١-٦	١٨٥٠	١٢٧٧	٧-٢٠	١٨٦٠	١٢٨٧	٤-٣	١٨٧٠	١٢٩٧	١٢-١٥	١٨٧٩
١٢٥٨	٢-١٢	١٨٤٢	١٢٦٨	١٠-٢٧	١٨٥١	١٢٧٨	٧-٩	١٨٦١	١٢٨٨	٣-٢٣	١٨٧١	١٢٩٨	١٢-٤	١٨٨٠
١٢٥٩	٢-١	١٨٤٣	١٢٦٩	١٠-١٥	١٨٥٢	١٢٧٩	٦-٢٩	١٨٦٢	١٢٨٩	٣-١١	١٨٧٢	١٢٩٩	١١-٢٣	١٨٨١
١٢٦٠	١-٢٢	١٨٤٤	١٢٧٠	١٠-٤	١٨٥٣	١٢٨٠	٦-١٨	١٨٦٣	١٢٩٠	٣-١	١٨٧٣	١٣٠٠	١١-١٢	١٨٨٢

القرن الرابع عشر الهجرى

سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م
١٣٠١	١١-٢	١٨٨٣	١٣١١	٧-١٥	١٨٩٣	١٣٢١	٣-٣٠	١٩٠٣	١٣٣١	١٢-١١	١٩١٢	١٣٤١	٨-٢٤	١٩٢٢
١٣٠٢	١٠-٢١	١٨٨٤	١٣١٢	٧-٥	١٨٩٤	١٣٢٢	٣-١٨	١٩٠٤	١٣٣٢	١١-٣٠	١٩١٣	١٣٤٢	٨-١٤	١٩٢٣
١٣٠٣	١٠-١٠	١٨٨٥	١٣١٣	٦-٢٤	١٨٩٥	١٣٢٣	٣-٨	١٩٠٥	١٣٣٣	١١-١٩	١٩١٤	١٣٤٣	٨-٢	١٩٢٤
١٣٠٤	٩-٣٠	١٨٨٦	١٣١٤	٦-١٢	١٨٩٦	١٣٢٤	٢-٢٥	١٩٠٦	١٣٣٤	١١-٩	١٩١٥	١٣٤٤	٧-٢٢	١٩٢٥
١٣٠٥	٩-١٩	١٨٨٧	١٣١٥	٦-٢	١٨٩٧	١٣٢٥	٢-١٤	١٩٠٧	١٣٣٥	١٠-٢٨	١٩١٦	١٣٤٥	٧-١٢	١٩٢٦
١٣٠٦	٩-٧	١٨٨٨	١٣١٦	٥-٢٢	١٨٩٨	١٣٢٦	٢-٤	١٩٠٨	١٣٣٦	١٠-١٧	١٩١٧	١٣٤٦	٧-١	١٩٢٧
١٣٠٧	٨-٢٨	١٨٨٩	١٣١٧	٥-١٢	١٨٩٩	١٣٢٧	١-٢٣	١٩٠٩	١٣٣٧	١٠-٧	١٩١٨	١٣٤٧	٦-٢٠	١٩٢٨
١٣٠٨	٨-١٧	١٨٩٠	١٣١٨	٥-١	١٩٠٠	١٣٢٨	١-١٣	١٩١٠	١٣٣٨	٩-٢٦	١٩١٩	١٣٤٨	٦-٩	١٩٢٩
١٣٠٩	٨-٧	١٨٩١	١٣١٩	٤-٢٠	١٩٠١	١٣٢٩	١-٢	١٩١١	١٣٣٩	٩-١٥	١٩٢٠	١٣٤٩	٥-٢٩	١٩٣٠
١٣١٠	٧-٢٦	١٨٩٢	١٣٢٠	٤-١٠	١٩٠٢	١٣٣٠	١٢-٢٢	١٩١١	١٣٤٠	٩-٤	١٩٢١	١٣٥٠	٥-١٩	١٩٣١

سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م	سنة هـ	تبدأ يوم-شهر	سنة م
١٣٥١	٥-٧	١٩٣٢	١٣٦١	١-١٩	١٩٤٢	١٣٧١	١٠-٢	١٩٥١	١٣٨١	٦-١٥	١٩٦١	١٣٩١	٢-٢٧	١٩٧١
١٣٥٢	٤-٢٦	١٩٣٣	١٣٦٢	١-٨	١٩٤٣	١٣٧٢	٩-٢١	١٩٥٢	١٣٨٢	٦-٤	١٩٦٢	١٣٩٢	٢-١٦	١٩٧٢
١٣٥٣	٤-١٦	١٩٣٤	١٣٦٣	١٢-٢٨	١٩٤٣	١٣٧٣	٩-١٠	١٩٥٣	١٣٨٣	٥-٢٥	١٩٦٣	١٣٩٣	٢-٤	١٩٧٣
١٣٥٤	٤-٥	١٩٣٥	١٣٦٤	١٢-١٧	١٩٤٤	١٣٧٤	٨-٣٠	١٩٥٤	١٣٨٤	٥-١٣	١٩٦٤	١٣٩٤	١-٢٥	١٩٧٤
١٣٥٥	٣-٢٧	١٩٣٦	١٣٦٥	١٢-٦	١٩٤٥	١٣٧٥	٨-٢٠	١٩٥٥	١٣٨٥	٥-٢	١٩٦٥	١٣٩٥	١-١٤	١٩٧٥
١٣٥٦	٣-١٤	١٩٣٧	١٣٦٦	١١-٢٥	١٩٤٦	١٣٧٦	٨-٨	١٩٥٦	١٣٨٦	٤-٢٢	١٩٦٦	١٣٩٦	١-٣	١٩٧٦
١٣٥٧	٣-٣	١٩٣٨	١٣٦٧	١١-١٥	١٩٤٧	١٣٧٧	٧-٢٩	١٩٥٧	١٣٨٧	٤-١١	١٩٦٧	١٣٩٧	١٢-٢٣	١٩٧٦
١٣٥٨	٢-٢١	١٩٣٩	١٣٦٨	١١-٣	١٩٤٨	١٣٧٨	٧-١٨	١٩٥٨	١٣٨٨	٣-٣١	١٩٦٨	١٣٩٨	١٢-١٢	١٩٧٧
١٣٥٩	٢-١٠	١٩٤٠	١٣٦٩	١٠-٢٤	١٩٤٩	١٣٧٩	٧-٧	١٩٥٩	١٣٨٩	٣-٢٠	١٩٦٩	١٣٩٩	١٢-٢	١٩٧٨
١٣٦٠	١-٢٩	١٩٤١	١٣٧٠	١٠-١٣	١٩٥٠	١٣٨٠	٦-٢٦	١٩٦٠	١٣٩٠	٣-٩	١٩٧٠	١٤٠٠	١١-٢١	١٩٧٩

القرن الخامس عشر الهجري

سنة	تبدأ يوم-شهر	م	سنة	تبدأ يوم-شهر	م	سنة	تبدأ يوم-شهر	م	سنة	تبدأ يوم-شهر	م	سنة	تبدأ يوم-شهر	م
١٤٠١	١١-٢	١٩٨٠	١٤١١	٧-٢٢	١٩٩٠	١٤٢١	٤-٦	٢٠٠٠	١٤٣١	١٢-١٨	٢٠٠٩	١٤٤١	٩-١	٢٠١٩
١٤٠٢	١٠-٣٠	١٩٨١	١٤١٢	٧-١٢	١٩٩١	١٤٢٢	٣-٢٦	٢٠٠١	١٤٣٢	١٢-٨	٢٠١٠	١٤٤٢	٨-٢٠	٢٠٢٠
١٤٠٣	١٠-١٩	١٩٨٢	١٤١٣	٧-٢	١٩٩٢	١٤٢٣	٣-١٥	٢٠٠٢	١٤٣٣	١١-٢٧	٢٠١١	١٤٤٣	٨-١٠	٢٠٢١
١٤٠٤	١٠-٨	١٩٨٣	١٤١٤	٦-٢١	١٩٩٣	١٤٢٤	٣-٥	٢٠٠٣	١٤٣٤	١١-١٥	٢٠١٢	١٤٤٤	٧-٣٠	٢٠٢٢
١٤٠٥	٩-٢٧	١٩٨٤	١٤١٥	٦-١٠	١٩٩٤	١٤٢٥	٢-٢٢	٢٠٠٤	١٤٣٥	١١-٥	٢٠١٣	١٤٤٥	٧-١٩	٢٠٢٣
١٤٠٦	٩-١٦	١٩٨٥	١٤١٦	٥-٣١	١٩٩٥	١٤٢٦	٢-١٠	٢٠٠٥	١٤٣٦	١٠-٢٥	٢٠١٤	١٤٤٦	٧-٨	٢٠٢٤
١٤٠٧	٩-٦	١٩٨٦	١٤١٧	٥-١٩	١٩٩٦	١٤٢٧	١-٣١	٢٠٠٦	١٤٣٧	١٠-١٥	٢٠١٥	١٤٤٧	٦-٢٧	٢٠٢٥
١٤٠٨	٨-٢٦	١٩٨٧	١٤١٨	٥-٩	١٩٩٧	١٤٢٨	١-٢٠	٢٠٠٧	١٤٣٨	١٠-٢	٢٠١٦	١٤٤٨	٦-١٧	٢٠٢٦
١٤٠٩	٨-١٤	١٩٨٨	١٤١٩	٤-٢٨	١٩٩٨	١٤٢٩	١-١٠	٢٠٠٨	١٤٣٩	٩-٢٢	٢٠١٧	١٤٤٩	٦-٦	٢٠٢٧
١٤١٠	٨-٤	١٩٨٩	١٤٢٠	٤-١٧	١٩٩٩	١٤٣٠	١٢-٢٩	٢٠٠٨	١٤٤٠	٩-١٢	٢٠١٨	١٤٥٠	٥-٢٦	٢٠٢٨

سنة	تبدأ يوم-شهر	م	سنة	تبدأ يوم-شهر	م	سنة	تبدأ يوم-شهر	م	سنة	تبدأ يوم-شهر	م	سنة	تبدأ يوم-شهر	م
١٤٥١	٥-١٥	٢٠٢٩	١٤٦١	١-٢٦	٢٠٣٩	١٤٧١	١٠-٩	٢٠٤٨	١٤٨١	٦-٢٣	٢٠٥٨	١٤٩١	٣-٥	٢٠٦٨
١٤٥٢	٥-٤	٢٠٣٠	١٤٦٢	١-١٦	٢٠٤٠	١٤٧٢	٩-٢٨	٢٠٤٩	١٤٨٢	٦-١٢	٢٠٥٩	١٤٩٢	٢-٢٣	٢٠٦٩
١٤٥٣	٤-٢٤	٢٠٣١	١٤٦٣	١-٤	٢٠٤١	١٤٧٣	٩-١٨	٢٠٥٠	١٤٨٣	٥-٣١	٢٠٦٠	١٤٩٣	٢-١٢	٢٠٧٠
١٤٥٤	٤-١٢	٢٠٣٢	١٤٦٤	١٢-٢٥	٢٠٤١	١٤٧٤	٩-٧	٢٠٥١	١٤٨٤	٥-٢١	٢٠٦١	١٤٩٤	٢-١	٢٠٧١
١٤٥٥	٤-١	٢٠٣٣	١٤٦٥	١٢-١٤	٢٠٤٢	١٤٧٥	٨-٢٦	٢٠٥٢	١٤٨٥	٥-١٠	٢٠٦٢	١٤٩٥	١-٢٢	٢٠٧٢
١٤٥٦	٣-٢١	٢٠٣٤	١٤٦٦	١٢-٣	٢٠٤٣	١٤٧٦	٨-١٦	٢٠٥٣	١٤٨٦	٤-٢٩	٢٠٦٣	١٤٩٦	١-١٠	٢٠٧٣
١٤٥٧	٣-١١	٢٠٣٥	١٤٦٧	١١-٢٢	٢٠٤٤	١٤٧٧	٨-٥	٢٠٥٤	١٤٨٧	٤-١٨	٢٠٦٤	١٤٩٧	١٢-٣١	٢٠٧٣
١٤٥٨	٢-٢٨	٢٠٣٦	١٤٦٨	١١-١١	٢٠٤٥	١٤٧٨	٧-٢٦	٢٠٥٥	١٤٨٨	٤-٧	٢٠٦٥	١٤٩٨	١٢-٢٠	٢٠٧٤
١٤٥٩	٢-١٧	٢٠٣٧	١٤٦٩	١٠-٣١	٢٠٤٦	١٤٧٩	٧-١٤	٢٠٥٦	١٤٨٩	٣-٢٨	٢٠٦٦	١٤٩٩	١٢-٩	٢٠٧٥
١٤٦٠	٢-٦	٢٠٣٨	١٤٧٠	١٠-٢١	٢٠٤٧	١٤٨٠	٧-٣	٢٠٥٧	١٤٩٠	٣-١٧	٢٠٦٧	١٥٠٠	١١-٢٨	٢٠٧٦

قائمة المصادر

المراجع العربية

١ – ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور ٦ أجزاء القاهرة ١٩٨٤م.

٢ – ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت ١٩٦٨م.

٣ – ابن زنبل، فتح مصر، القاهرة ١٨٦١م.

٤ – أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة ١٩٥٠م.

٥ – أحمد عزت عبد الكريم، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، القاهرة ١٩٥٤م.

٦ – أحمد بن محمد الحموي، مخطوط فضائل سلاطين بني عثمان، تحقيق محمد سليم، القاهرة ١٩٩٣م.

٧ – أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني ط٢، القاهرة ١٩٩٣م.

٨ – إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، بيروت ١٩٨٩م.

٩ – بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي، الكويت ١٩٨٤م.

١٠ – توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري، القاهرة ١٩٦٠م.

١١ – توماس أرنولد، الخلافة دمشق ١٩٤٦م.

١٢ – جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ط٤ بيروت ١٩٧٣م.

١٣ – رأفت الشيخ، في تاريخ العرب الحديث، القاهرة ١٩٨٤م.

١٤ – ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٠م.

١٥ – ———، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، بيروت ١٩٦٢م.

١٦ – سعيد عاشور، أوربا في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٨١م.

١٧ - السيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، القاهرة ١٩٧٠م.
١٨ - ــــــــ، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر القاهرة ١٩٦٧.
١٩ - ــــــــ، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، القاهرة ١٩٨٠م.
٢٠ - سيد الدقن، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة ١٩٧٩م.
٢١ - عبد الكريم غرايبة، تاريخ العرب الحديث، دمشق ١٩٦٠م.
٢٢ - عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، دمشق ١٩٧٤م.
٢٣ - عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية. دولة إسلامية مفترى عليها (٤ أجزاء)، (القاهرة ١٩٨٠، ١٩٨٢م).
٢٤ - عبد السلام عبد العزيز فهمي، السلطان محمد الفاتح، بيروت ١٩٧٥م.
٢٥ - عثمان صالح سبي، تاريخ إريتريا بيروت ١٩٧٤م.
٢٦ - علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، دمشق ١٩٨٠م.
٢٧ - عمر عبد العزيز عمر، المشرق العربي المعاصر، الإسكندرية ١٩٩٠م.
٢٨ - فاضل حسن، مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية، بغداد ١٩٦٧م.
٢٩ - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت ١٩٧٧م، (ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي).
٣٠ - محمد أنيس، الشرق العربي والدولة العثمانية، القاهرة ١٩٦٢م.
٣١ - محمد عبداللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩، القاهرة ١٩٧٨م.
٣٢ - محمد فؤاد كوبريللي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد، القاهرة ١٩٦٧م.
٣٣ - محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية بيروت ١٩٧٧م.

٣٤ - محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة ١٩٧٦م.
٣٥ - محمود ثابت الشاذلي، المسألة الشرقية، القاهرة ١٩٨٩م.
٣٦ - محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ٨، بيروت ١٩٨٦م.
٣٧ - محمود منسي، حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي القاهرة ١٩٦٧م.
٣٨ - مذكرات السلطان عبد الحميد ترجمة وتقديم محمد حرب عبد الحميد، القاهرة ١٩٧٨.
٣٩ - مصطفى طوران، أسرار الانقلاب العثماني، بيروت ١٩٨٠م.

قائمة المراجع الإفرنجية

1- Armstrong H.C. Grey wolf, Mustafa Kamal, New York 1972
2- Creasy, Edward,s. History of the ottoman Turks, New York1973.
3- Heyd, Urel, Foundations of Turkish Nationalism.
4- Hurewitz, J.C. Diplomacy in the New and Middle East, New York 1956
5- Inalcik, Halil, The ottoman Empire, London 1978
6- Kedourie, E., England and the Middleast, London 1956
7- Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkey, London 1961.
8- Marriot, J.A.R. The Eastern question, London 1958
9- Miller, W., The ottoman Empire, London 1927
10- Ram Saur, J.E. The young Turks, Beirut 1965.
11-Shaw Stanford, History of the ottoman Empire and modern Turkey, London 1977.

الفهـــرس



950110306000106
ردمك ٣_١٦٤_٢٠_٩٩٦٠